

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَفْسِيَّ وَشَحْ

الْصَّحِيفَةُ الْبَنَجَاذِيَّةُ

آيَةُ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُ حَسَنِينَ أَصْلَائِكَ

الجزء الأول

تعريب: كمال السيد

مقدمة المترجم

وله الحمد في الأولى والآخرة؛

يفتح العلامة الأستاذ أنصاريان موسوعته الانسانية في شرح وتفسير «زبور آل محمد» بكلمتين: «هو الحق»؛

وأتصور أنّ مقدّمته جاءت بعد أن أمضى رحلة روحية رائعة في فضاءات معرفية تفتحها «الصحيفة السجادية» وآفاق روحانية مفعمة بالصفاء والجلال والمعرفة الخالدة «هو الحق» كلمة تعبّر عن اكتشاف الإنسان للحقيقة: «الله أحد»، «الله الصمد».

ويبدو ان مفترق الطرق الأساسي بين العرفان والتصوّف يكمن هنا! أعني عندما يهتف المتصوّف: «أنا الحق»! زاعماً أنه قد بلغ مرحلة الاتحاد مع الذات المقدسة في علاقة «عشقية»^(١) ولم يعهد لا عن الأنبياء ولا الأوصياء عليهم السلام أنّهم

١. يقول الحلاج:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا	نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته	وإذا أبصرته أبصرتنا!

ويقول أيضاً:

تحدّثوا بهذه الطريقة؛ وهذه الأحاديث المروية عن النبي الأكرم ﷺ لا تجد فيها مثل هذه الأفكار وهذا نهج البلاغة وتراث الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في أدعيته ومناجاته لم يتكلّم بهذه الطريقة أبداً وهذه «الصحيفة السجادية» التي يعدّها بعض العلماء أعظم كتاب بعد القرآن الكريم على الإطلاق، لا تجد فيها شيئاً ولا أثراً من «أنا الحق».

أجل كلّ ما فيها يزخر بهذا النداء الخالد: «هو الحق».

«أنا الحق» اعلان بشري يكشف عن نزعة «الانسان الاله».

أمّا «هو الحق» فهذا اعتراف بشي أن «لا إله إلا الله».

وهنا تكمن «مشكلة الانسان الكبرى في الحياة ألا وهي «الأنا» وسعي الانسان إلى تحقيق مصالحه الانانية؛ «فكلّ كائن إنساني يضع للأنا الداخلي لديه موضعاً مقابل الأمر الإلهي إنّما يريد بهذا مشاركة الاله في الوهيته، ولذلك كان الكفر ببعض الكتاب كفراً بالكل والكفر بأمر واحد كفراً بالجميع.

ذلك أنّه إذا آمن الإنسان بأجزاء محدّدة واستبعد أخرى فهذا يعني أنّ الأجزاء التي آمن بها تتوافق مع مصالحه الذاتية أو محقّقة لها؛ في حين انه إذا رفض الايمان بشيء ولو كان ضئيلاً فإنّه كفر لأنّه يكشف عن حقيقة الذات الانسانية كلّها» ويفضح كلّ توجهاتها.

وقد تمكّن النيلي^(١) من فك رموز قصّة الخلق وموقف إبليس من مسألة

➤ مزجت روحك في روحي كما

فاذا مسك شيء مسني

١. المفكّر العراقي الراحل عالم سبيط النيلي .

تمزج الخمرة بالماء الزلال

فاذا أنت أنا في كلّ حال

السجود لآدم عليه السلام فابليس «لم ينكر أن الله هو الخالق وأنه هو الرب الذي لا رب فوقه» وإنما تبني قراراً مخالفاً لأمر الله فكشف بذلك عن «حقيقة أفكاره».

وهنا تكمن حقيقة التوحيد وهي التسليم لله الواحد في كل شيء.

«فعليّ أن أقبل بالعبودية والتسلط والقهر الإلهي لكي أبرهن على أنني راضٍ تمام الرضا بالاله الواحد» فإذا فكر الإنسان بخيار آخر غير الخيارات الإلهية فهذا يعني نزوعه إلى المشاركة في الألوهية.

و«هذا الفهم للتوحيد ليس من خارج النفس» وإنما ينبع من داخلها فهو يشير فيها مخاوف عميقة وآمالاً مشرقة.

وهذا ما يفسر الحالة النفسية لدى الأنبياء «فاذا كان القدر قد جعلهم مثلاً» لنور الله فإنهم يعيشون حالة خوف مستمر من بروز الأنا خاصة عند ما تتحقق على أيديهم المعجزات الكبرى وحصولهم على «قدرات خارقة لقوانين الطبيعة» إذ يتوجب عليهم في تلك اللحظات المصيرية الشعور بالانسحاق التام أمام الخالق والقضاء على «الأنا» وقهرها.

وتكشف النظريات النيلية عن «معادلة الوجود» إذ ستكون «الحياة الأبدية هي لأولئك الذين أماتوا الأنا داخل نفوسهم (وهي) حياة معها ملك السموات والأرض و«ملك لا يبلى» بينما الذل والهوان واللوان الخزي والعذاب تنصب على ذوي الأنا المتعالي».

ويرسم النبلي طريقاً آخر يوصل إلى نفس النتيجة؛ «فحينما أقول أنني كائن حي وعقل فان معنى ذلك كله أنني أختار وإن اختياري هو حياتي» فيما الموت هو فقدان الاختيار مطلقاً وما الحياة إلا سلسلة متصلة من الاختيارات ويتوجب

على الانسان أن يختار ما يبقية حياً ويعرض عما يتهدد حياته بالخطر .

وإذن فإن الاختيار هو الغاية والوسيلة وهو جوهر الحياة .

وأمام تغيّرات الحياة وضرورة الاختيار يقع الانسان في دوامة إذ يتراءى خيار ما أنه الأصلح ثم يظهر أنه قد أخطأ وقد يسعى إلى خيار شاق ثم يكتشف أنه قد أضرب به كثيراً فيشعر بالندم .

وفي غمرة هذه الخيارات وما يرافقها من مشاعر الخوف والألم واليأس والندم إذا به يواجه خيارات الآخرين تزامم مسيرته وتتدخل في تحديد خياراته .

«الطبيعة تحاربني أيضاً وبدني عرضة لهجمات من كائنات أخرى وقوى كثيرة؛ وما جعلته استمراراً لحياتي من امتلاك للأبناء والأشياء هو في الواقع حجر عثره أمام وجودي وخياراتي الخاصة» .

وهنا تتضح الحقيقة إذ يكتشف الانسان أنه عبد وأنه كلما أراد التحرر ازداد استغراقاً في عبوديته للأشياء وهذه هي محنة الانسان في العالم فهو أمام طريقين أحدهما أسوأ من الآخر؛

- أن يكفّ عن التفكير ويظلّ مخدوعاً إلى النهاية يعني أن يمارس (نشاطه) كأبي حيوان آخر .

- أن ينتحر ويضع حداً لحياته وانخداعه .

ولكن الموت لا يعني الفناء «لو كنت أفنى فعلاً أو كنت متأكداً من فنائي لكان ذلك حلاً معقولاً» .

ذلك أنه ثمّة نداء في الأعماق «بأن لي نفساً أو روحاً لا يموت ولا يفنى» .

«لكنني في مأزق آخر أقرب! فإنني إذ لم أحاول اختيار الموت فإن الموت هو الذي يختارني».

وهنا يقترب الانسان من الحل إذ يتعين عليه أن يفهم الموت وأن يفسر حياته وموته؛ ذلك ان الموت لغز كما هي الحياة أيضاً.

إن الانسان لا يملك حياته ولا موته وهو لم يقرر اللحظة التي وجد فيها ولا يعرف أبداً اللحظة موته ولا حتى كيف ومتى وأين؟

لقد صمم الوجود بطريقة خلّاقة تنطوي على غائبة عميقة الغور بحيث يجد الانسان نفسه يركض وراء السراب؛ فثمة قوة تدفع بالانسان بعيداً من أجل معرفة الأشياء وكلما تعمقت تلك المعرفة ازداد قرباً من الحقيقة وهي الجهل التام بكل ما يحيط به من آفاق بل وحتى نفسه؛ وحينئذ يدرك أن ثمة طرف آخر في المشكلة (مشكلة الإنسان) وهو خالق الانسان الذي ألقى به في أتون هذه الحياة.

«وإذا كانت مشكلتي مشتركة على هذا النحو فليس ثمة شيء فيها سوى «أنا وهو» أما سائر الأشياء الأخرى فإنما هي سلسلة من المحن.

والخالق هو الطرف القوي المطلق القاهر «الذي أحاط بكل وجودي وخياراتي» حيث لا قيمة لخيارات الانسان إلا عندما يختار خالقه فقط وهذا هو الخيار الوحيد المتبقي أمامه.

«أنني أدرك الآن أن علاقتي بالله هي التجربة الوحيدة التي أخوضها لاكتشف لغز حياتي ومماتي».

ويتوجب على الانسان أن يشكك في كل الإحياءات القادمة من خارج نطاق النفس والخالق.

لأن كلِّ مكوّنات الطبيعة في صراع مع الانسان وتحاول استعباده بينما هو يسعى إلى التحرّر منها وفي اللحظة التي يهتف فيها الانسان من أعماق قلبه: هو الله أحد؛ يكون قد ألغى الأنا في نفسه، وحينئذٍ يشعر بثقل القوة التي تسانده في التحرّر من الاستعباد للطبيعة والأشياء، وبالتالي فإنّه يستعيد ذاته المبرّاة من كلِّ إشكال الأنانيّة والرجسيّة.

وعلى انقراض «الأنا الاله» ينهض «الأنا الالهي» الذي يمكنه التحكّم بالأشياء والسيطرة عليها.

عبدی اطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون^(١).

وقد أشارت مدوّنات تاريخيّة إلى أن بعض أصحاب النبي ﷺ تساءلوا عن سرّ مداومة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام على قراءة سورة الاخلاص «قل هو الله أحد» في صلاته اليوميّة ونقلوا تساؤلهم للنبي ﷺ وكان جواب الامام عليه السلام حينها اني أحبّها!

أجل «هو الحق» شعار العرفان الحقيقي الذي يكشف عن بلوغ الانسان مرحلة لا يرى في الوجود شيئاً سوى الله!

هذه هي نظرة العارف الحقيقي والتي هي على النقيض من نظرة المتصوّف الذي ستقوده «الأنا» المتضخّمة إلى نرجسيّة رهيبه!

كما أن نظرة العارف تختلف عن نظرة الفيلسوف فالأوّل ينظر إلى الوجود بعمق ويرى تفاعل وتشابك مفرداته؛ بينما تمتاز نظرة الفيلسوف بالسطحية؛

١. تلك الشجرة المقدّسة، كمال السيّد ص ١٤ - ٢٠.

فالفيلسوف « يشاهد ويراقب وقيس ثم يسجل من خلال عقله فقط ، أما العارف فانه يتفاعل مع الوجود والحياة تفاعلاً مباشراً مستمراً يستلهم بعقله وقلبه وروحه ومشاعره وبكل كيانه ، لهذا تأتي نظراته أكثر عمقاً وأسطع وعياً ، لأنه لا يرى سوى «الحي القيوم» الحقيقة المطلقة الممتدة من الأزل إلى الأبد» .

الهي !

إِلَهِی قَصْرَتِ الْأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنَائِكَ، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِكَ؛

وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إدْرَاكِ كُنْهِ جَمَالِكَ؛

وَانْحَسَرَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبْحَاتِ وَجْهِكَ؛

وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقاً إِلَى مَعْرِفَتِكَ؛

إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ! (١)

كمال السيّد

هو الحقّ

مقدّمة المؤلّف

منذ بضعة شهور كنت مستغرقاً في التفكير عمّا أريد القيام به من عمل ثقافي في مسار يمكنه أن يؤثّر في عمليّة ترشيد حركة الانسان؛ وفيما كنت مستغرقاً في تأملاتي وكانت ليلة جمعة مباركة تصادف ذكرى المولد النبوي الشريف، فألقي في روعي أن أسبر أغوار الصحيفة السجّاديّة، هذا الأثر الإلهي الخالد لابن رسول الله سيّد الساجدين وإمام المسلمين وزين العابدين الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.

وكعادتني في الشروع في القيام بعمل ما تضرّعت إلى الله عزّ وجلّ ولجأت إلى كتابه العزيز مستفتحاً آياته المباركة، فظهرت لي الآية الكريمة:

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾^(١).

فامتلأت روعي خشوعاً حتّى أنّني بقيت يومين ارددها واستغرق في أعماقها فاضطّرت نفسي شوقاً إلى أن أقوم بشرح وتفسير الصحيفة السجّاديّة، التي تعدّ بحقّ «زبور آل محمّد» وعلى مدى يومين بقي كتاب الله مفتوحاً تسطع آياته في

الفضاء والآية الكريمة المباركة تسطع في أعماقي، حتّى إذا ارتفع الأذان لصلاة المغرب، شعرت بنداء ينبعث في داخلي إليه سبحانه منكسراً متذللاً معترفاً بجهلي أنا الانسان العاجز البائس الفقير إلى رحمته وفضله؛ وبقلب منكسر سألته سبحانه وتعالى أن يوقّني للقيام بما عقدت العزم عليه، ولو لا مشيئته وإرادته والهامة ما خطر في ذهني ما خطر وما يشاء الانسان إلّا ما يشاء.

العارفون ممّن سطع النور في وجدانهم ينظرون إلى «الصحيفة السجّادية» على أنّها «انجيل أهل البيت (عليه السلام)» والمبصرون الذين غاصوا في بحار الحكمة قالوا أنّها «زبور آل محمّد»!!

الصحيفة السجّادية كنز يشتمل على جواهر عالم الملك والملكوت ونفائس الناسوت واللاهوت حيث تنعكس في فضائها وأجوائها تلك النفس العظيمة للإمام السجّاد (عليه السلام) وما كلماتها إلّا خزائن تشتمل على المعرفة الخالدة التي ترشد حركة الانسان نحو الكمال المنشود.

الصحيفة السجّادية مدرسة انسانية كبرى حيث يقف استاذها العظيم على هامة التاريخ يعلم الأجيال في جميع العصور، كيف يعيشون وكيف يموتون وكيف يتحدّثون إلى الخالق العظيم.

الصحيفة السجّادية بحر يموج بالفيض الربّاني والأنوار الالهية؛ بحر يزخر باللؤلؤ والمرجان.

الصحيفة السجّادية شمس ساطعة تغمر الوجود بالنور والدفء والأمل في حياة خالدة مفعمة بالسّلام.

الصحيفة السجّادية ميزان يهب الانسان القدرة على معرفة الحقّ والباطل

فينصر الأوّل ويدحر الآخر .

الصحيفة السجّادية نبع يفيض بالحكمة الالهية يروي ظمأ الانسان إلى المعرفة الحقيقية .

الصحيفة السجّادية طيب روعي حاذق ونبع فيض يتدفق من قلب صادق ،
تلامس فؤاد المحب العاشق وكوكب يسطع في الآفاق يتألق في سماوات
المغرب والمشارك يشع بالحقائق يسبح بلسان ناطق للمصوّر باري الخلائق .

الصحيفة السجّادية أجنحة الحبّ الالهي لمن أراد التحليق في سماوات الوجود
والحان مقدّسة لمن أراد النشيد في الاسحار مسبحاً الخالق العظيم .

الصحيفة السجّادية كنز عظيم من المعارف الخالدة ما يزال حتّى الآن مجهولاً ،
أقول ذلك بأسف بالغ بل أنّها بحر عظيم لم تستكشف شواطئه بعد فكيف بأعماقه ؟!
فكما انّ نهج البلاغة هذا الكتاب القيم والسفر الجليل^(١) .

١ . يصف المفكّر الراحل جورج جرداق نهج البلاغة قائلاً :

« نهج للبلاغة آخذ من الفكر والعاطفة والخيال آيات تتصل بالذوق الفني الرفيع ما بقي
الانسان وما بقي له خيالٌ وعاطفة وفكر ؛ مترابط بآياته متساوق متفجر بالحس المشبوب
والادراك البعيد ، متدفق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلى معرفة ما وراء هذا
الواقع ؛ متآلف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الاخراج حتّى ليندمج التعبير بالمدلول أو
الشكل بالمعنى ، اندماج الحرارة بالنار والضوء بالشمس والهواء بالهواء ؛ فما أنت ازاءه إلّا ما
يكون المرء قبالة السيل إذ ينحدر والبحر إذ يتموّج والريح إذ تطوف ؛ أو قبالة الحدث
الطبيعي ، الذي لا بدّ له أن يكون بالضرورة على ما هو كائن عليه ...

بيان هو بلاغة من البلاغة ، وتنزيل من التنزيل ؛ بيان اتّصل بأسباب البيان العربي ما كان
منه وما يكون حتّى قال أحدهم في صاحبه ؛ انّ كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام
المخلوق ! »

صوت العدالة والانسانية ، المقدّمة - المترجم

لم ينل حتّى الآن ما يستحقّ من الدراسة والاهتمام حتّى لدى غالبية الشيعة^(١) فان كتاب الصحيفة السجّادية هو الآخر بقي في الظل ولم ينل الاهتمام المطلوب. ولذا فان من المفارقات المؤسفة انّ المجتمعات الاسلاميّة ظمأى وإلى جانبها هذه الينابيع المتدفقة بالمعارف والعلوم والحكمة.

فالانسان المسلم المعاصر يعيش حياة روحية وأخلاقيّة قاحلة ومع ذلك فهو لا يكثرث ازاء ما يتعرّض له من انتكاسات في هذا الصعيد الحيوي المصيري، صاباً كلّ اهتمامه وهمّه على حياته الماديّة في جانبها الحيواني، يلهث وراء اشباع غرائزه التي تعربد باستمرار ولا تعرف الارتواء، فهو الظامئ الذي يريد اطفاء ظمأه بمياه البحر فلا يزداد إلا عطشاً!

لقد مضى أربعة عشر قرن منذ ظهور هذا الأثر الخالد ومع ذلك فان الغالبية الساحقة من المسلمين في جهل تام حيال هذا الكنز المعرفي العظيم.

لقد آن الأوان لأن تقوم المؤسسات العلميّة والمعرفيّة والدينيّة والجامعات بالاهتمام بهذا الأثر الخالد وجعله في صميم المناهج الدراسيّة وأن يقوم بتدريسه اساتذة مختصّون ومتخصّصون في حقول التنمية الأخلاقيّة والبشريّة.

وانّه ليجدر باساتذة الحوزات العلميّة والمدارس الدينيّة أن يقوموا بتدريس طلبتهم الصحيفة السجّادية إلى جانب علوم الفقه والأصول و... من أجل تخريج فقهاء أتقياء وعلماء مصلحين.

١. مؤخراً دعا المفكر العراقي غالب الشابندر وفي لقاء تلفزيوني المؤسسات الرسميّة والدينيّة إلى تشكيل مراكز للشباب لتدريس كتاب نهج البلاغة واجراء بعض التطبيقات الميدانيّة مؤكّداً أهميّة وضرورة هذا الموضوع في التنمية البشريّة - المترجم.

كما يتوجب على خطباء المنابر والوعاظ استثمار شهري محرم وصفر وشهر رمضان المبارك في الحديث عن هذا الكتاب القيم وبيان معارفه الخالدة.

كما يجدر بأئمة الجمعة والجماعة أن ينهلوا من فيض هذا النبع الثري في اغناء خطبهم ومواعظهم.

كما يتوجب على العلماء والمفكرين ان يشمروا عن سواعدهم من اجل تسليط الأضواء والكشف عن حقائق هذا السفر الجليل واستخراج جواهره ولآئته وازاحة ما تراكم من غبار القرون لكي تشع أضواؤه وتتألق أنواره.

كما ينبغي على من أنعم الله عليهم بالغنى والثروة والمال أن ينبروا إلى تمويل المشاريع الثقافية التي من شأنها فتح هذه الكنوز المعرفية واستخراج ما تشتمل عليه من المعارف الالهية خدمة لمجتمعاتهم وتعميماً للخير وانتصاراً للحقيقة ودحرًا للشيطان.

وإني لوائق انه إذا ما قام المخلصون بتقديم معارف الصحيفة السجادية في أطر فنية وبأسلوب معاصر يتناغم مع وجدان المجتمع وضمير الأمة، فإنه سوف يحدث أثره العميق في المسار الحضاري وستكون له نتائج باهرة على صعيد التنمية الأخلاقية التي نحن بأمس الحاجة إليها اليوم وأكثر من أي وقت آخر.

لقد ورد في الأثر ان كلام الأئمة من آل رسول الله ﷺ نور؛ ذلك انه انعكاس لكلام الله وهم كلماته التي يريد الله سبحانه بها أن يحقق الحق؛ لا مبدل لكلماته.

وما أكثر أولئك الضائعين الذين اهتدوا بنورهم وعاد إليهم رشدهم لما سمعوا

كلامهم!

ألم ينقلب ابن يزيد الرياحي من عبد ليزيد إلى إنسان حرّ الهی؟^(١)
 ألم يتحوّل «بشر» من إنسان غارق في ملذّات البطن واللّهو واللّعب والخداعة
 والمجون إلى إنسان زاهد عارف ليشرق اسمه في سماء التاريخ والانسانیّة
 والمجد الأخلاقي^(٢) لقد حصل هذا التحوّل في حياته لبضعة كلمات قالها الإمام
 موسى بن جعفر عليه السلام!

فيا علماء الدين الكرام! ويا أساتذة الحوزة العلميّة! ويا معلّم المدارس
 المخلصون! اعملوا فسيّر الله عملكم ورسوله والمؤمنون! إنّ الواجب الديني
 والأخلاقي يحتم علينا جميعاً أن نفعل كلّ ما بوسعنا أجل تربية الجيل على أن يحيا
 كريماً حرّاً مضحياً وهذا لا يتأتّى إلّا من خلال نشر معارف أهل البيت عليهم السلام.
 الهی! أنا عبدك البائس الفقير؛ إنّي لأقسم بوجودك العظيم وبشوقي إلى
 وصالك أن تأخذ بيدي إلى ما تحب وترضى!

١. كان الحرّ بن يزيد الرياحي ضابطاً كبيراً في جيش النظام الأموي الغاشم وقبيل اندلاع
 معركة عاشوراء بدقائق انحاز إلى معسكر الامام الحسين عليه السلام ليصبح في طليعة الشهداء في
 يوم عاشوراء - المترجم .

٢. مرّ الإمام موسى الكاظم (وكان في بغداد) بقصر تصدح من خلال نوافذه أصوات الموسيقى
 والغناء وصادف مروره خروج فتاة من الباب ، فسألها الامام :

- صاحب الدار حرّ أم عبد ؟!

فقلت :

- بل هو حرّ !

- صدقت لو كان عبداً لخاف مولاه !

وعندما سمع «بشر» بما جرى ترك شلّته وهرع حافياً ولحق بالامام ليعلن توبته ويصبح
 واحداً من أشهر الزهّاد - المترجم .

الهي ! وأنا عبدك الغارق في الذنوب اغفر لي ذنوبي كلّها فأنّه لا يغفر الذنوب
كلّها جميعاً أحد سواك .

الهي ! وفّقني أنا عبدك العاجز إن أنهض بهذا العبّ الثقيل فأغوص في بحر
عبدك ووليّك وزين عبادك فاستنير بنوره الذي هو نورك واتزوّد من علومه التي
هي قبس من فضلك ورحمتك .

الهي !

قَوْ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي!

وَأَشْدُدْ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوَانِحِي!

أجل كلّ هذا من لطف حبّك وظهور كلّ حقيقة رهن عنايتك وكرمك ولو لا
فضلك ورحمتك ، ما أشرقت على فؤادي فكرة القيام بأيّ عمل ايجابي ولا خطر
في بالي خاطر أخلاقي ؛ ولو لا لطفك ما انتدحت في أعماقي شرارة الشوق إلى
أتباع عبادك من آل رسولك الكريم الذين اصطفيتهم !

أجل ان كلّ الحقائق في أيّ شكل وصورة ما كان لها أن تظهر لو لا فضلك
ورأفتك !

وهل تنكر العقول كلّ العقول وعلى مدى العصور والفصول نورك ؛ الذي هو نور
السموات والأرض ؟!

الفقير

حسين انصاريان

قُبس من حياة

الإمام علي بن الحسين زين العابدين - عليه السلام -

ولادته

ولد الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام على ما هو مشهور في الروايات التاريخية في يوم الخميس الخامس من شهر شعبان سنة ٣٨ للهجرة المباركة في المدينة المنورة.

أبوه الامام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام وأمّه امرأة كريمة تدعى «سلافة» وكان الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قد سمّاها «مريم» وقد ورد في الروايات أنّ لها أسماء أخرى هي: «شهربانو» و «غزالة» و «شاه زنان» و «شاه جهان» و «جهان بانو» و «خولة» ويدلّ مجموع هذه الروايات^(١) على أنّ الأسماء أعلاه هي لشخص واحد أو امرأة واحدة ينحدر نسلها من الأسرة الساسانية التي حكمت إيران قبل الفتح الإسلامي.

ولهذا فقد عرف الامام علي بن الحسين بـ «ابن الخيرتين» وذلك استناداً إلى الحديث النبوي الشريف:

١. بحار الأنوار: ٤/٤٦ - ١٦؛ مناقب ابن شهر آشوب: ١٦٧/٤، ١٧٦؛ ربيع الابرار: ١/٤٠٢؛ كشف الغمة: ٧٣/٢، ١٠١، ١٠٥؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٤٠، ٢/١٢٨؛ بصائر الدرجات: ٣٥٥/٧؛ الارشاد، للشيخ المفيد: ١٣٧/٢؛ الكافي: ٤٦٦/٦؛ اعلام الوري: ١/٤٨٠؛ الصراط المستقيم: ١٣٨/٣؛ العدد القوية: ٥٥؛ الدروس الشرعية: ١٢/٢.

بِه مِنْ عِبَادِهِ خَيْرَتَانِ، فَخَيْرَتُهُ مِنَ الْعَرَبِ قُرَيْشٌ وَمِنْ الْعَجَمِ فَارُسٌ.^(١)

ويذهب البعض إلى أنّ والدته هي بنت كسرى يزددجرد آخر الأكاسرة الساسانيين، غير أنّه من الصعب اثبات ذلك فالشهيد مطهري يصرح في كتابه «الإسلام وإيران» قائلاً: «أنه من الصعوبة بمكان إثبات أن والدته الإمام السجّاد عليه السلام هي ابنة كسرى يزددجرد إلّا أن ما يبدو واضحاً أنّها كانت من نسل الأسرة الساسانية التي كانت تحكم إيران».^(٢)

وقد روي عن الإمام زين العابدين قوله:

أَنَا ابْنُ الْخَيْرَتَيْنِ.^(٣)

ذلك أنّ النبي ﷺ من خيرة قريش والعرب وأمّه من خيرة العجم وهم الفرس الساسانيّين.

وروي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله:

وَهِيَ أُمُّ الْأَوْصِيَاءِ الذُّرِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ.^(٤)

ألقابه

يذهب البعض إلى أنّ الإمام زين العابدين هو الابن الأكبر للإمام الحسين عليه السلام وأنّ له أخوين كلاهما إسمه علي وهذا يعكس حبّ الإمام الحسين عليه السلام لوالده

١. المناقب، ابن شهر آشوب: ١٦٧/٤؛ بحار الأنوار: ٤٦/٤؛ ربيع البرار: ٤٠٢/١.

٢. الإسلام وإيران: ١٠٨ وانظر أيضاً: الحياة الفكرية والسياسية لأئمة الشيعة، لرسول جعفریان: ٢٥٩.

٣. المناقب، ابن شهر آشوب: ١٦٧/٤؛ بحار الأنوار: ٤٦/٤؛ ربيع البرار: ٤٠٢/١.

٤. الخرائج والجرائح: ٧٥١/٢؛ بحار الأنوار: ٤٦/١١.

العظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفي هذا يكمن درس للأمة الإسلامية في انتخاب الأسماء للمواليد، حيث ينبغي انتخاب اسم مشرق ينطوي على مضامين أخلاقية وإنسانية مشرقة ومن المؤكد أن الاسم يؤثر على نحو ما في بلورة شخصية الطفل.

وفيما يخص ألقاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقد ورد في الروايات أنه كان يعرف بألقاب عديدة في طليعتها:

سيد العابدين، زين الصالحين، وارث علم النبيين، وصي الوصيين، خازن وصايا المرسلين، امام المؤمنين، منار القانتين والخاشعين، المتهجد، الزاهد، العابد، العدل، السجاد، البكاء، ذوالثغفات (مجل يظهر على الجبهة بسبب كثرة السجود)، امام الأمة، أبو الأئمة، الحبيب، الزكي، الأمين، زين العابدين.

زين العابدين

وهو من أشهر ألقاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام وفيما يلي روايتان حول ذلك:

١ - عَنْ عِمْرَانَ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: كَانَ الزُّهْرِيُّ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: وَلِمَ تَقُولُ لَهُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ؟ قَالَ: لِأَنِّي سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ أَيْنَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَلَدِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَخْطُرُ بَيْنَ الصُّفُوفِ. (١)

١. بحار الأنوار: ٣/٤٦؛ علل الشرايع: ١/٢٣٠.

٢- وجاء في الروايات أنه:

كَانَ سَبَبَ لَقَبِهِ بَزِينِ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ كَانَ لَيْلَةً فِي مِحْرَابِهِ قَائِمًا فِي تَهَجُّدِهِ فَتَمَثَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ ثُعْبَانٍ لِيَشْغَلَهُ عَنْ عِبَادَتِهِ فَلَمَّ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ فَجَاءَ إِلَى إِبْهَامِ رِجْلِهِ فَالْتَقَمَهَا فَلَمَّ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ فَالَمَهُ فَلَمَّ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ لَهُ فَعَلِمَ أَنَّهُ شَيْطَانٌ فَسَبَّهُ وَلَطَمَهُ وَقَالَ أَحْسَا يَا مَلْعُونُ فَذَهَبَ وَقَامَ إِلَى إِيْتِمَامٍ وَرَدَّهُ فَسَمِعَ صَوْتًا وَلَا يَرَى قَائِلَهُ وَهُوَ يَقُولُ أَنْتَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ ثَلَاثًا فَظَهَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَاشْتَهَرَتْ لِقَبًا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

عبادته

ورد في الروايات التاريخية أن الإمام علي بن الحسين إذا فرغ من الوضوء للصلاة انتابته رعدة ونفضة؛ تثير استغراب من يراه وعند ما سئل عن سبب ذلك أجاب:

ويحكم أتدرون إلى مَنْ أَقُومُ وَمَنْ أُرِيدُ اناجي؟!

وكان إذا توضأ أصفّر لونه وقال ابنه محمد الباقر عليه السلام:

كان علي بن الحسين يصلي في اليوم ألف ركعة؛ وكانت الريح تميله كالسنبله وكان يملك خمسمئة نخلة فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين .
وكان ذات يوم ساجداً فاشتعلت النار في داره .

وَوَقَعَ حَرِيقٌ فِي بَيْتٍ هُوَ فِيهِ سَاجِدٌ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ النَّارُ
النَّارُ فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى أُطْفِئَتْ فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ قُعُودِهِ مَا الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْهَا قَالَ

١. بحار الأنوار: ٥/ ٤٦؛ كشف الغمّة: ٢/ ٧٤.

أَلْهَثْنِي عَنْهَا النَّارُ الْكُبْرَى. (١)

إلى هذا الحد يستغرق الإمام في صلاته حتى أنه لا يشعر بشيء مما حوله حتى لو كان ذلك السنة النار!!

يقول الامام علي أمير المؤمنين (ع):

إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً، فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ؛ وَ آخَرِينَ عَبَدُوهُ رَغْبَةً، فَتِلْكَ عِبَادَةُ التَّجَارِ؛ وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا، فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ. (٢)

هذه هي عبادة الانسان الحر انه ينظر إلى معبوده وخالقه وبارئه فيراه أهلاً للعبادة فيعبده؛ هكذا يفكر الأحرار حيث ينظرون إلى فلسفة الخلق والوجود والعلاقة بين الله والانسان؛ فتأتي عبادتهم لا خشية من النار ولا طمعاً بالجنة وإنما هي خالصة نقيّة لا يشوبها شائب.

أجل كان الامام علي بن الحسين (ع) سيّداً للساجدين وزيناً للعابدين .. يصلي النوافل فاذا فاتته صلاة نافلة لسبب قاهر قضّاها في الليل .
وكان يوصي أبناءه بقضاء نوافل النهار في الليل إذا تعذّر على أحدهم أدائها في وقتها فيقول لهم:

يَا بُنَيَّ لَيْسَ هَذَا عَلَيْكُمْ بِوَاجِبٍ وَلَكِنْ أَحِبُّ لِمَنْ عَوَدَ مِنْكُمْ نَفْسَهُ عَادَةً مِنْ الْخَيْرِ أَنْ يَدُومَ عَلَيْهَا. (٣)

لقد ذاب كيانه في المطلق فلا تجد في أعماقه سوى الله .. الله وحده لا شريك له

١. نهج البلاغة: الحكمة ٢٣٧؛ المناقب، لابن شهر آشوب: ٢٩٠/٣؛ بحار الأنوار: ٨٠/٤٦.

٢. نهج البلاغة: حكمت ٢٣٧؛ غرر الحكم: ١٩٨؛ كشف الغمّة: ١٥٠/٢.

٣. بحار الأنوار: ١٩٧/٩٦؛ مستدرک الوسائل: ٣٥٣/٩؛ المناقب، لابن شهر آشوب: ١٦٥/٤.

يردد قوله عز وجل وأمره: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ولهذا فهو يتجه إليه بكل كيانه بكل خلية في جسمه يسبح الله خالق كل شيء يتوسل إليه شاكياً قلة الزاد مستمداً طاقته من الأمل بالله والتوكل عليه وحسن الظن به، مستسلماً لارادته عز وجل، مناجياً بصوت تمتزج فيه الدموع: الهي إن كان قل زادي في المسير إليك فلقد حسن ظني بالتوكل عليك.

الهي اذهلني عن اقامة شركك تنابع طولك!

فهو دليله في حياته هائماً بحبه مستأنساً بمناجاته معترفاً بعجزه عن بلوغ ثنائه ومجده وادراك كنه جماله؛ وهو بعد ذلك ملاذه لأنه ملاذ اللائذين ومعاذ العائذين وناصر المستضعفين.

يروى نجله الامام محمد الباقر عليه السلام قائلاً:

إِنَّ أَبِي عَلَيَّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَا ذَكَرَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ نِعْمَةً عَلَيْهِ إِلَّا سَجَدَ وَلَا قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا سُجُودٌ إِلَّا سَجَدَ وَلَا دَفَعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُ سُوءَ يَخْشَاهُ أَوْ كَيْدَ كَائِدٍ إِلَّا سَجَدَ وَلَا فَرَعَ مِنْ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ إِلَّا سَجَدَ وَلَا وَفَّقَ لِإِصْلَاحٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا سَجَدَ وَكَانَ أَثَرُ السُّجُودِ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِ سُجُودِهِ فَسُمِّيَ السَّجَّادَ لِذَلِكَ. ^(١)

وهذه مناجاته صلوات الله عليه الخمسة عشرة ودعاؤه المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي وأدعية الصحيفة السجادية تشهد له بأنه كان هائماً بالحب الإلهي حتى ان المرء لا يستطيع أن يواكب المديات التي بلغها أو يدرك اغوارها ويسبر

١. بحار الأنوار: ٦/ ٤٦؛ وسائل الشيعة: ٢١/ ٧.

دقائقها ومكنونها؛ فلا يتيسر ذلك إلا لمن وفقه الله لعبادته وذاق حلاوة حبه والانس به تبارك وتعالى.

روى الامام الصادق (ع):

إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (ع) إِذَا أَتَى الْمُلتَزِمَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ عِنْدِي أَفْوَاجاً مِنْ ذُنُوبٍ وَأَفْوَاجاً مِنْ خَطَايَا وَعِنْدَكَ أَفْوَاجٌ مِنْ رَحْمَةٍ وَأَفْوَاجٌ مِنْ مَغْفِرَةٍ، يَا مَنْ اسْتَجَابَ لِابْتِغَاثِ خَلْقِهِ إِلَيْهِ إِذْ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ اسْتَجِبْ لِي»^(١).

وقال طاوس اليماني:

رأيت في جوف الليل رجلاً متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

أَلَا أَيُّهَا الْمَأْمُورُ فِي كُلِّ حَاجَتِي	شَكُوتُ إِلَيْكَ الضَّرَّ فَاسْمَعْ شِكَايَتِي
أَلَا يَا رَجَائِي أَنْتَ كَاشِفُ كُرْبَتِي	فَهَبْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا وَأَقْضِ حَاجَتِي
فَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مُبْلَغًا	أَلِلْزَادِ أَجْكَى أَمْ لِبُعْدِ مَسَافَتِي
أَتَيْتُ بِأَعْمَالٍ قَبَاحٍ رَدِيَّةٍ	فَمَا فِي الْوَرَى خَلْقُ جَنَى كَجِنَايَتِي
أَتُحْرِقُنِي بِالنَّارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى	فَأَيْنَ رَجَائِي مِنْكَ أَيْنَ مَخَافَتِي

قال: فتأملته فإذا هو علي بن الحسين (ع) فقلت: يا بن رسول الله ما هذا الجزع وأنت ابن رسول الله ولك أربع خصال: رحمة الله وشفاعة جدك رسول الله ﷺ وأنت إبنه وأنت طفل صغير فقال له:

يَا طَاوُسُ إِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَمْ أَرْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ وَأَمَّا كَوْنِي ابْنَ رَسُولِ

اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ وَأَمَّا كَوْنِي طِفْلاً فَأَنَا رَأَيْتُ الْحَطَبَ الْكِبَارَ لَا تَشْتَعِلُ إِلَّا بِالصَّغَارِ.

ثُمَّ بَكَى عَلَيْهِ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ. (١)

وجاء في مناقب ابن شهر آشوب: كُنْتُ أَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ لَيْلَةً فَإِذَا شَابُّ ظَرِيفُ السَّمَائِلِ وَعَلَيْهِ دَوَابَّتَانِ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ:

نَامَتِ الْعُيُونُ وَغَارَتِ النُّجُومُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ غَلَقْتَ الْمُلُوكَ أَبْوَابَهَا
وَأَقَامَتْ عَلَيْهَا حُرَاسَهَا وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ جَنَّتْكَ لِنْتَظُرَ إِلَيَّ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلُمِ يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوَى مَعَ السَّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفُذِكَ حَوْلَ الْبَيْتِ قَاطِبَةً وَأَنْتَ وَحْدَكَ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنَمْ
أَدْعُوكَ رَبِّ دُعَاءً قَدْ أَمَرْتَ بِهِ فَارْحَمْ بُكَائِي بِحَقِّ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يَرْجُوهُ ذُو سَرَفٍ فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالنِّعَمِ
قَالَ فَاقْتَفَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٢)

وروى طاوس الفقيه قال: سمعته ينادي الله قائلاً:

عَبِيدُكَ بِبَابِكَ، أَسِيرُكَ بِفِنَائِكَ، مُسْكِينُكَ بِفِنَائِكَ، سَائِلُكَ بِفِنَائِكَ، يَشْكُو إِلَيْكَ،
مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، لَا تَرُدَّنِي عَنْ بَابِكَ. (٣)

١. بحار الأنوار: ٩٦/ ١٩٨ - ١٩٩. ٢. بحار الأنوار: ٩٦/ ١٩٧.

٣. بحار الأنوار: ٤٦/ ٧٨؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ٤/ ١٤٨.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ كُثُومٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَذَكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَ فَاطِرَاهُ وَمَدَحَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ:

وَاللَّهِ مَا أَكَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الدُّنْيَا حَرَامًا قَطُّ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَمَا عَرِضَ لَهُ أَمْرَانِ قَطُّ هُمَا اللَّهُ رِضًا إِلَّا أَخَذَ بِأَشَدِّهِمَا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَمَا نَزَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ص نَازِلَةٌ قَطُّ إِلَّا دَعَاهُ ثِقَةً بِهِ وَمَا أَطَاقَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ ص مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَيْرُهُ وَإِنْ كَانَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ رَجُلٍ كَأَنَّ وَجْهَهُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَرْجُو ثَوَابَ هَذِهِ وَيَخَافُ عِقَابَ هَذِهِ وَلَقَدْ أَعْتَقَ مِنْ مَالِهِ أَلْفَ مَمْلُوكٍ فِي طَلَبِ وَجْهِ اللَّهِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ مِمَّا كَدَّ بِيَدَيْهِ وَرَشَحَ مِنْهُ جَبِينُهُ وَإِنْ كَانَ لَيَقُوتُ أَهْلَهُ بِالزَّيْتِ وَالْخَلِّ وَالْعَجْوَةِ وَمَا كَانَ لِبَاسُهُ إِلَّا الْكَرَابِيسَ إِذَا فَضَلَ شَيْءٌ عَنْ يَدِهِ مِنْ كَمِّهِ دَعَا بِالْجَلَمِ فَقَصَّصَهُ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَلَا أَهْلِ بَيْتِهِ أَحَدٌ أَقْرَبُ شَبَهًا بِهِ فِي لِبَاسِهِ وَفَقْهِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَقَدْ دَخَلَ أَبُو جَعْفَرٍ ابْنُهُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ فَرَأَاهُ وَقَدْ اصْفَرَّ لَوْنُهُ مِنَ السَّهَرِ وَرَمَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْبُكَاءِ وَدَبَّرَتْ جَبْهَتُهُ وَانْحَرَمَ أَنْفُهُ مِنَ السُّجُودِ وَقَدْ وَرَمَتْ سَاقَاهُ وَقَدَمَاهُ مِنَ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع فَلَمْ أَفْلِكَ حِينَ رَأَيْتُهُ بِتِلْكَ الْحَالِ الْبُكَاءِ فَبَكَيتُ رَحْمَةً لَهُ فَإِذَا هُوَ يُفَكِّرُ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ بَعْدَ هُنَيْئَةٍ مِنْ دُخُولِي فَقَالَ يَا بُنَيَّ أَعْطِنِي بَعْضَ تِلْكَ الصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا عِبَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَعْطَيْتُهُ فَقَرَأَ فِيهَا شَيْئًا يَسِيرًا ثُمَّ تَرَكَهَا مِنْ يَدِهِ تَضَجُّرًا وَقَالَ مَنْ يَقْوَى عَلَى عِبَادَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. (١)

ومن هنا نكتشف أنّ الإمام السجاد عليه السلام كان يترسم خطى جدّه أمير المؤمنين أو

١. بحار الأنوار: ٧٥/٤٦؛ وسائل الشيعة: ٩١/١؛ المناقب، لابن شهر آشوب: ١٤٩/٤.

يحاول ذلك ثم يصرّح قائلاً: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب؟!

وصدق رسول الله ﷺ عند ما قال:

يا علي! لا يعرف الله إلا أنا وأنت ولا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرفك إلا الله وأنا.

لقد كان الامام زين العابدين صورة أخرى تجسّدت فيها شخصيّة جدّه أمير المؤمنين حتّى لقد بهر معاصريه بعبادته فكان فريد عصره ووحيد دهره.
يقول طاووس الفقيه رأيته يطوف من العشاء إلى سحر ويتعبد فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال:

إِلَهِي غَارَتْ نُجُومُ سَمَاوَاتِكَ وَهَجَعَتْ عُيُونُ أُنَامِكَ وَأَبْوَابُكَ مُفْتَحَاتٌ
لِلسَّائِلِينَ جَنَّتْكَ لِتَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي وَتُرِينِي وَجْهَ جَدِّي مُحَمَّدٍ ص فِي
عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ بَكَى وَقَالَ وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِي مُخَالَفَتَكَ
وَمَا عَصَيْتُكَ إِذْ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِكَ شَاكٌّ وَلَا بِنِكَالِكَ جَاهِلٌ وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ
وَلَكِنْ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وَأَعَانَنِي عَلَى ذَلِكَ سَتْرُكَ الْمُرَحَى بِهِ عَلَيَّ فَالآنَ مِنْ
عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي وَبِحَبْلِ مَنْ أَعْتَصِمُ إِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي فَوَا سَوَاءتَاهُ
غَدَاً مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ إِذَا قِيلَ لِلْمُخَفِّينَ جُوزُوا وَلِلْمُثْقَلِينَ خُطُّوا أَمَعَ
الْمُخَفِّينَ أَجُوزُ أَمْ مَعَ الْمُثْقَلِينَ أَحْطُ وَيَلِي كُلَّمَا طَالَ عُمْرِي كَثُرَتْ خَطَايَايَ وَلَمْ
أَتُبْ أَمَا أَنْ لِي أَنْ أَسْتَحِي مِنْ رَبِّي ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ

أُخْرِقْنِي بِالنَّارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى فَأَيْنَ رَجَائِي ثُمَّ أَيْنَ مَحَبَّتِي
أَتَيْتُ بِأَعْمَالٍ قَبَاحٍ زَرِيَّةٍ وَمَا فِي الْوَرَى خَلْقُ جَنَى كَجَنَائِي
ثُمَّ بَكَى وَقَالَ سُبْحَانَكَ تُعْصَى كَأَنَّكَ لَا تَرَى وَتَحْلُمُ كَأَنَّكَ لَمْ تُعْصَ تَنَوَّدُ إِلَى

خَلَقَكَ بِحُسْنِ الصَّنِيعِ كَأَنَّ بِكَ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي الْغَيْبِيُّ عَنْهُمْ ثُمَّ
خَرَّ إِلَى الْأَرْضِ سَاجِدًا قَالَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَشُلْتُ بِرَأْسِهِ وَوَضَعْتُهُ عَلَى رُكْبَتِي
وَبَكَيْتُ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعِي عَلَى خَدِّهِ فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ مَنْ الَّذِي أَشْغَلَنِي
عَنِ ذِكْرِ رَبِّي فَقُلْتُ أَنَا طَاوُسٌ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا هَذَا الْجَزَعُ وَالْفَزَعُ وَنَحْنُ
يَلْزَمُنَا أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَ هَذَا وَنَحْنُ عَاصُونَ جَانُونَ أَبُوكَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَأُمُّكَ
فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَجَدُّكَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا
طَاوُسُ دَعِ عَنِّي حَدِيثَ أَبِي وَأُمِّي وَجَدِّي خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَأَحْسَنَ
وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَخَلَقَ النَّارَ لِمَنْ عَصَاهُ وَلَوْ كَانَ وَلَدًا قُرَشِيًّا أَمَا سَمِعْتَ
قَوْلَهُ تَعَالَى فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ وَاللَّهُ
لَا يَنْفَعُكَ غَدًا إِلَّا تَقْدِيمَةُ تَقْدِيمِهَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ. (١)

أجل لقد كان الامام زين العابدين متعلقاً بالملا الأعلى روحه في الاعالي
وجسمه في الأرض فاذا استغرق في الصلاة والعبادة ذهل عن كل شيء .
كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَأَصَابَتْهُ رِعْدَةٌ وَحَالَ أَمْرُهُ فَرَبِمَا سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ
مَنْ لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ فِي ذَلِكَ فَيَقُولُ إِنِّي أُرِيدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ مَلِكٍ عَظِيمٍ وَكَانَ إِذَا
وَقَفَ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يَشْتَغَلْ بِغَيْرِهَا وَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا لِيُشْغِلِهِ بِالصَّلَاةِ وَسَقَطَ بَعْضُ وَلَدِهِ
بَعْضَ اللَّيَالِي فَانْكَسَرَتْ يَدُهُ فَصَاحَ أَهْلُ الدَّارِ وَأَتَاهُمُ الْجِيرَانُ وَجِيءَ بِالْمُجْبَرِ فَجَبَرَ
الصَّبِيَّ وَهُوَ يَصِيحُ مِنَ الْأَلَمِ وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَسْمَعُهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ رَأَى الصَّبِيَّ يَدُهُ مَرْبُوطَةٌ
إِلَى عُنُقِهِ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرُوهُ. (٢)

١. بحار الأنوار: ٤٦ / ٨١ - ٨٢.

٢. بحار الأنوار: ٤٦ / ٨٠؛ المناقب، لابن شهر آشوب: ٤ / ١٥٠.

وروى ابن اخته السيّدة فاطمة بنت الحسين قال :

كَانَتْ أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ ع تَأْمُرُنِي أَنْ أَجْلِسَ إِلَى خَالِي عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ ع فَمَا جَلَسْتُ إِلَيْهِ قَطُّ إِلَّا قُمْتُ بِخَيْرٍ قَدْ أَفْذَنُهُ إِمَامًا خَشِيئَةً لِلَّهِ تَخْذُتُ بِهِ
فِي قَلْبِي لِمَا أَرَى مِنْ خَشِيئَتِهِ لِلَّهِ أَوْ عِلْمُ اسْتَفْذَنُتُهُ مِنْهُ. ^(١)

ووصفه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قائلاً :

مَا رَوَيْ فِي أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ^(٢)
وكان عبد الله بن عباس على تقدّمه في السنّ ينحني اجلالاً له وإذا رآه نهض
اعظاماً له قائلاً :

مرحباً بالحبيب ابن الحبيب. ^(٣)

ويقول ابن شهاب الزهري :

ما رأيت هاشمياً مثل علي بن الحسين عليه السلام. ^(٤)

الإمام السجّاد وعبد الملك بن مروان

ويروي الزهري أيضاً قال :

دَخَلْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
قَالَ فَاسْتَعْظَمَ عَبْدُ الْمَلِكِ مَا رَأَى مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ بَيْنَ عَيْنَيْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع
فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَقَدْ بَيَّنَّ عَلَيْكَ الْجَهْدُ وَلَقَدْ سَبَقَ لَكَ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى وَأَنْتَ

١. بحار الأنوار: ٧٣/٤٦؛ الارشاد، للشيخ المفيد: ١٤٠/٢؛ كشف الغمّة: ٨٤/٢.

٢. حياة الامام زين العابدين ، باقر شريف القرشي : ١٢٦/١ .

٣. تاريخ دمشق : ١٤٧/٣٦ . ٤. الأغاني : ٣٢٥/١٥ .

بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص قَرِيبُ النَّسَبِ وَكِيدُ السَّبَبِ وَإِنَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ وَذَوِي عَصْرِكَ وَلَقَدْ أُوتِيتَ مِنَ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالِدِينِ وَالْوَرَعِ مَا لَمْ يُؤْتَهُ أَحَدٌ مِثْلَكَ وَلَا قَبْلَكَ إِلَّا مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِكَ وَأَقْبَلَ يَتَنَبَّيْ عَلَيْهِ وَيُطْرِيه قَالَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع:

كُلُّ مَا ذَكَرْتَهُ وَوَصَفْتَهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَأْيِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ فَأَيُّ شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَقِفُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى تَرْمَ قَدَمَاهُ وَيُظْمَأُ فِي الصَّيَامِ حَتَّى يُعْصَبَ فُوهُ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَقُولُ ﷺ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَى وَأَبْلَى وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَاللَّهُ لَوْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَائِي وَسَأَلْتُ مُقْلَتَايَ عَلَى صَدْرِي لَنْ أَقُومَ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ بِشُكْرِ عَشْرِ الْعَشِيرِ مِنْ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ جَمِيعِ نِعَمِهِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَادُونَ وَلَا يَبْلُغُ حَدَّ نِعْمَةٍ مِنْهَا عَلَيَّ جَمِيعُ حَمْدِ الْحَامِدِينَ لَا وَاللَّهِ أَوْ يَرَانِي اللَّهُ لَا يَشْغَلْنِي شَيْءٌ عَنْ شُكْرِهِ وَذِكْرِهِ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ وَلَا سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ وَلَوْ لَا أَنَّ لِأَهْلِي عَلَيَّ حَقًّا وَلِسَائِرِ النَّاسِ مِنْ خَاصِّهِمْ وَعَامِّهِمْ عَلَيَّ حَقُّوqًا لَا يَسْغُنِي إِلَّا الْقِيَامُ بِهَا حَسَبِ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ حَتَّى أُؤَدِّيَهَا إِلَيْهِمْ لَرَمَيْتُ بِطَرْفِي إِلَى السَّمَاءِ وَبِقَلْبِي إِلَى اللَّهِ ثُمَّ لَمْ أَرْدُدْهُمَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِي وَهُوَ خَيْرُ الْخَاكِمِينَ وَبَكَى (ع) وَبَكَى عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ شَتَّانَ بَيْنَ عَبْدٍ طَلَبَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَبَيْنَ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا مِنْ أَيْنَ جَاءَتْهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ

أجل هكذا عاش الامام زين العابدين روحه العظيم في عالم آخر ولو لا حقوق أهله ومجتمعه لرمى بطرفه إلى السماء.

«لرميت بطرفي إلى السماء وقلبي إلى الله ثم لم ارددهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين».

ولو تأمل المرء في حقيقة الدنيا لراها ظلاً عابراً ورأى الحياة فيها موتاً والغنى فقراً والفرح حزناً ورأى مآل العافية والصحة إلى اسقام وآلام ومصير القوة إلى الضعف ولرأى العزة فيها تنتهي إلى الهوان والانسان فيها يمشي باتجاه النهاية يقترب من أجله لحظة بعد أخرى وصدق الشاعر عند ما يقول:

دَقَاتِ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ أَنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي

من أجل ذلك فان الانسان الالهي يتطلع إلى الحياة الآخرة معرضاً عن الحياة الدنيا الزائلة متّجهاً إلى الحياة الخالدة.

ولقد كان الامام علي عليه السلام يردّد قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وكان حفيده زين العابدين يتوق إلى ذلك العالم المفعم بالسلام المغمور بنور الله نور السماوات والأرض.

الامام السجاد عليه السلام وعبدالله بن مبارك

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُبَارَكٍ قَائِلًا: حَجَجْتُ بَعْضَ السَّنِينَ إِلَى مَكَّةَ فَبَيْنَمَا أَنَا سَائِرٌ فِي عَرْضِ الْحَاجِ وَإِذَا صَبِيٌّ سُبَاعِيٌّ أَوْ ثُمَانِيٌّ وَهُوَ يَسِيرُ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْحَاجِ بِلا زَادٍ وَلَا رَاحِلَةٍ فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: مَعَ مَنْ قَطَعْتَ الْبَرَّ؟ قَالَ: مَعَ

١. سورة القصص: ٨١.

البار فكَبَّرَ فِي عَيْنِي فَقُلْتُ: يَا وَلَدِي أَيْنَ زَادُكَ وَرَاحِلَتُكَ؟ فَقَالَ: زَادِي تَقْوَايَ وَرَاحِلَتِي رَجَائِي وَقَصْدِي مَوْلَايَ فَعَظُمَ فِي نَفْسِي، فَقُلْتُ: يَا وَلَدِي مِمَّنْ تَكُونُ؟ فَقَالَ: مُطَلِبِي، فَقُلْتُ: أَيْنَ لِي، فَقَالَ: هَاشِمِي، فَقُلْتُ: أَيْنَ لِي؟ فَقَالَ: عَلَوِي فَاطِمِي، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي هَلْ قُلْتَ شَيْئاً مِّنَ الشَّعْرِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أُنْشِدْنِي شَيْئاً مِّنَ شَعْرِكَ فَأَنْشَدَ:

لَنَحْنُ عَلَى الْحَوْضِ رُوَادُهُ نَذُودُ وَنَسْقِي وَرَادُهُ
وَمَا فَازَ مَنْ فَازَ إِلَّا بِنَا وَمَا خَابَ مَنْ خُبْنَا زَادُهُ
وَمَنْ سَرَّنَا نَالَ مِنَّا السُّرُورَ وَمَنْ سَاءَنَا سَاءَ مِيلَادُهُ
وَمَنْ كَانَ غَاصِبِنَا حَقَّنَا فَيَوْمُ الْقِيَامَةِ مِيلَادُهُ

ثُمَّ غَابَ عَن عَيْنِي إِلَى أَنْ أَتَيْتُ مَكَّةَ فَقَضَيْتُ حَاجَتِي وَرَجَعْتُ فَأَتَيْتُ الْأَبْطَحَ فَإِذَا بِحَلَقَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ فَاطْلَعْتُ لِأَنْظُرَ مَنْ بِهَا فَإِذَا هُوَ صَاحِبِي فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ هَذَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ (ع). (١)

جوانب من شخصية الامام زين العابدين

بالرغم من الظروف العصيبة التي مرّت بالامام زين العابدين، فقد كان يمثل نقطة السلام في عصره تجلّت شخصيته بكلّ أبعادها وجوانبها فاذا هو الحليم والسخي والامين والعطوف وكانت نفسه الكبيرة تتدفّق حناناً على الجميع، بما في ذلك الذين يتصرّفون معه بعنف وخشونة وقسوة.

يقول الامام (ع) واصفاً الظروف الاجتماعية ومجد أهل البيت (ع) في أبيات

١. المناقب، ابن شهر آشوب: ٤/١٥٥؛ بحار الأنوار: ٤٦/٩١؛ مستدرک الوسائل: ٣١/٨.

شعرية نسبت إليه :

نَحْنُ بَنُو الْمُصْطَفَى ذُوو عُصَصٍ يَجْرَعُهَا فِي الْأَنَامِ كَاطِمُنَا
عَظِيمَةٌ فِي الْأَنَامِ مِخْنَتُنَا أَوْلُنَا مُبْتَلَى وَآخِرُنَا
يَفْرَحُ هَذَا الْوَرَى بِعِيدِهِمْ وَنَحْنُ أَعْيَادُنَا مَاتِمُنَا
وَالنَّاسُ فِي الْأَمْنِ وَالسُّرُورِ وَمَا يَأْمَنُ طُولَ الزَّمَانِ خَائِفُنَا
وَمَا خُصِمْنَا بِهِ مِنَ الشَّرَفِ الطَّائِلِ بَيْنَ الْأَنَامِ آفَتُنَا
يَحْكُمُ فِينَا وَالْحُكْمُ فِيهِ لَنَا جَادِنَا حَقًّا وَغَاصِبُنَا

ذكرت بعض المدونات التاريخية ان الامام زين العابدين كان جالسا في المسجد النبوي وحوله بعض أصحابه فجاء رجل من بني عمه فشمته فلم يكلمه فلما انصرف قال لجلسائه لقد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردي عليه قال فقالوا له نفعل ولقد كنا نحب أن يقول له ويقول فأخذ نعليه ومشى وهو يقول والكاظمين الغيظ والغافين عن الناس والله يحب المحسنين فعلمنا أنه لا يقول له شيئا قال فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقال قولوا له هذا علي بن الحسين قال فخرج إلينا متوثبا للشر وهو لا يشك أنه إنما جاء مكافئا له على بعض ما كان منه فقال له علي بن الحسين يا أخي إنك كنت قد وقفت علي أنفا فقلت وقلت فإن كنت قلت ما في فاستغفر الله منه وإن كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك قال فقبل الرجل بين عينيه وقال بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحق به. (١)

١. بحار الأنوار: ٥٤/٤٦؛ الإرشاد، للشيخ المفيد: ١٤٥/٢؛ اعلام الوری: ٢٦١.

نفس كبيرة وقلب يتسع للناس جميعاً وحنان وعطف؛ مرَّ علي بنُ الحسين صلواتُ الله عليهما على المجذومين وهو راكبُ حِمَارِهِ وَهُمْ يَتَعَدُونَ فَدَعَوْهُ إِلَى الْغَدَاءِ فَقَالَ أَمَا إِنِّي لَوْ لَا أَنِّي صَائِمٌ لَفَعَلْتُ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ أَمَرَ بِطَعَامٍ فَصْنِعَ وَأَمَرَ أَنْ يَتَنَوَّقُوا فِيهِ ثُمَّ دَعَاهُمْ فَتَعَدُوا عِنْدَهُ وَتَعَدَى مَعَهُمْ^(١).

هكذا كان امامنا وسيّدنا سيّد الساجدين علي بن الحسين، أليس الأخرى بنا أن نفتدي به فنعطف على البؤساء والمرضى والفقراء، أليس لنا في رسول الله وأبناء رسول الله أسوة حسنة؟!

كان الامام زين العابدين يصفح عن الذين اساءوا اليه وعاملوه بقسوة.

فقد كان هشام بن إسماعيل المخزومي حاكماً على المدينة المنورة في عهد الوليد بن عبد الملك فلما عُزِلَ أَمَرَ بِهِ الْوَلِيدُ أَنْ يُوقَفَ لِلنَّاسِ قَالَ فَمَرَّ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع وَقَدْ أُوقِفَ عِنْدَ دَارِ مَرْوَانَ قَالَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ قَالَ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى خَاصَّتِهِ إِلَّا يُعْرَضُ لَهُ أَحَدٌ^(٢).

بل ان بعض المدونات التاريخية تقول أنّ الامام مرّ به وعرض عليه قضاء حوائجه ومساعدته فاهتزّ الحاكم المقال من منصبه بشدة وهتف أمام الجموع: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣).

وَدَعَا مَمْلُوكَهُ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَمَّا أَجَابَهُ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ أَمَا سَمِعْتَ

١. بحار الأنوار: ٥٥/٤٦؛ الكافي: ١٢٣/٢.

٢. كشف الغمة: ١٠٠/٢؛ بحار الأنوار: ٥٥/٤٦.

٣. سورة الأنعام: ١٢٤.

صَوْتِي قَالَ بَلَى قَالَ فَمَا لَكَ لَمْ تُجِبْنِي قَالَ أَمِنْتُكَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَمْلُوكِي يَأْمُنُنِي. (١)

وروى ابنه الامام محمد الباقر عليه السلام قال:

كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به، لا يعلم به أحد وكان يقول عليه السلام:

صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ.

وكان الفقراء والبؤساء في المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم فلما توفي الامام عليه السلام افتقدوا من كان يأتيهم ليلاً. (٢)

لقد كان الامام من أسخى الناس وأنداهم كفاً فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية ان محمد بن أسامة بن زيد مرض فعاده الامام عليه السلام؛ فجعل يبكي فقال له علي بن الحسين ما يبكيك قال يبكي ان علي خمسة عشر ألف دينار ولم أترك لها وفاء فقال له علي ب ن الحسين لا تبك فهي علي وأنت بريء منها فقضاها عنه. (٣)

وصادفه أحدهم في ليلة شتائية قارسة البرد وكان الامام يرتدي ثياباً منسوجة من الخزّ وقد تعطر بأغلى العطور فتساءل الرجل إلى أين في هذه الهيبة؟ فأجاب الامام عليه السلام: إلى مسجد جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أخطب الحور العين إلى الله عزّ وجلّ. (٤)

وكان الامام زين العابدين يبكر في الخروج لطلب الرزق.

١. بحار الأنوار: ٥٦/٤٦؛ كشف الغمة: ٨٧/٢؛ المناقب، لابن شهر آشوب: ١٥٧/٤.

٢. بحار الأنوار: ٨٨/٤٦؛ كشف الغمة: ٨٧/٢؛ المناقب، لابن شهر آشوب: ١٥٣/٤.

٣. بحار الأنوار: ٥٦/٤٦؛ الارشاد، للشيخ المفيد: ١٤٩/٢؛ مستدرک الوسائل: ٤٣٦/١٣.

٤. بحار الأنوار: ٥٩/٤٦؛ الكافي: ٥١٧/٦؛ وسائل الشيعة: ٢٢٨/٥.

فَقِيلَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَيْنَ تَذْهَبُ فَقَالَ:

أَتَصَدَّقُ لِعِيَالِي قِيلَ لَهُ أَتَتَصَدَّقُ قَالَ مَنْ طَلَبَ الْحَلَالَ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ
صَدَقَهُ عَلَيْهِ. (١)

وروى الامام محمد الباقر عليه السلام أن والده العظيم قال له:

مَرَضْتُ مَرَضًا شَدِيدًا فَقَالَ لِي أَبِي عليه السلام: مَا تَشْتَهِي؟ فَقُلْتُ: أَشْتَهِي أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ لَا
أَقْتَرِحُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي مَا يُدْبِرُهُ لِي، فَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ صَاهَيْتَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِ حَيْثُ قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: هَلْ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَ: لَا أَقْتَرِحُ عَلَى رَبِّي بَلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ. (٢)

جَعَلَتْ جَارِيَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تَسْكُبُ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ
فَسَقَطَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ يَدِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَجْهِهِ فَشَجَّهُ فَرَفَعَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام رَأْسَهُ
إِلَيْهَا فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ، فَقَالَ لَهَا: قَدْ كَظَمْتُ
غَيْظِي، قَالَتْ: وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، قَالَ لَهَا: قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، قَالَ: اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ. (٣)

وروى حفيده الامام جعفر الصادق عليه السلام قال:

كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ بَطَالٌ يُضْحِكُ النَّاسَ مِنْهُ فَقَالَ: قَدْ أَعْيَانِي هَذَا الرَّجُلُ أَنْ أَضْحَكُهُ
يَعْنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ فَمَرَّ عَلِيٌّ عليه السلام وَخَلْفَهُ مُوَلِّيَانِ لَهُ قَالَ: فَجَاءَ الرَّجُلُ حَتَّى اسْتَرْعَ
رِدَاءَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ ثُمَّ مَضَى فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عليه السلام فَاتَّبَعُوهُ وَأَخَذُوا الرِّدَاءَ مِنْهُ فَجَاءُوا بِهِ

١. بحار الأنوار: ٦٧/ ٤٦؛ الكافي: ١٢/ ٤؛ وسائل الشيعة: ٦٧/ ١٧.

٢. بحار الأنوار: ٦٧/ ٤٦؛ الدعوات، راوندی: ١٦٨؛ مستدرک الوسائل: ١٤٨/ ٢.

٣. بحار الأنوار: ٦٨/ ٤٦؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١٥٧/ ٤.

فَطَرَحُوهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ بَطَالٌ يُضْحِكُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: قُولُوا لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَوْمًا يَخْسِرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ. (١)

حادثة محيرة

وروى الامام الصادق عليه السلام أيضاً قال:

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام لَا يُسَافِرُ إِلَّا مَعَ رِفْقَةٍ لَا يَعْرِفُونَهُ وَيَسْتَرِطُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ خَدَمِ الرِّفْقَةِ فِيمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فَسَافَرَ مَرَّةً مَعَ قَوْمٍ فَرَأَهُ رَجُلٌ فَعَرَفَهُ فَقَالَ لَهُمْ: أَتَنْذَرُونَ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لَا قَالَ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَوَثَبُوا إِلَيْهِ فَقَبَّلُوا يَدَهُ وَرَجَلَهُ وَقَالُوا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَرَدْتَ أَنْ تُصَلِّيَنَا نَارَ جَهَنَّمَ لَوْ بَدَرْتَ مِنَّا إِلَيْكَ يَدٌ أَوْ لِسَانٌ أَمَا كُنَّا قَدْ هَلَكْنَا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ فَمَا الَّذِي يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ سَافَرْتُ مَرَّةً مَعَ قَوْمٍ يَعْرِفُونَنِي فَأَعْطُونِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَا أَسْتَحِقُّ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُعْطُونِي مِثْلَ ذَلِكَ فَصَارَ كِنَمَانُ أَمْرِي أَحَبَّ إِلَيَّ. (٢)

الحب والعدالة

وروى عليه السلام أيضاً:

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ عليه السلام حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: إِنِّي قَدْ حَجَجْتُ عَلَى نَاقَتِي هَذِهِ عِشْرِينَ حَجَّةً فَلَمْ أَقْرَعْهَا بِسَوْطِ قَرْعَةٍ فَإِذَا نَفَقَتْ فَأَذْفِنُهَا لَا تَأْكُلُ لَحْمَهَا السَّبَاعُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ بَعِيرٍ يُوقَفُ عَلَيْهِ مَوْقِفَ عَرْفَةَ سَبْعَ حَجَجٍ إِلَّا جَعَلَهُ

١. بحار الأنوار: ٦٨/ ٤٦؛ الأمالي، شيخ صدوق: ٢٢٠؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١٥٨/ ٤.

٢. بحار الأنوار: ٦٩/ ٤٦؛ عيون أخبار الرضا ١٤٥/ ٢٧.

الله مِنْ نَعَمِ الْجَنَّةِ وَبَارَكَ فِي نَسْلِهِ فَلَمَّا نَفَقَتْ حَفَرَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَدَفَنَهَا. ^(١)

غاية الجود والكرم

وروى الامام الصادق عليه السلام أيضاً قال :

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يَصُومُ فِيهِ أَمَرَ بِشَاةٍ فَتُدَبِّحُ وَتُقَطَّعُ
أَعْضَاءُ وَتُطَبِّخُ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ أَكَبَّ عَلَى الْقُدُورِ حَتَّى يَجِدَ رِيحَ الْمَرْقِ وَهُوَ صَائِمٌ
ثُمَّ يَقُولُ: هَاتُوا الْقِصَاعَ اغْرِقُوا لَيْلَ فُلَانٍ وَاعْرِقُوا لَيْلَ فُلَانٍ ثُمَّ يُؤْتَى بِخُبْزٍ وَتَمْرٍ فَيَكُونُ
ذَلِكَ عَشَاءَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ. ^(٢)

عطفه على البؤساء

يروى الإمام محمد الباقر عليه السلام عن والده العظيم قائلاً :

كَانَ عليه السلام لِيَخْرُجَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ فَيَحْمِلُ الْجِرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ وَفِيهِ الصُّرَرُ مِنَ
الدَّنَانِيرِ وَالذَّرَاهِمِ وَرُبَّمَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ الطَّعَامَ أَوْ الْحَطَبَ حَتَّى يَأْتِيَ أَبَاً بَاباً فَيَقْرَعُهُ
ثُمَّ يُنَاوِلُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ وَكَانَ يُعْطِي وَجْهَهُ إِذَا نَاوَلَ فَقِيراً لَيْلًا يَعْرِفُهُ فَلَمَّا تُوفِّي عليه السلام
فَقَدُوا ذَلِكَ فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَلَمَّا وُضِعَ عَلَى الْمُعْتَسِلِ نَظَرُوا إِلَى
ظَهْرِهِ وَعَلَيْهِ مِثْلُ رُكْبِ الْإِبِلِ مِمَّا كَانَ يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
وَلَقَدْ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَلَيْهِ مِطْرَفٌ خَرَّ فَتَعَرَّضَ لَهُ سَائِلٌ فَتَعَلَّقَ بِالْمِطْرَفِ فَمَضَى وَتَرَكَهُ
وَكَانَ يَشْتَرِي الْخَزَّ فِي الشِّتَاءِ وَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ بَاعَهُ فَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهِ وَلَقَدْ نَظَرَ عليه السلام يَوْمَ

١. بحار الأنوار: ٤٦ / ٧٠؛ ثواب الاعمال: ٥٠.

٢. الكافي: ٤ / ٦٨؛ من لا يحضره الفقيه: ٢ / ١٣٤؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ٤ / ١٥٥.

عَرَفَتْهُ إِلَى قَوْمٍ يَسْأَلُونَ النَّاسَ فَقَالَ: وَيَحْكُمُ أَغْيَرَ اللَّهِ تَسْأَلُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ إِنَّهُ لَيُرْجَى فِي هَذَا الْيَوْمِ لِمَا فِي بُطُونِ الْحَبَالَى أَنْ يَكُونَ سَعِيداً وَلَقَدْ كَانَ عِ يَابِي أَنْ يُوَاكِلَ أُمُّهُ فَقِيلَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُهُمُ لِلرَّحِمِ فَكَيْفَ لَا تُوَاكِلُ أُمَّكَ فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِي إِلَى مَا سَبَقَتْ عَيْنُهَا إِلَيْهِ وَلَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ حُبّاً شَدِيداً فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُحِبَّ فِيكَ وَأَنْتَ لِي مُبْغِضٌ وَلَقَدْ حَجَّ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ عِشْرِينَ حَجَّةً فَمَا قَرَّعَهَا بِسَوْطٍ فَلَمَّا نَفَقَتْ أَمَرَ بِدَفْنِهَا لَيْلًا يَأْكُلُهَا السَّبَاعُ وَلَقَدْ سُئِلَتْ عَنْهُ مَوْلَاهُ لَهُ فَقَالَتْ أَطْلُبُ أَوْ اخْتَصِرُ فَقِيلَ لَهَا: بَلِ اخْتَصِرِي فَقَالَتْ: مَا أَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ نَهَاراً قَطُّ وَمَا فَرَشْتُ لَهُ فِرَاشاً بَلِيلٍ قَطُّ وَلَقَدْ انْتَهَى ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ يَغْتَابُونَهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَعَفَرَ اللَّهُ لِي وَإِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ فَعَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَانَ عِ إِذَا جَاءَهُ طَالِبٌ عِلْمٍ فَقَالَ مَرْحَباً بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص ثُمَّ يَقُولُ إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لَمْ يَضَعْ رِجْلَيْهِ عَلَى رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا سَبَّحَتْ لَهُ إِلَى الْأَرْضَيْنِ السَّابِعَةِ وَلَقَدْ كَانَ يَعُولُ مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ فُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَحْضُرَ طَعَامَهُ الْيَتَامَى وَالْأَصْرَاءَ وَالرَّفْمَى وَالْمَسَاكِينَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَكَانَ يُنَاوِلُهُمْ بِيَدِهِ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَهُ عِيَالٌ حَمَلَ لَهُ إِلَى عِيَالِهِ مِنْ طَعَامِهِ وَكَانَ لَا يَأْكُلُ طَعَاماً حَتَّى يَبْدَأَ فَيَتَصَدَّقَ بِمِثْلِهِ. (١)

اعراضه عن بهارج الدنيا

كان الامام يرتدي الثياب المنسوجة من الصوف والتي عادة ما تمتاز بالغلظة والخشونة وربما قصد جبلاً في ضواحي المدينة فيصلّي فوق صخوره القاسية

١. بحار الأنوار: ٦٢/٤٦؛ وسائل الشيعة: ٣٩٧/٩؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١٥٣/٤.

يطيل السجود عليها باكياً منتحباً فلا يرفع رأسه حتّى يبدو وجهه مغموساً بالماء
بينما هو منقوع بالدموع. (١)

أنسه بكتاب الله عزّ وجل

وقد بلغ من استثناسه بكتاب الله العزيز أنّه قال :

لَوُمَاتٌ مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَمَّا اسْتَوْحَشْتُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ
مَعِيَ. (٢)

وكان أجمل الناس صوتاً في تلاوة القرآن الكريم «فربما مرّ به المار فصعق من
حسن صوته». (٣)

مجده الأخلاقي

لقد بلغ الامام زين العابدين الذروة في مجده الاخلاقي ؛ لتتأمل في ما كان
يفعله الامام عند حلول شهر رمضان المبارك .

يروى حفيده الامام جعفر الصادق (ع) قائلاً :

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ لَا يَضْرِبُ عَبْدًا لَهُ وَلَا أَمَةً
وَكَانَ إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ وَالْأَمَةُ يَكْتُبُ عَنْهُ أَذْنَبَ فَلَانٌ أَذْنَبَتْ فَلَانَةٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا
وَلَمْ يُعَاقِبْهُ فَيَجْتَمِعْ عَلَيْهِمُ الْأَدَبُ حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ

١. بحار الأنوار: ٤٦ / ١٠٨؛ الدعوات، راوندی: ٣٢.

٢. بحار الأنوار: ٤٦ / ١٠٧؛ الكافي: ٦٠٢ / ٢؛ وسائل الشيعة: ٣٣١ / ٥.

٣. بحار الأنوار: ٤٦ / ٦٩.

دَعَاهُمْ وَجَمَعَهُمْ حَوْلَهُ ثُمَّ أَظْهَرَ الْكِتَابَ ثُمَّ قَالَ: يَا فُلَانُ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ
أُؤَدِّبْكَ أَتَذْكُرُ ذَلِكَ فَيَقُولُ: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهِمْ
وَيُقَرَّرُ لَهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُومُ وَسَطَهُمْ وَيَقُولُ لَهُمْ ارْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ وَقُولُوا يَا
عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ إِنَّ رَبَّكَ قَدْ أَحْصَى عَلَيْكَ كُلَّ مَا عَمِلْتَ كَمَا أَحْصَيْتَ عَلَيْنَا كُلَّ
مَا عَمَلْنَا وَلَدَيْهِ كِتَابٌ يَنْطِقُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِمَّا
أَتَيْتَ إِلَّا أَحْصَاهَا وَتَجِدُ كُلَّ مَا عَمِلْتَ لَدَيْهِ حَاضِراً كَمَا وَجَدْنَا كُلَّ مَا عَمَلْنَا لَدَيْكَ
حَاضِراً فَاعْفُ وَاصْفَحْ كَمَا تَرْجُو مِنَ الْمَلِكِ الْعَفْوُ وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يَغْفُو الْمَلِكُ
عَنْكَ فَاعْفُ عَنَّا تَجِدْهُ عَفْوَاً وَبِكَ رَحِيماً وَلَكَ غُفُوراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا كَمَا
لَدَيْكَ كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ عَلَيْنَا لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِمَّا أَتَيْنَاهَا إِلَّا
أَحْصَاهَا فَادْكُرْ يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ذُلَّ مَقَامِكَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكَ الْحَكَمِ الْعَدْلِ الَّذِي
لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ وَيَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً
وَشَهِيداً فَاعْفُ وَاصْفَحْ يَعْفُ عَنْكَ الْمَلِكُ وَيَصْفَحُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَهُوَ يُنَادِي بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ
وَيُلَقِّنُهُمْ وَهُمْ يُنَادُونَ مَعَهُ وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمْ يَبْكِي وَيَنُوحُ وَيَقُولُ: رَبِّ إِنَّكَ
أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا وَقَدْ عَفَوْنَا عَمَّنْ ظَلَمْنَا كَمَا أَمَرْتَ فَاعْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ
أُولَى بِذَلِكَ مِنَّا وَمِنَ الْمَأْمُورِينَ وَأَمَرْتَنَا أَنْ لَا نَرُدَّ سَائِلاً عَنْ أَجْوَابِنَا وَقَدْ أَتَيْنَاكَ
سُؤَالاً وَمَسَاكِينَ وَقَدْ أَنْحَنَّا بِفِنَائِكَ وَبِبَابِكَ نَطْلُبُ نَائِلَكَ وَمَعْرُوفَكَ وَعَطَاءَكَ
فَامْنُنْ بِذَلِكَ عَلَيْنَا وَلَا تُخَيِّبْنَا فَإِنَّكَ أُولَى بِذَلِكَ مِنَّا وَمِنَ الْمَأْمُورِينَ إِلَهِي كَرُمْتَ
فَاكْرَمْنِي إِذْ كُنْتُ مِنْ سُؤَالِكَ وَجَدْتُ بِالْمَعْرُوفِ فَاحْلِطْنِي بِأَهْلِ نَوَالِكَ يَا كَرِيمُ
ثُمَّ يَقْبَلُ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ فَهَلْ عَفَوْتُمْ عَنِّي وَمِمَّا كَانَ مِنِّي إِلَيْكُمْ

مِنْ سُوءِ مَلَكَهٖ فَإِنِّي مَلِيكَ سُوءٍ لَّيِّمٍ ظَالِمٍ مَّمْلُوكٍ لِمَلِيكَ كَرِيمٍ جَوَادٍ عَادِلٍ
مُحْسِنٍ مُتَفَضِّلٍ فَيَقُولُونَ: قَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ يَا سَيِّدَنَا وَمَا أَسَأْتَ فَيَقُولُ لَهُمْ قُولُوا
اللَّهُمَّ اغْفِرْ عَنِّي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ كَمَا عَفَا عَنْكَ فَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ كَمَا أَعْتَقَ رِقَابَنَا
مِنَ الرِّقِّ فَيَقُولُونَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ اذْهَبُوا فَقَدْ عَفَوْتُ
عَنْكُمْ وَأَعْتَقْتُ رِقَابَكُمْ رَجَاءً لِلْعَفْوِ عَنِّي وَعَنْقِ رَقَبَتِي فَيُعْتَقُهُمْ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ
الْفِطْرِ أَجَازَهُمْ بِجَوَائِزَ تَصُونُهُمْ وَتُغْنِيهِمْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَمَا مِنْ سَنَةٍ إِلَّا
وَكَانَ يُعْتَقُ فِيهَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مَا بَيْنَ الْعَشْرَيْنِ رَأْسًا إِلَى أَقْلٍ
أَوْ أَكْثَرَ وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ
سَبْعِينَ أَلْفَ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كَلَّا قَدْ اسْتَوْجَبَ النَّارَ فَإِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ
شَهْرِ رَمَضَانَ أَعْتَقَ فِيهَا مِثْلَ مَا أَعْتَقَ فِي جَمِيعِهِ وَإِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ وَقَدْ
أَعْتَقْتُ رِقَابًا فِي مَلِكِي فِي دَارِ الدُّنْيَا رَجَاءً أَنْ يُعْتِقَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ وَمَا
اسْتَحْدَمَ خَادِمًا فَوْقَ حَوْلٍ كَانَ إِذَا مَلَكَ عَبْدًا فِي أَوَّلِ السَّنَةِ أَوْ فِي وَسْطِ السَّنَةِ
إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْفِطْرِ أَعْتَقَ وَاسْتَبَدَلَ سِوَاهُمْ فِي الْحَوْلِ الثَّانِي ثُمَّ أَعْتَقَ كَذَلِكَ
كَانَ يَفْعَلُ حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ تَعَالَى وَلَقَدْ كَانَ يَشْتَرِي السُّودَانَ وَمَا بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ
حَاجَةٍ يَأْتِي بِهِمْ عَرَفَاتٍ فَيَسُدُّ بِهِمْ تِلْكَ الْفُرْجَ وَالْخِلَالَ فَإِذَا أَفَاضَ أَمَرَ بِعِتْقِ
رِقَابِهِمْ وَجَوَائِزَ لَهُمْ مِنَ الْمَالِ. ^(١)

أما في مضمار علاقاته مع أقاربه وذوي رحمه فقد كان يساعدهم سرّاً فقد كان
يتردد ليلاً على منزل ابن عمّ له:

يأتيه بالليل مُتَكَرراً فَيَنَاولُهُ شَيْئاً مِنَ الدَّنَانِيرِ فَيَقُولُ: لَكِنْ عَلَيَّ بِنَ الْحُسَيْنِ لَا

١. بحار الأنوار: ١٠٣/٤٦؛ إقبال الأعمال: ٢٦٠؛ وسائل الشيعة: ٣١٧/١٠.

يُوَاصِلُنِي لَا جَزَاءَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَيَسْمَعُ ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَعْرِفُهُ بِنَفْسِهِ
فَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ عليه السلام فَقَدَهَا فَحِينَتِيذٍ عَلِمَ أَنَّهُ هُوَ كَانَ فَجَاءَ إِلَى قَبْرِهِ وَبَكَى عَلَيْهِ. ^(١)

وشتمه رجل في الطريق فأراد بعض غلمانہ تأديبه فمنعهم قائلاً:

- دعوه! فان ما خفي منّا أكثر ممّا قالوا.

والتفت إليه قائلاً:

- ألك حاجة؟!

فشعر الرجل بالخجل فأعطاه ردائه وأمر له بألف درهم فما كان من الرجل إلا
أن هتف عالياً:

- أشهد أنك ابن رسول الله! ^(٢)

وروى الامام الباقر عليه السلام عن والده العظيم قائلاً:

إِنَّ أَبِي ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ قَرْعَةً وَاحِدَةً بِسَوْطٍ وَكَانَ بَعَثَهُ فِي حَاجَةٍ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ
فَبَكَى الْغُلَامُ وَقَالَ: اللَّهُ يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ تَبْعَتْنِي فِي حَاجَتِكَ ثُمَّ تَضَرَّبْنِي
فَبَكَى أَبِي وَقَالَ: يَا بُنَيَّ اذْهَبْ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْ:
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ خَطِيئَتَهُ يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ: اذْهَبْ فَأَنْتَ
حُرٌّ لِرُوحِهِ اللَّهِ.

قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَانَ الْعِتْقُ كَفَّارَةً الضَّرْبِ فَسَكَتَ. ^(٣)

١. بحار الأنوار: ٤٦/ ١٠٠؛ كشف الغمة: ٢/ ١٠٧.

٢. بحار الأنوار: ٤٦/ ٩٥؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ٤/ ١٥٧.

٣. بحار الأنوار: ٤٦/ ٩٢؛ كتاب الزهد، حسين بن سعيد: ٤٣.

وجاء في الروايات:

سَبَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ فَسَكَتَ عَنْهُ فَقَالَ: إِيَّاكَ أُعْنِي فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَعَنْكَ أُغْضِي.

وَكَسَرَتْ جَارِيَةٌ لَهُ قَصْعَةً فِيهَا طَعَامٌ فَاصْفَرَّ وَجْهَهَا فَقَالَ لَهَا: اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ لَوَجْهِهِ
الله .

وَقِيلَ إِنَّ مَوْلَى لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَوَلَّى عِمَارَةَ ضَيْعَةٍ لَهُ فَجَاءَ لِيَطْلِعَهَا فَأَصَابَ
فِيهَا فُسَاداً وَتَضْيِيعاً كَثِيراً غَاضَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَاهُ وَعَمَّهُ فَقَرَعَ الْمَوْلَى بِسَوْطٍ كَانَ فِي يَدِهِ
وَنَدِمَ عَلَى ذَلِكَ فَلَمَّا انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ أَرْسَلَ فِي طَلَبِ الْمَوْلَى فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ عَارِياً
وَالسَّوْطَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ عُقُوبَتَهُ فَاشْتَدَّ خَوْفُهُ فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّوْطَ
وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: يَا هَذَا قَدْ كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْ مِنِّي مِثْلُهُ وَكَانَتْ هَفْوَةٌ وَرَلَّةٌ
فَدُونَكَ السَّوْطَ وَأَقْتَصَّ مِنِّي فَقَالَ الْمَوْلَى: يَا مَوْلَايَ وَاللَّهِ إِنْ ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّكَ تُرِيدُ عُقُوبَتِي
وَأَنَا مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ فَكَيْفَ أَقْتَصُّ مِنْكَ، قَالَ: وَيْحَكَ أَقْتَصَّ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْتَ فِي حِلٍّ
وَسَعَةٍ فَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مَرَّاراً وَالْمَوْلَى كُلَّ ذَلِكَ يَتَعَاطَمُ قَوْلَهُ وَيَجْلُلُهُ فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ يَقْتَصُّ
قَالَ لَهُ: أَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فَالضَّيْعَةُ صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا.

وَأَنْتَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمٍ يَغْتَابُونَهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَغْفَرَ اللَّهُ لِي
وَإِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ فَغْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ. (١)

بركة الخبز!

وروى ابن شهاب الزهري قال:

كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فجاءه رجل من أصحابه فقال له علي بن الحسين عليه السلام: ما خبرك أيها الرجل؟ فقال الرجل: خبري يا ابن رسول الله أني أصبحت وعلي أربعمائة دينار دين لا قضاء عندي لها ولي عيال ثقال ليس لي ما أعود عليهم به، قال: فبكى علي بن الحسين عليه السلام بكاء شديدا فقلت له: ما يبكيك يا ابن رسول الله؟ فقال:

وَهَلْ يُعَدُّ الْبُكَاءُ إِلَّا لِلْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ الْكِبَارِ؟ قَالُوا: كَذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: فَأَيَّةُ مِحْنَةٍ وَمُصِيبَةٍ أَعْظَمُ عَلَى حُرٍّ مُؤْمِنٍ مِنْ أَنْ يَرَى بِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ خَلَةً فَلَا يُمَكِّنُهُ سَدُّهَا وَيُشَاهِدُهُ عَلَى فَاقَةٍ فَلَا يُطِيقُ رَفْعَهَا، قَالَ: فَتَفَرَّقُوا عَنْ مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُخَالِفِينَ وَهُوَ يَطْعُنُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: عَجَبًا لَهُوْلَاءِ يَدْعُونَ مَرَّةً أَنْ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَكُلَّ شَيْءٍ يُطِيعُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَرُدُّهُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ طَلِبَاتِهِمْ ثُمَّ يَعْتَرِفُونَ أُخْرَى بِالْعَجْزِ عَنْ إِصْلَاحِ حَالِ خَوَاصِ إِخْوَانِهِمْ فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِالرَّجُلِ صَاحِبِ الْقِصَةِ فَجَاءَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بَلَّغْنِي عَنْ فُلَانٍ كَذَا وَكَذَا وَكَانَ ذَلِكَ أَعْلَى لَطْفٍ عَلَيَّ مِنْ مِحْنَتِي، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: فَقَدْ أَذِنَ اللَّهُ فِي فَرَجِكَ يَا فُلَانَةُ احْمِلِي سَحُورِي وَفَطُورِي.

فَحَمَلَتْ قُرْصَتَيْنِ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام لِلرَّجُلِ:

خُذْهُمَا فَلَيْسَ عِنْدَنَا غَيْرُهُمَا فَإِنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ عَنْكَ بِهِمَا وَيُنِيلُكَ خَيْرًا وَاسِعًا.

مِنْهُمَا فَأَخَذَهُمَا الرَّجُلُ وَدَخَلَ السُّوقَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ بِهِمَا يَتَفَكَّرُ فِي ثِقَلِ دَيْنِهِ وَسُوءِ حَالِ عِيَالِهِ وَيُوسَّسُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ أَيْنَ مَوْقِعُ هَاتَيْنِ مِنْ حَاجَتِكَ فَمَرَّ بِسَمِ الْكِ قَدْ بَارَتْ عَلَيْهِ سَمَكَةٌ قَدْ أَرَا حَتَّ فَقَالَ لَهُ: سَمَكَتُكَ هَذِهِ بَائِرَةٌ عَلَيْكَ وَإِحْدَى قُرْصَتَيِ هَاتَيْنِ بَائِرَةٌ عَلَيَّ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُعْطِيَنِي سَمَكَتَكَ الْبَائِرَةَ وَتَأْخُذَ

قُرْصَتِي هَذِهِ الْبَائِرَةَ.

فَقَالَ: نَعَمْ فَأَعْطَاهُ السَّمَكَةَ وَأَخَذَ الْقُرْصَةَ ثُمَّ مَرَّ بِرَجُلٍ مَعَهُ مِلْحٌ قَلِيلٌ مَزْهُودٌ فِيهِ
فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مِلْحَكَ هَذَا الْمَزْهُودَ فِيهِ بِقُرْصَتِي هَذِهِ الْمَزْهُودِ فِيهَا؟
قَالَ: نَعَمْ.

فَفَعَلَ فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالسَّمَكَةِ وَالْمِلْحِ فَقَالَ: أَصْلِحْ هَذِهِ بِهِذَا فَلَمَّا شَقَّ بَطْنَ السَّمَكَةِ
وَجَدَ فِيهِ لَوْلُوتَيْنِ فَأَخْرَجَهُمَا فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا فَبَيَّنَمَا هُوَ فِي سُورِهِ ذَلِكَ إِذْ قُرِعَ بِأَبْنَاهُ
فَخَرَجَ يَنْ طُرٌّ مِنَ الْبَابِ فَإِذَا صَاحِبُ السَّمَكَةِ وَصَاحِبُ الْمِلْحِ قَدْ جَاءَا يَقُولُ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ جَهْدْنَا أَنْ نَأْكُلَ نَحْنُ أَوْ أَحَدٌ مِنْ عِيَالِنَا هَذَا الْقُرْصَ فَلَمْ
تَعْمَلْ فِيهِ أَسْنَانُنَا وَمَا نَظْنُكَ إِلَّا وَقَدْ تَنَاهَيْتَ فِي سُوءِ الْحَالِ وَمَرَنْتَ عَلَى الشَّقَاءِ قَدْ
رَدَدْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْخُبْزَ وَطَيِّبْنَا لَكَ مَا أَخَذْتَهُ مِنَّا فَأَخَذَ الْقُرْصَتَيْنِ مِنْهُمَا فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بَعْدَ
انْصِرَافِهِمَا عَنْهُ قُرِعَ بِأَبْنَاهُ فَإِذَا رَسُولُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (ع) فَدَخَلَ فَقَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ لَكَ:
إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَتَاكَ بِالْفَرَجِ فَارْدُدْ إِلَيْنَا طَعَامَنَا فَإِنَّهُ لَا يَأْكُلُهُ غَيْرُنَا وَبَاعَ الرَّجُلُ اللَّوْلُوتَيْنِ
بِمَالٍ عَظِيمٍ قَضَى مِنْهُ دَيْنَهُ وَحَسُنَتْ بَعْدَ ذَلِكَ حَالُهُ فَقَالَ بَعْضُ الْمُخَالِفِينَ: مَا أَشَدَّ
هَذَا التَّفَاوُتَ بَيْنَا عَلِيَّ بْنِ الْحُسَيْنِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسُدَّ مِنْهُ فَاقَةٌ إِذْ أَغْنَاهُ هَذَا الْغَنَاءُ
الْعَظِيمُ كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَكَيْفَ يَعْجِزُ عَنْ سَدِّ الْفَاقَةِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الْغَنَاءِ الْعَظِيمِ
فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع): هَكَذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَيْفَ يَمْضِي إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدِسِ وَيُشَاهِدُ مَا فِيهِ مِنْ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ مَكَّةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مَنْ
لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا فِي اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَذَلِكَ حِينَ هَاجَرَ مِنْهَا
ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع): جَهْلُوا وَاللَّهِ أَمَرَ اللَّهُ وَأَمَرَ أَوْلِيَائِهِ مَعَهُ إِنْ الْمَرَاتِبَ
الرَّفِيعَةَ لَا تُتَالُ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَرَكَ الْاِقْتِرَاحَ عَلَيْهِ وَالرَّضَا بِمَا يُدْبِرُهُم

بِهِ إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ صَبَرُوا عَلَى الْمِحْنِ وَالْمَكَارِهِ صَبْرًا لَمْ يُسَاوِهِمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ فَجَازَاهُمْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ أَوْجَبَ لَهُمْ نُجْحَ جَمِيعِ طَلِبَاتِهِمْ لَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُرِيدُونَ مِنْهُ إِلَّا
مَا يُرِيدُهُ لَهُمْ. ^(١)

الامام السجّاد عليه السلام وهشام بن عبد الملك

حَجَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَلَمَّ يَقْدِرْ عَلَى الْاسْتِلامِ مِنَ الزَّحَامِ فَنُصِبَ لَهُ مِسْبَرٌ
فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَأَطَافَ بِهِ أَهْلُ الشَّامِ فَبَيَّنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيَّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبِهِمْ رَائِحَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَجَادَةٌ كَأَنَّهَا
رُكْبَةٌ عَنِّي فَجَعَلَ يَطُوفُ فَإِذَا بَلَغَ إِلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ تَنَحَّى النَّاسُ حَتَّى يَسْتَلِمَهُ هَيْبَةً
لَهُ فَقَالَ شَامِيٌّ مِنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟! فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ لِئَلَّا يَرُغَبَ فِيهِ أَهْلُ
الشَّامِ.

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ وَكَانَ حَاضِرًا: لَكِنِّي أَنَا أَعْرِفُهُ فَقَالَ الشَّامِي: مَنْ هُوَ يَا أَبَا
فِرَاسٍ؟ فَأَنْشَأَ قَصِيدَةً ذَكَرَ بَعْضَهَا فِي الْأَغَانِي وَالْحُلِيِّ وَالْحَمَاسَةِ وَالْقَصِيدَةِ بِتَمَامِهَا
هَذِهِ:

يَا سَائِلِي أَيْنَ حَلَّ الْجُودُ وَالْكَرَمُ	عِنْدِي بَيَانٌ إِذَا طَلَبْتَهُ قَدِمُوا
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائَتَهُ	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ	هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا الَّذِي أَحَمَدُ الْمُخْتَارُ وَالِدُهُ	صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهِي مَا جَرَى الْقَلَمُ
لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنُ مَنْ قَدْ جَاءَ يَلْتِمُهُ	لَخَرَّ يَلْتِمُ مِنْهُ مَا وَطِئَ الْقَدَمُ

١. بحار الأنوار: ٢٠/٤٦؛ الأمالي، شيخ صدوق: ٤٥٣؛ وسائل الشيعة: ٢٥/٤٥٤.

هَذَا عَلِيِّ رَسُولِ اللَّهِ وَالِدُهُ
هَذَا الَّذِي عَمَهُ الطَّيَّارُ جَعْفَرُ
هَذَا ابْنُ سَيِّدَةِ النَّسْوَانِ فَاطِمَةَ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرِهِ
يُنْمِي إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
يَتَجَابُ نُورُ الدَّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
يَكْفِيهِ خَيْرُ رَانَ رِيحُهُ عَيْقُ
مَا قَالَ لَا قَطَّ إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ
حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فَدَحُوا
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ
اللَّهُ فَضْلُهُ قَدَمًا وَشَرَفُهُ
مَنْ جَدَهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
عَمَ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ وَأَنْقَشَتْ
كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثُ عَمِ نَفْعُهُمَا

أَمَسَتْ بِنُورِ هُذَاهُ تَهْتَدِي الْأُمَمُ
وَالْمَقْتُولُ حَمَزَةٌ لَيْثٌ حُبُهُ قَسَمُ
وَابْنُ الْوَصِيِّ الَّذِي فِي سَيْفِهِ نِقَمُ
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
كَالشَّمْسِ يَتَجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلَمُ
مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
لَوْ لَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعَمُ
طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيَمُ وَالشَّيْمُ
حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا زَانَهُ الْكَلِمُ
بِجَدِهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهَا الْأُمَمُ
عَنْهَا الْعِمَايَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلَمُ
يَسْتَوَكِفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيْمُونًا نَقِيبَتُهُ
مِنْ مَعَشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ وَبُغْضُهُمْ
يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالْبَلَاؤُ بِحُبِّهِمْ
مُقَدَّمُ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
هُمُ الْغُيُوثُ إِذَا مَا أَزْمَتْ أَزْمَتُ
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ
لَا يَقْبِضُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَةَ ذَا
بُيُوتِهِمْ فِي قُرَيْشٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا
فَجَدُهُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَرْوَمَتِهَا
بَدْرٌ لَهُ شَاهِدٌ وَالشَّعْبُ مِنْ أَحَدٍ
وَحَبِيبٌ وَحَنِينٌ يَشْهَدَانِ لَهُ
مَوَاطِنٌ قَدْ عَلَتْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
فَغَضِبَ هِشَامٌ وَمَنْعَ جَائِزَتَهُ وَقَالَ: أَلَا قُلْتَ فِينَا مِثْلَهَا؟ قَالَ: هَاتِ جَدًّا كَجَدِهِ
وَأَبَا كَأَبِيهِ وَأُمَّا كَأُمِّهِ حَتَّى أَقُولَ فِيكُمْ مِثْلَهَا فَحَبَسُوهُ بِعُسْفَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَبَلَغَ

ذَلِكَ عَلِيَّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَالَ أَعْدِرْنَا يَا أَبَا فِرَاسٍ فَلَوْ كَانَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ هَذَا لَوَصَلْنَاكَ بِهِ فَرَدَهَا وَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا قُلْتُ الَّذِي قُلْتُ إِلَّا غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَمَا كُنْتُ لِأَرْزَأَ عَلَيْهِ شَيْئًا فَرَدَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَا قَبِلْتَهَا فَقَدْ رَأَى اللَّهُ مَكَانَكَ وَعَلِمَ نِيَّتَكَ فَقَبِلَهَا فَجَعَلَ الْفَرَزْدَقُ يَهْجُو هِشَامًا وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَكَانَ مِمَّا هَجَاهُ بِهِ قَوْلُهُ:

أُحْبِسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالتِّي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُبِيبُهَا
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادَ عُيُوبُهَا
فَأَخْبَرَ هِشَامٌ بِذَلِكَ فَأُطْلِقَهُ وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي بَكْرٍ الْعَلَّافِ أَنَّهُ أَخْرَجَهُ إِلَى
الْبَصْرَةِ. (١)

حقيقة الدعاء

تمثل الصحيفة السجّادية كنزاً عظيماً من كنوز المعارف الإلهية حيث تشتمل على أربعة وخمسين دعاءً ومناجاةً.

وتعد هذه الصحيفة الخالدة انعكاسات لأنوار القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى بما تشتمل عليه من المعارف والعلوم الربّانية والقيم الأخلاقية الرفيعة، ذلك أنّها تمثل التجرد التام من عالم المادّة والتوجّه الكامل إلى الله تبارك وتعالى ملاذ كلّ اللائذين ومعاذ كلّ العائذين.

إنّ الصحيفة السجّادية ترانيم ملائكية في صياغات بشرية فهي تكشف عن بلوغ الامام زين العابدين كانسان كامل إلى ذروة المعرفة بالله عزّ وجلّ وعمق

١. بحار الأنوار: ١٢٤/٤٦؛ مستدرک الوسائل: ٣٨٣/٩؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١٦٩/٤.

الحالة الايمانية الراسخة في أعماقه .

وتفتح هذه الصحيفة أمام البشر جميعاً أبواب الأمل بالله ورحمته الواسعة التي تغمر الوجود كلّ الوجود .

«إلهي إن كنت لا تغفر إلّا لأوليائك وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون؟!

ترسخ الصحيفة السجّادية مفهوم الدعاء كحقيقة كبرى من حقائق الحياة الانسانية؛ هذه الحقيقة التي لا يمكن للحياة أن تستمر بدونها .

ومع ان الصحيفة السجّادية كتاب روحي الا انه يشتمل على برامج تربوية ومناهج للتنمية الأخلاقية وترشيد السلوك الانساني يندر وجوده في كتاب آخر اضافة إلى ما اشتملت عليه من حقائق علمية لم تكن معروفة في عصره .

الغفلة عن حقيقة الدعاء

يذهب البعض إلى أنّ الدعاء حالة من التدخل في الشأن الالهي وتجاسر على الحقّ تبارك وتعالى وقلة أدب في رحابه سبحانه؛ ذلك ان الله عزّ وجلّ خبير بكلّ ما نحتاج إليه وكلّ ما نحتاج إليه مخلوقاته جميعاً وهو سبحانه محيط بمصالح عبيده فهو سبحانه يسدّ ما يلزمنا من حاجات .

أجل هكذا يسوق الغافلون عن حقيقة الدعاء حججهم الواهية في حين ان حقيقة الدعاء إنّما هي بالأساس تلبية واستجابة لأمر الله سبحانه اذ يقول في محكم كتابه العزيز :

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيِّدُ خُلُونِ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١﴾.

وكما هو واضح فإن الآية الكريمة أعلاه واضحة في دلالتها فهي تشتمل على أمر إلهي بالدعاء بل إن التكبر على هذا الأمر الرباني سوف يجزّ بالمستكبر إلى هاوية جهنم وبئس المصير؛ هذا أولاً؛ وثانياً أن معنى الدعاء في اللغة ليس تدخلاً في الشأن الإلهي لأنه لا يصدر عمّن هو في أدنى مرتبة إلى من هو أعلى، إنما هو العكس، حيث الدعاء حالة من التوسّل إلى الله عزّ وجلّ والتذلّل إليه وطلب منه سبحانه يجسّد حالة الاستجداء ويعبّر عن حقيقة الفقر الانساني إلى الغني المطلق. فالدعاء توسّلات من الانسان الضعيف الفقير البائس إلى الله الخالق المدبّر والغني المطلق وليس في هذا ما يتنافى مع العقل والمنطق والعرف.

ويقول آخرون لقد جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وإنّ الله قضاءً وقدرًا حتميّن ولا يمكن للانسان أن يطلب اجراء تعديلات في أمور تتعلّق بالارادة الالهية الحتمية! بل كيف يمكن أن يغيّر الدعاء شأنًا قد تعلّقت به المشيئة الالهية الحتمية والعلم الالهي؟!

وبالتالي فإنّ الدعاء أمر لا طائل من ورائه؟!

وفي معرض الجواب عن ذلك يجب القول ان مسألة الدعاء لا تخرج عن القضاء والقدر أي أن حركة الدعاء مثبتة في لوح القضاء والقدر فالانسان يجني ثمار حركته حيث يشكل الدعاء جزءً من سعيه وعمله.

ومن خلال الدعاء ينظم الانسان علاقته مع خالقه وربّه ومن خلاله أيضاً يطوي

الانسان مراحل الكمال المنشود فالرزق المعنوي والمادي مرهون كذلك بالدعاء ويمثّل الأنبياء والأوصياء والأولياء الطليعة والنخبة من بين البشر وقد كانوا يقضون أحلى وأجمل اللحظات في التواصل والمناجاة مع الله عزّ وجلّ .
والعطاء الالهي يتوقّف على دعاء البشر، وعندما يتكبر الانسان على الدعاء فسوف يكون نصيبه الحرمان .

وقد كان من رأي اليهود ان ارادة الله سبحانه محكومة بنظام العلة والمعلول فقالوا: انّ يد الله مغولة وجاء الردّ القرآني بل يده مبسوطتان .
لذا ينبغي أن ننظر إلى الدعاء على أنّه جزء من منظومة العلة والمعلومات إذا لا منافاة بينهما أبداً .

والدعاء في الحقيقة هو عين القضاء والقدر وهو جزء من الخطط والتدابير الالهية التي تسيّر الوجود، فكلّ ما يريده الانسان وكان في مصلحته موجود في خزائن ربّه وما عليه إلّا أن يدعو فيستجيب؛ لأنّ الدعاء يسهم في ترشيد حركة الانسان وسيره التكاملي .

دعاء العبد الحقيقي

جاء في أدبيات الدين الإسلامي: إنّ الله عزّ وجلّ يشفق إلى دعاء عبده؛ فإذا أقبل بالدعاء على ربّه أحبّه الله وإذا أعرض عن الدعاء فكأنّه أعرض عن الله .
وعندما يلهج الانسان بكلمات الدعاء متذللاً متضرّعاً متوسّلاً ثمّ تتجمّع الدموع في عينيه، هنالك تتشكّل سحب الرحمة الالهية وتهب نسائم اللطف الربّاني، وتفتتح خزائن الغيب، لأنّ الدعاء يمثل مفاتيح الرحمة واللطف الالهي

وحينئذٍ تحصل الاستجابة التي وعدّها الله عباده المخلصين؛ إذ قال عزّوجلّ: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

إنّ الانسان ينشد الراحة النفسيّة والشعور بالطمأنينة، ويخطئ من يتصوّر أن يحصل عليها من خلال الوسائل الماديّة؛ وهذه تجارب الانسان على مدى فصول التاريخ تدلّ على ان الانسان لا يمكنه أن يحصل على الصفاء الروحي والسكينة والشعور بالسلام إلّا من خلال تنظيم علاقته مع الله عزّوجلّ مبدأ الوجود.

فمن المستحيل أن يحصل الانسان على ما ينشده إلّا إذا لجأ إلى خالقه وربّه إلى المحبوب الحقيقي الحكيم العادل الرحيم الكريم القادر اللطيف، فهو وحده الذي ينقذ الانسان من الضياع والحيرة والقلق.

إنّ هذه الدنيا بكلّ بهارجها وزينتها ولذائدها لا يمكن الركون إليها والاعتماد عليها أنّها بمثابة من يبني صرّح سعادته على رمال ساحل بحر متلاطم الأمواج. ما الذي بوسع الانسان المادي أن يفعله إذا ما تعرّض لسهام الاقدار والحوادث وعاديات الزمن.

الدنيا كبحر محتدم بالأمواج والانسان فيه كمسافر في زورق ما الذي يمكنه أن يفعله إذا عصفت الرياح وأثارت الأمواج العنيفة؟!

إلى أيّة قوّة سوف يستند لمواجهة حوادث القدر؟! لسوف ينهار هذا الانسان ويشعر باليأس والانسحاق؛ الانسان المؤمن هو وحده الذي يشعر بالأمل لأن قلبه مفعم بالايمان.. الايمان يهبه الشعور بالطمأنينة والسلام، من أجل ذلك جاء في الأثر أنّ الدعاء سلاح الأنبياء، وهذا هو شعور الانسان الكامل أنّه يردّد دائماً.

رِضًا بِقَضَائِكَ وَتَسْلِيمًا لِأَمْرِكَ.^(١)

ان حذف الجانب الروحي في حياة الانسان والشطب على الحياة الروحية يعني التسبب في احداث أنواع الآلام في حياة الانسان ولسوف يعاني من يفعل ذلك من اضطرابات نفسية وشعور بالقلق وسوف تساوره المخاوف من حاصر قلق ومستقبل غامض؛ وهو اجس لا حصر لها تعصف بتفكيره وتفقده الاحساس بالاستقرار النفسي.

ان العلوم المادية لا تنفع إلا في مجال الأمراض الجسمية ولقد اذعن الطب لهذه الحقيقة في ان بعض الأمراض تعود إلى حالات نفسية؛ وفي وقت مبكر ظهرت عيادات الطب النفساني الذي سيبقى عاجزاً عن معالجة معظم الأمراض النفسية. وسيبقى الانسان يعاني من الاضطرابات النفسية والروحية إلى أن يلجأ إلى الايمان بالرسالات الالهية وإلى الوحي وإلى الرسل والأنبياء.

ولهذا فقد أذعن العلم الحديث إلى هذه الحقيقة وهي قدر الدين على حل مشكلات البشر النفسية.

يقول «ويليم جيمز» وهو أحد كبار العلماء في كتابه الطمأنينة النفسية والدين: «ان الايمان هو الطاقة الحقيقية التي يمتلكها الانسان وبدونها فإنه محكوم بالسقوط والانهيار».

الشرك وسقوط الانسان

يقول الله تبارك وتعالى:

١. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ: ٢٤٨.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(١).

وقد جاء في التفسير الأمثل في شرح الآية الكريمة أعلاه:

«ترسم الآية صورة حيّة ناطقة عن حال المشركين وسقوطهم وسوء طالعهم حيث تقول: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾».

السما هنا كناية عن التوحيد و«الشرك» هو السبب في السقوط من هذه السماء. ومن الطبيعي أن تكون في هذه السماء نجوماً زاهرة وشمساً ساطعة وقمرًا منيرًا، فطوبى لمن يكون شمساً أو قمرًا أو في الأقل نجماً متلألئاً، ولكن الانسان عندما يسقط من هذا المكان العالي، يبتلى بأحد أمرين، فأمّا أن يصبح طعاماً للطيور الجوارح أثناء سقوطه وقبل وصوله إلى الأرض؛ وبعبارة أخرى يبتلى بفقدانه هذا المكان السامي بأهوائه النفسية المعاندة حيث تأكل هذه الأهواء جانباً من وجوده.

وإذا نجا بسلام منها ابتلي بعاصفة هوجاء تلقيه في إحدى زوايا الأرض بقوة تفقده سلامته وحياته، ويتناثر بدنه قطعاً صغيرة في أنحاء المعمورة، وهذه العاصفة الهوجاء قد تكون كناية عن الشيطان الذي نصب شركه للانسان. ومما لا شك فيه أن الذي يسقط من السماء يفقد كلّ قدرة على اتخاذ قرار ما وتزداد سرعة سقوطه لحظة بعد أخرى نحو العدم ويصبح نسياً منسياً.

١. سورة الحج: ٣١.

حقاً أنّ الذي يفقد قاعدة السماء التوحيدية يفقد القدرة على تقرير مصيره بنفسه وكلّما سار في هذا الاتجاه ازداد سرعة نحو الهاوية وفقد كلّ ما لديه؛ ولا نجد تشبيهاً للشرك يضاهي هذا التشبيه الرائع»^(١).

مواجهة أمواج البلاء

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالْإِيمَانِ^(٢).

وما أروعها من عبارة تصف الحياة الانسانية بعمق وصدق هذه الحياة الدنيا كالبحر والحوادث كالأمواج ولا يمكن مواجهتها إلا بالدعاء واستمداد العون الالهي.

وقد أثبت التجارب ان الاضطرابات النفسية التي تحدث في داخل النفس، تنفضي في كثير من الأحيان إلى أمراض عضوية.

ومن هنا ندرك أهمية الدعاء ودوره في حياة الانسان، ذلك ان اللجوء إلى الله عزّ وجلّ في منعطفات الحياة وفي مواجهة التحديات، يؤدّي دوراً مصيرياً في تنمية الشخصية الانسانية والحفاظ على توازنها بل ويسهم في بنائها وتعزيز قدراتها.

وهذه حياة الامام زين العابدين، وهذا هو صلوات الله عليه يقف على هامة التاريخ بكلّ مجده الأخلاقي، مع انه واجه أعاصير المحن منذ أن فتح عينيه إلى أن توفاه الله إلى رحمته.

١. التفسير الأمثل: ٣٤٢/١٠.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٢٤٦.

كانت الأرض تتزلزل والأحداث والمآسي تعصف بالأمّة الإسلاميّة بدءاً بالغارات التي كان يشنّها الوالي المتمرد معاوية بعد حرب صفّين ومعركة النهروان ومروراً باغتيال جدّه الامام علي (ع) واستيلاء بني أميّة على الحكم بقوة الحديد والنار ومروراً بأكبر مأساة في تاريخ الاسلام وهي مذبحة عاشوراء التي شهدها بأمّ عينيه وكان في حينها في فراش المرض؛ فكان يدخل في حالة إغماء لهول ما يجري من جرائم مروّعة بلغت ذروتها في صعود الشمر على صدر أبيه سيّد الشهداء وذبحه من الوريد إلى الوريد ورفع الرأس المقدّس فوق رمح طويل ومن ثمّ الهجوم على المخيم واضرام النار في بعضها وفرار الأطفال والنساء ومن ثمّ سبيهنّ في موكب تتقدّمه رؤوس الشهداء فوق الرماح!

لقد كانت مأساة مروّعة بل أكبر مأساة في تاريخ الانسان.

ومع هول هذه المأساة إلّا أنّنا نجد الامام زين العابدين وقد كان في الثانية والعشرين من عمره يواجه طاغية عصره ويتّحداه وظلّ على مدى خمسة وثلاثين عاماً تلت تلك الحادثة المروّعة وما أعقبها من حوادث مزلزلة، ثابتاً كالجبل قوياً، بل وقَدّم إلى العالم وثيقة رائعة في الحقوق تحت عنوان رسالة الحقوق وأيضاً صحيفته الخالدة؛ كلّ ذلك بفضل انقطاعه إلى الله عزّ وجلّ وقيامه بالأسحار ومناجاته وأنسه بمحبوبه ومعبوده.

يقول صلوات الله عليه :

اللَّهُمَّ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ يَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ وَأَجْوَدَ مَنْ
أُعْطِيَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعْطِنِي سُؤْلِي فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَالِدِي
وَوُلْدِي وَأَهْلَ حُرَانَتِي وَإِخْوَانِي فِيكَ وَأَرْغِدْ عَيْشِي وَأُظْهِرْ مُرُوتِي وَأُصْلِحْ

جَمِيعَ أَحْوَالي وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ أَطْلَتْ عُمْرَهُ وَحَسَنْتَ عَمَلَهُ وَأَتَمَمْتَ عَلَيْهِ
نِعْمَتَكَ وَرَضِيتَ عَنْهُ وَأَخْيَيْتَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً. ^(١)

معرفة الله سبحانه

تطرقنا آنفاً إلى ذكر الصحيفة السجّادية على أنها كتاب دعاء يشتمل على أربعة وخمسين نصّاً وأشرنا إلى قضايا ذات صلة بالدعاء غير أنه ولكون الدعاء الأوّل من هذه الصحيفة المباركة يتعلّق بالحمد والثناء للحقّ تعالى، فانه من الضروري أن نتحدّث قليلاً عن «معرفة الله» التي تعدّ محوراً أساسياً لحركة الأنبياء والأئمّة والأولياء والعرفاء والحكماء.

وعندما نتحدّث عن هذا الموضوع فأنه ليس من باب اثبات وجود الباري تبارك وتعالى إذ أنه لا يوجد من ينكر وجود أصل هذه الحقيقة، بل ان الخطأ يحدث في المصداق؛ بمعنى ان البعض يتحدّث الطبيعة أو الدهر أو الصدفة كمبدأ للوجود وعندما يتساءل المرء هل ان الطبيعة التي أوجدت الكون أو الصدفة فعلت ذلك عن ارادة ووعي ونظم؟ فاذا كان الجواب بالايجاب؛ فان هذا اقرار بوجود الحق تبارك وتعالى إلّا أنّهم دعوه بغير اسمه، وإذا كان جوابهم ان الطبيعة لا تمتلك الارادة ولا النظم ولا الحكمة ولا العلم عندما أوجدت هذا العالم فكيف يصدر عن هذه القوّة العمياء التي تفتقد الارادة والحكمة والعلم عالم منظم في غاية الدقّة يسير وفق قوانين غاية في النظم؟! وبالتالي فان انكارهم إنّما يصدر عن غفلة أو عناد وإلّا فان كلّ هذه الآثار إنّما تدلّ عليه سبحانه وتعالى.

١. بحار الأنوار: ٩٥/٩١؛ المصباح، كفعمي: ٥٩٩؛ مصباح المتهجّد: ٥٩٣.

وقد جاء في كتاب التوحيد الذي أملاه الامام الصادق عليه السلام على أحد تلامذته ويدعى «المفضل» قوله عليه السلام:

فَكَرَّ يَا مُفَضَّلُ فِي أَعْضَاءِ الْبَدَنِ أَجْمَعَ وَتَدَبَّرِ كُلَّ مِنْهَا لِلإِزْبِ فَالْيَدَانِ لِلْعِلَاجِ
وَالرَّجْلَانِ لِلسَّعْيِ وَالْعَيْنَانِ لِلْإِهْتِدَاءِ وَالْفَمُ لِلْإِعْتِدَاءِ وَالْمَعِدَةُ لِلْهَضْمِ وَالْكَبِدُ
لِلتَّخْلِيصِ وَالْمَنَافِدُ لِتَنْفِيذِ الْفُضُولِ وَالْأَوْعِيَةُ لِحَمْلِهَا وَالْفَرْجُ لِإِقَامَةِ النَّسْلِ
وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَأَعْمَلْتَ فِكْرَكَ فِيهَا وَنَظَرَكَ وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ
مِنْهَا قَدْ قُدِّرَ لِشَيْءٍ عَلَى صَوَابٍ وَحِكْمَةٍ قَالَ الْمُفَضَّلُ فَقُلْتُ يَا مُؤَلَّيَّ إِنَّ قَوْمًا
يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ فَقَالَ سَلُّهُمْ عَنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ أَهِيَ شَيْءٌ لَهُ
عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ أَمْ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَإِنْ أُوجِبُوا لَهَا الْعِلْمَ
وَالْقُدْرَةَ فَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِثْبَاتِ الْخَالِقِ فَإِنَّ هَذِهِ صَنْعَتُهُ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهَا تَفْعَلُ
هَذِهِ الْأَفْعَالِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا عَمْدٍ وَكَانَ فِي أَفْعَالِهَا مَا قَدْ تَرَاهُ مِنَ الصَّوَابِ
وَالْحِكْمَةِ عُلِمَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لِلْخَالِقِ الْحَكِيمِ وَأَنَّ الَّذِي سَمَّوْهُ طَبِيعَةً هُوَ سُنَّةٌ
فِي خَلْقِهِ الْجَارِيَةُ عَلَى مَا أَجْرَاهَا عَلَيْهِ. (١)

ولقد كتب العلماء في هذا الصعيد الكثير من المقالات القيمة والأسفار والكتب القيمة وكلها تتمحور حول معرفة الله عز وجل التي تنبسط من خلال ثلاثة طرق هي:

١- الفطرة.

٢- التأمل في مظاهر الخلق.

٣- الاستدلال العقلي.

١. بحار الأنوار: ٣/ ٦٧، (توحيد المفضل).

الفطرة

هذا النبع في أعماق النفس الانساني حيث ينطوي على توجه نحو الخالق ومبدأ الوجود تماماً كالبوصله، فثمة مؤثر قوي يتجه إلى ان لهذا العالم خالقاً.

ولو أننا وضعنا طفلاً في مكان ما في احضان الطبيعة بعيداً عن ضجيج الحياة وصخبها؛ بحيث لا يلهيه عن وجوده ووجود مظاهر الخليقة من حوله شيء؛ فإنه ما من شك في انه سوف يتجه بفطرته وقلبه إلى وجود خالق لهذا العالم؛ ذلك انه سوف يدعن منذ البداية انه ليس من أوجد هذا العالم لأنه ما كان موجوداً ثم جاء.

ومن هنا فان فطرة الانسان الصافية تهتف بوجود خالق للشمس والقمر والنجوم والأشجار والأنهار وكل ما يرصده الانسان من مظاهر الطبيعة؛ كما انه وبحكم هذه الفطرة يدرك بأن الذي خلق هذا الكون الذي يسير وفق قوانين دقيقة منظمة إنما هو قادر حكيم عالم له ارادة ومشیئة.

أجل هذا هو نداء الفطرة وهذا هو مفهوم التوحيد الابراهيمي الذي يشير إلى وجود خالق للوجود، تجري أحكامه في ما خلق وهو فوق جميع الأحكام الجارية في خلقه و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) وأن صفاته وأسماءه هي عين ذاته ووجوده.

وإذا ما أردنا القول انّ الوجود هو علّة الوجود فان هذا يتصادم مع العقل والمنطق، فالوجود موجود وسوف لا يحتاج إلى موجد وذاته التي هي ذات الوجود مستقلّ عن كلّ شيء وهو مصدر كلّ كمال وظهور لكلّ موجود.

وإذا قلنا انّ العدم هو علّة الوجود فهذا كلام لا قيمة له ولا يستحقّ المناقشة

١. سورة الشورى: ١١.

وبطلانه واضح واذن فأنه هو سبحانه الأزلي الأبدى الحاكم على عالم الخليقة يفعل ما يشاء؛ وإلى هذا يشير القرآن الكريم في بيان حقيقة التوحيد:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. (١)

أجل ثمة توجه في أعماق البشر نحو الله عز وجل ولقد أودع سبحانه في فطرة عباده هذه النزعة وهذا التوجه وقد يتراكم فوق هذا الاحساس ضجيج الحياة وضجها إلا أنه يظهر قوياً واضحاً ومشرقاً في اللحظات المصيرية عندما يشعر الانسان بالخطر.

من هنا فان مسألة الفطرة من القوة والوضوح بحيث لا يمكن تجاوزها في الحديث عن مكونات الشخصية الانسانية؛ ذلك أنها مستودع السر الإلهي بما يميز آدمية الانسان عن سائر المخلوقات.

ولهذا نجد اذعاناً لدى المدارس الغربية بوجود الفطرة والتعبير عن ذلك في الحديث عن وجود «العقل الباطن» و«الاشعور» و«القانون الأخلاقي» (٢).

ومن هنا فان الشعور الأخلاقي والنزعة الدينية مودعة في أعماق الانسان قد جبل عليها في خلقه، وهي نابعة من فطرته وما أحلى وأورع المعارف التي يستقيها الانسان العارف من تلك الأعماق حيث تتدفق ينابيع الحكمة والحقائق المودعة في طواياها!

وقد ورد في الأثر ان الانسان إذا أخلص الله أربعين صباحاً جرت ينابيع

١. سورة الاخلاص.

٢. يقول الفيلسوف الالماني كانت: «شيطان يملآن نفسي اعجاباً؛ السماء المرصعة بالنجوم فوق رأسي، والقانون الأخلاقي في قلبي» وقد نقشت مقولته هذه على شاهدة القبر - المترجم.

الحكمة على لسانه .

وهنا نقطة الافتراق بين أهل العرفان والفلاسفة ، فالإنسان العارف يستند إلى قوة الحبّ والايان المودعة في فطرة الانسان ؛ فيسعى إلى ترسيخها وتقويتها ويعمل على تنميتها وذلك من خلال تركية القلب وتصفيته ؛ حيث القلب مرآة صافية تتلقى اشراقات الوعي والنور الالهي وهو الجزء النابض الذي يمجج بعاطفة الحبّ الالهي .

أما الفلاسفة وأهل الكلام فإنهم يبحثون عن ضالتهم من خلال الاستدلال العقلي .

العارف يسعى للتحليق على أجنحة الحب للوصول إلى المحبوب ؛ والفيلسوف يغوص في أعماق الفكر ليعثر على المعبود الذي يبحث عنه .

العارف ينشد الرؤية والشهود والفيلسوف ينشد العلم والمعرفة .

لقد اعترف علماء اوربا ومفكروها بدءاً من اليكسيس كارل ؛ ويليم جيمز والعالم الرياضي باسكال ؛ هنري برجسون ويونغ تلميذ فرويد بهذه الحقيقة الكبرى وهي الفطرة الانسانية وأنها جزء أساسي من مكونات الشخصية الانسانية^(١) .

١ . وفقاً لأدبيات الاسلام فإن الشخصية الانسانية تتألف من ستة عناصر أساسية هي :

- الفطرة التي مستودع النزعة الدينية ومجموع الفضائل .
- العقل الذي هو مركز المحاسبات المنطقية ودائرة التمييز .
- الارادة التي تعبّر عن حرية الانسان في اتخاذ القرار ومسؤوليته في نفس الوقت .
- الضمير الذي القانون الأخلاقي ، والقوة التي تمارس ضغطها على النفس لتصحيح

هذه الحقيقة التي صرَّح بها القرآن في قوله تعالى :
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١).
وإلى هذه الحقيقة أشار الامام السَّجَّاد (ع) في الدعاء الأوَّل من الصحيفة قائلاً:
إِبْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَ عَنْهُمْ عَلَى مَشِيئَتِهِ اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ
طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ. ^(٢)

اعتراف علماء المذهب المادي

جاء في كتاب «الاسلام والعقائد البشريَّة» :
أنَّه من المؤكَّد لو أنَّنا أجرينا دراسة دقيقة حول أدلَّة المؤمنين بوجود الله تعالى
لوجدنا في طبيعة أدلَّتْهم هو «الاحساس الفطري» الكامن في أعماقهم وهذا
الشعور أو العقل الباطن هو الدليل الأوَّل على ايمانهم بالله تعالى .
وهذا الميل الفطري والانجذاب النفسي إلى الله سبحانه يظل فاعلاً في داخل
النفس يواكب حركة الانسان عشرات السنين وقد يستغرق المرء في هموم الحياة
ويضيع في دروبها ويعتقن أفكاراً الحاديَّة وفلسفة ماديَّة غير ان قاربه الضائع بين

➤ السلوك .

- القلب وهو مركز العاطفة والجزء الذي يتلقَّى الاشراق والوعي .
- الالهواء : وهي مجموع الغرائز والشهوات التي تنشد الأَشْبَاع وهي الطاقة التي تحرِّك الانسان في الحياة .
- انظر : «الهوى» في حديث أهل البيت « محمد مهدي الآصفي ص ١٦ - ١٧ - المترجم .
- ١ . سورة الروم : الآية ٣٠ .
- ٢ . الصحيفة السَّجَّادِيَّة ، الدعاء الأوَّل .

أمواج الحياة يتجه في النهاية صوب شاطئ الايمان، فيجد الانسان نفسه يتضرع في رحاب الحنان الالهي.

ولدينا في هذا المضممار اعترافات فلاسفة ماديّين يعدون من أساطين الفلسفة الماديّة عبّروا عن ندمهم وتراجعوا عن أفكارهم الالحاديّة لينضوا تحت لافتة مكتوب عليها «فلاسفة نادمون».

فهذا الفيلسوف الالماني الشهير «راينغ» الذي بدأ مشواره كأشّد المؤيدين لـ «داروين» والذي يعدّ في طليعة فلاسفة الالحاد، انتهى به المطاف إلى أن يعلن ايمانه بوجود الخالق وأصدر كتابه المعروف «الدنيا مخلوق».

وأيضاً الفيلسوف الانجليزي «رومين» الذي كان يذهب إلى أن ظاهرة «الاله» هي نتاج عوامل ماديّة؛ حيث تنهض فلسفته على المذهب المادي، انتهى به الأمر إلى الادّعاء في ان لهذا العالم خالق واله، حيث اعترف بوجود «الشعور الباطن» والفطرة قائلاً:

ان كلّ مرتكزاتي العلميّة والفلسفيّة في مضممار ظهور العالم من المادّة العمياء هي مرتكزات واهية ومن المستحيل أن يوجد العالم من دون خالق حكيم مقتدر وهذا ما دلّني عليه احساس باطني وشعور عميق؛ أجل هذه هي الحقيقة، ان لهذا العالم خالق عظيم.

وهكذا بالنسبة للعالم الطبيعي والفيزيائي الانجليزي «ميكائيل فارادي» الذي كان يعتقد بأنّ العالم ليس إلّا مزيجاً من المركّبات حصلت بالصدفة، ولم يكن يعتقد بوجود الخالق الحكيم حيث أمضى عمره في بحوثه الفيزيائيّة والكيميائيّة، إلى أن لزم فراش المرض في عام ١٨٧٦ وعندما زاره أحد أصدقائه وسأله قائلاً:

- فارداي! ما هي نظريتك الجديدة؟

إذا به يجيب:

- أشكر الله لأنني لا أفكر في أية نظرية، لقد عفرت جبهتي في رحاب الله وجثوت أمامه معترفاً بعظمته! لقد قادني إلى هذه الحقيقة شعور باطن وكل هذه العلوم والظواهر الطبيعيّة تشهد بوجوده!

أنّي أعرف الهي الرحيم وواثق من أنّه سيغفر لي أنا الانسان العاجز الكسير القلب!

التأمل في مظاهر الطبيعة

ربما يعلو ضجيج الحياة الماديّة ويطغى صخب الحوادث وتشوش على الوجدان عربة الغرائز؛ وربما تعصف الأفكار الالحاديّة فيخبو نداء الفطرة ويتراجع صوت الضمير ويضيع الانسان في متاهات الحياة بعيداً عن الله سبحانه وتعالى غير أنّه عزّوجلّ قد كتب على نفسه الرحمة ومنح عباده العقول، مصابيح تضيء لهم الطريق إلى الحقيقة.

وهذا العالم العظيم بما يشتمل عليه من سماوات مرصعة بملايين ملايين النجوم وهذه الأرض بجبالها وأنهارها وأشجارها وبكلّ ما تشتمل عليه من مظاهر الطبيعة تدعو الانسان إلى أن يفكر.

ان بإمكان العقل هذا السراج المضيء أن يهتدي إلى الحقيقة ويكتشف الطريق إلى الحق، فالعقل رسول باطن يحثّ الانسان على الايمان بالله، وعندما يفكر الانسان في ظواهر الوجود ومظاهر العالم، فإنّه سيلتقي مع نداء الفطرة في انسجام

يقود الانسان إلى الايمان بوجود الخالق العظيم وحينئذ يصغي الانسان إلى رسل الله تبارك وتعالى ويلتزم شريعته التي تكفل له الوصول إلى السعادة.^(١)

الاستدلال العقلي

بالرغم من تعقيدات الاستدلال العقلي وتعدد منعطفات هذا الطريق إلا أنه يعدّ من أفضل الطرق وأكثر قوّة في بلوغ معرفة الله تبارك وتعالى .

وربما يتصوّر البعض ان الشريعة الاسلاميّة تنهى عن سلوك هذا الطريق وهذا تصوّر خاطئ وظن باطل ، بل ان القرآن الكريم يتضمّن حثّاً للانسان على سلوك هذا الطريق وذلك من خلال الآيات التي تتحدّث عن التوحيد الالهي والمعاد ، سواء جاءت مباشرة من الحقّ تعالى أو على لسان أنبيائه ورسله .

فهناك من الآيات ما تشير إلى فطرة الانسان فهي تذكر بها وأخرى تدعو الانسان إلى التأمل في آثار الخلق ومظاهر الطبيعة وظواهر الوجود وأخرى تطرح الاستدلال العقلي والبرهان المحض على وجود المعاد .

وتزخر كتب الحديث والروايات في باب التوحيد بمئات الأحاديث الشريفة عن النبي ﷺ وآله الأطهار التي تتضمّن الطرق الثلاثة الآتية الذكر .

غير ان أقصر الطرق وأقواها في بلوغ التوحيد الخالص هو الله سبحانه ذاته :

يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ.^(٢)

١ . سوف نبحت بالتفصيل هذا الطريق الذي يقود الانسان إلى معرفة الله في شرح الدعاء الأوّل من الصحيفة السجّادية .

٢ . بحار الأنوار: ٣٣٩/٨٤؛ شرح الاسماء الحسنی: ٥٠/١ .

بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ.^(١)

إِغْرِفُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالله.^(٢)

وهذا هو طريق الفطرة حيث يتجلّى التوحيد الالهي وتشرق أنواره على قلب الانسان وأنه لطريق صعب يتعيّن فيه على الانسان أن يطوي المسافات متأملاً في آثار الخلق ومملكة الوجود وهذا ما يذهب إليه العرفاء ويدعن له الفلاسفة والمتكلّمون.

يقول العالم الكبير الآخوند ملاً نعيماً الطالقاني وهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري في كتابه «أصل الأصول»:

«اعلم أنّ هذا المطلب الرفيع والمقصد السامي يعني ادراك التوحيد وفهم الحق، العروة الوثقى والعمدة القصوى وغاية درجات الكاملين وذروة آمال السالكين وأقصى أمانى الظامئين ونهاية آمال المشتاقين هو بلوغ الطريق الالهي المستقيم غير ان فهم هذه المطالب العالية والادراكات المتعالية يحتاج وبعد تحصيل القوّة القدسيّة والافاضات الربّانيّة والتوفيقات السبحانيّة إلى علل وأسباب كثيرة من قبيل:

المهارة والعادة والذهن المتألّق والاستعداد الخاص والتحليّ بالحقائق الروحيّة للمتقين وخصال عباد الله المخلصين والتزام آداب الشريعة في جميع الأمور والتمسك بحبل السنة الشريفة والقيام بالرياضات الشاقّة والمجاهدات الصعبة وسلوك الموت الارادي والابتعاد عن زخارف الدنيا والاقبال على جانب

١. بحار الأنوار: ٨٢/٩٥؛ إقبال الأعمال: ٦٧؛ المصباح، للكفعمي: ٥٨٨.

٢. بحار الأنوار: ٢٧٠/٣؛ الكافي: ٨٥/١، التوحيد: ٢٨٦.

الحق تعالى وبلوغ المراتب العليا والتنزه عن رسوم وعادات العوام والتطهر من ادران الطبيعة والشهوات ومكافحة الهواجس النفسانية واجتثاث الحالات الشيطانية وأسباب ووسائل اخرى رزقنا الله ايّاها جميعاً من فضله وكرمه». ويردف ملا نعيما بعد سطور قائلاً:

«انّ كلّ ما ورد ذكره في هذا المقام العظيم والمسألة المهمة لن يكون مجدياً وذا فائدة لمن لا يتحلّى بتلك المقدمات بل سوف يزداد المطلوب اختفاءً وابتعاداً فلا يصلون إلى الحقيقة.

ومن أجل ذلك فان من يبادر إلى استماع البراهين ويدرس الدلائل العمية من دون «الاستعداد» إنّما يلقي بنفسه إلى التهلكة ويضلّ الطريق إلى أصل المطلب وحقيقة الموضوع»^(١).

ومن الضروري الإشارة إلى أنّ هذا الشرح يجتنب ذكر البراهين والأدلة العقلية والفلسفيّة المعقّدة والتي هي أقوى الطرق في الوصول إلى المحبوب وأكثرها استحكاماً، ذلك ان معظم العرفاء في طريقهم إلى الحق هو الفطرة والتأمل في آثار الخلق وظواهر الوجود وبوسع الانسان أن يحلق بهذين الجناحين لبلوغ الكمال المنشود.

الهي !

يا بارئ الخلائق أجمعين وربّ العالمين ومحبوب المحبّين وغاية آمال العارفين !

١. أصل الاصول ، ملا نعيما: ١٠٣، الفصل الثالث، باب توحيد الواجب تعالى وأحديته وواحديته .

لولا كيد الضالِّين المضلِّين وملفقي العقائد المنحرفين وعبيد الشهوات وصخب الماديَّات لما حار الانسان في البحث عن فيض جودك.

ولولا هؤلاء الذين قعدوا في طريقك ويقطعون الطريق على من رام الوصول إليك لاهتدى عبادك إليك ولما احتاجوا إلى شرح وتفصيل وأدلة وبراهين ولقد قلت وقولك الحق:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١)

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾^(٢)

﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا﴾^(٣)

إلهنا وربنا فاجعل وجهتنا في الوصول إلى لطفك، وأعنا على معرفتك وليشرق نورك على قلوبنا ويضيء عقولنا وأرواحنا وأرزقنا الإقامة في بحبوحة جنائن معرفتك وحبك.

وأعني اللهم على القيام بشرح كلام وليك الذي افترضت طاعته على عبادك فما توفيقي إلا بك في سلوك الطريق إليك.

أرحم يا رب عبدك العاجز وقوّه على خدمتك والقيام بما أنت ألهمته القيام به يا أرحم الراحمين.

١. سورة ق: الآية ١٦.

٢. سورة الحديد: الآية ٤.

٣. سورة البقرة: الآية ١٤٨.

مقدّمة

في بيان أسانيد الصحيفة السجّاديّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدَّثَنَا أَلَسَيْدُ الْأَجَلُ، نَجْمُ الدِّينِ، بِهِاءِ الشَّرَفِ، أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ
أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ يَحْيَى الْعَلَوِيُّ الْحُسَيْنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ
السَّعِيدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَهْرِيَارَ، الْخَازِنُ لِخِزَانَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ قِرَاءَةً
عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ، قَالَ: سَمِعْتُهَا عَلَى الشَّيْخِ الصَّدُوقِ، أَبِي مَنْصُورٍ: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ
أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُكْبَرِيِّ الْمُعَدَّلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَبِي الْمُفَضَّلِ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْمُطَّلِبِ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الشَّرِيفُ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ
الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:
حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ خَطَّابِ الزِّيَّاتِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَ: حَدَّثَنِي
خَالِي: عَلِيُّ بْنُ الثُّعْمَانِ الْأَعْلَمُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ مُتَوَكَّلٍ الْتَقْفِيُّ الْبَلْخِيُّ، عَنْ أَبِيهِ
مُتَوَكَّلِ بْنِ هُرُونَ قَالَ: لَقِيتُ يَحْيَى بْنَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مُتَوَجِّهُ إِلَى خُرَاسَانَ بَعْدَ
قَتْلِ أَبِيهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قُلْتُ: مِنَ الْحَجِّ، فَسَأَلَنِي عَنْ أَهْلِهِ
وَبَنِي عَمِّهِ بِالْمَدِينَةِ، وَأَخْفَى السُّؤَالَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِهِ وَخَبَرَهُمْ
وَحُزْنَهُمْ عَلَى أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لِي: قَدْ كَانَ عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشَارَ

عَلَى أَبِي بَتْرَكِ الْخُرُوجَ وَعَرَفَهُ إِنَّهُ خَرَجَ وَفَارَقَ الْمَدِينَةَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ مَصِيرُ أَمْرِهِ،
فَهَلْ لَقِيتَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ
أَمْرِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: يَمْ ذَكَرَنِي؟ خَبِّرْنِي، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا أَحْبُّ أَنْ أَسْتَقْبَلَكَ بِمَا
سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَقَالَ: أَبَا الْمَوْتِ تَخَوُّفُنِي؟ هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ، فَقُلْتُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّكَ تُقْتَلُ
وَتُصَلَّبُ كَمَا قُتِلَ أَبُوكَ وَصَلَّبَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَقَالَ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ
أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ^(١)، يَا مُتَوَكِّلُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْدَ هَذَا الْأَمْرِ بِنَا وَجَعَلَ لَنَا الْعِلْمَ وَالسَّيْفَ
فَجُمِعَا لَنَا، وَخُصَّ بَنُو عَمَّنَا بِالْعِلْمِ وَحَدَّةٍ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَى ابْنِ
عَمِّكَ جَعْفَرَ عليه السلام أَمِيلَ مِنْهُمْ إِلَيْكَ وَإِلَى أَبِيكَ، فَقَالَ: إِنَّ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَابْنَهُ
جَعْفَرَ عليه السلام دَعَا النَّاسَ إِلَى الْحَيَاةِ وَنَحْنُ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا بْنَ رَسُولِ
اللَّهِ أَهْمُ أَعْلَمُ أَمْ أَنْتُمْ؟ فَاطَّرَقَ إِلَى الْأَرْضِ مَلِيئاً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: كُلُّنَا لَهُ عِلْمٌ غَيْرَ أَنَّهُمْ
يَعْلَمُونَ كُلَّ مَا نَعْلَمُ وَلَا نَعْلَمُ كُلَّ مَا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ قَالَ لِي: أَكْتَبْتَ مِنْ ابْنِ عَمِّي شَيْئاً؟ قُلْتُ:
نَعَمْ، قَالَ: أَرَنِيبِ، فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ وَجُوهاً مِنَ الْعِلْمِ وَأَخْرَجْتُ لَهُ دُعَاءَ أَمْلَاهُ عَلَيَّ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَبَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام أَمْلَاهُ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مِنْ دُعَاءِ
أَبِيهِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ دُعَاءِ الصَّحِيفَةِ الْكَامِلَةِ، فَنَظَرَ فِيهِ يَخْبِي حَتَّى أَتَى عَلَى
آخِرِهِ، وَقَالَ لِي: أَتَأْذَنُ فِي نَسْخِهِ؟ فَقُلْتُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَتَسْتَأْذِنُ فِيمَا هُوَ عَنْكُمْ؟! فَقَالَ:
أَمَّا لِأَخْرَجَنَّ إِلَيْكَ صَحِيفَةً مِنَ الدُّعَاءِ الْكَامِلِ مِمَّا حَفِظَهُ أَبِي عَنْ أَبِيهِ وَإِنَّ أَبِي أَوْصَانِي
بِصَوْنِهَا وَمَنْعِهَا غَيْرَ أَهْلِهَا. قَالَ عَمِيرٌ: قَالَ أَبِي: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ، وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ
يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي لَأَذِينُ اللَّهَ بِحُبِّكُمْ وَطَاعَتِكُمْ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسْعِدَنِي فِي حَيَاتِي

وَمَمَاتِي بَوْلًا يَتَكُمُّ. فَرَمَى صَحِيفَتِي الَّتِي دَفَعْتُهَا إِلَيْهِ إِلَى غُلَامٍ كَانَ مَعَهُ وَقَالَ: اكْتُبْ هَذَا الدُّعَاءَ بِحَطِّ بَيْنِ حَسَنِ وَاعْرِضْهُ عَلَى لَعْلَى أَخْفِظْهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَطْلُبُهُ مِنْ جَعْفَرٍ - حَفِظَهُ اللَّهُ - فَيَمْنَعُنِيهِ. قَالَ مُتَوَكِّلٌ: فَتَدِمْتُ عَلَى مَا فَعَلْتُ وَلَمْ أَذِرْ مَا أَصْنَعُ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام تَقْدَمَ إِلَيَّ إِلَّا أَدْفَعَهُ إِلَى أَحَدٍ، ثُمَّ دَعَا بِعَيَّيَّةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا صَحِيفَةً مُقْفَلَةً مَخْتومةً فَنَظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ وَقَبَّلَهُ وَبَكَى، ثُمَّ قَضَاهُ وَفَتَحَ الْقِفْلَ، ثُمَّ نَشَرَ الصَّحِيفَةَ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ وَأَمَرَهَا عَلَى وَجْهِهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ يَا مُتَوَكِّلُ لَوْلَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَمِّي إِنِّي أَقْتُلُ وَأُضْلِبُ لَمَّا دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ وَلَكُنْتُ بِهَا ضَنِينًا وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَهُ حَقٌّ أَخَذَهُ عَنْ أَبِيائِهِ وَأَنَّهُ سَيَصِحُّ فَخِفْتُ أَنْ يَقَعَ مِثْلُ هَذَا الْعِلْمِ إِلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فَيَكْتُمُوهُ وَيَذْخَرُوهُ فِي خَزَائِنِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، فَأَقْبِضُهَا وَأَكْفِنِيهَا وَتَرَبُّصُ بِهَا فَإِذَا قَضَى اللَّهُ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرٍ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاضٍ فَهِيَ أَمَانَةٌ لِي عِنْدَكَ حَتَّى تُوصِلَهَا إِلَى ابْنِ عَمِّي: مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فَإِنَّهُمَا الْقَائِمَانِ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَعْدِي. قَالَ الْمُتَوَكِّلُ: فَقَبَضْتُ الصَّحِيفَةَ فَلَمَّا قُتِلَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ صِرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَقِيتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ عَنْ يَحْيَى، فَبَكَى وَاشْتَدَّ وَجْدُهُ بِهِ، وَقَالَ: رَجِمَ اللَّهُ ابْنَ عَمِّي وَالْحَقُّ بِأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، وَاللَّهُ يَا مُتَوَكِّلُ مَا مَنَعَنِي مِنْ دَفْعِ الدُّعَاءِ إِلَيْهِ إِلَّا الَّذِي خَافَهُ عَلَى صَحِيفَةِ أَبِيهِ، وَأَيْنَ الصَّحِيفَةُ؟ فَقُلْتُ: هَا هِيَ، فَفَتَحَهَا وَقَالَ: هَذَا وَاللَّهُ حَطُّ عَمِّي زَيْدٍ وَدُعَاءُ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ: قُمْ يَا إِسْمَاعِيلُ فَأَتِنِي بِالدُّعَاءِ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِحِفْظِهِ وَصَوْنِهِ، فَقَامَ إِسْمَاعِيلُ فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً كَانَتْهَا الصَّحِيفَةُ الَّتِي دَفَعَهَا إِلَيَّ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ، فَقَبَّلَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ: هَذَا حَطُّ أَبِي وَإِمْلَاءُ جَدِّي عليه السلام بِمَشْهَدٍ مِنِّي، فَقُلْتُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ: إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ أَعْرِضَهَا مَعَ صَحِيفَةِ زَيْدٍ وَيَحْيَى؟ فَأَذِنَ لِي فِي ذَلِكَ وَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُكَ لِذَلِكَ أَهْلًا، فَنَظَرْتُ وَإِذَا هُمَا

أَمْرٌ وَاحِدٌ وَلَمْ أَجِدْ حَرْفًا مِنْهَا يُخَالِفُ مَا فِي الصَّحِيفَةِ الْآخَرَى، ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي دَفْعِ الصَّحِيفَةِ إِلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ^(١)، نَعَمْ فَأَدَفَعُهَا إِلَيْهِمَا. فَلَمَّا نَهَضْتُ لِإِلْفَائِهِمَا قَالَ لِي: مَكَانَكَ، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ فَجَاءَا فَقَالَ: هَذَا مِيرَاثُ ابْنِ عَمِّكُمَا يَحْيَى مِنْ أَبِيهِ قَدْ خَصَّكُمَا بِهِ دُونَ إِخْوَتِهِ، وَتَحْنُ مُشْتَرِطُونَ عَلَيْكُمَا فِيهِ شَرْطًا، فَقَالَا: رَحِمَكَ اللَّهُ، قُلْ فَقَوْلُكَ الْمَقْبُولُ، فَقَالَ: لَا تَخْرُجَا بِهِذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَلَا؛ وَلَمْ ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ ابْنَ عَمِّكُمَا خَافَ عَلَيْهَا أَمْرًا أَخَافُهُ أَنَا عَلَيْكُمَا، فَلَا؛ إِنَّمَا خَافَ عَلَيْهَا حِينَ عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَنْتُمَا فَلَا تَأْمَنَّا فَوَاللَّهِ لَا عِلْمَ أَنْتُمَا سَتَخْرُجَانِ كَمَا خَرَجَ وَسَتُقْتَلَانِ كَمَا قُتِلَ. فَقَامَا وَهُمَا يَقُولَانِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَا مُتَوَكِّلُ! كَيْفَ قَالَ لَكَ يَحْيَى إِنَّ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَابْنَهُ جَعْفَرًا دَعَا النَّاسَ إِلَى الْحَيَاةِ وَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْمَوْتِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - قَدْ قَالَ لِي ابْنُ عَمِّكَ يَحْيَى ذَلِكَ، فَقَالَ: يَزَحِمُ اللَّهُ يَحْيَى، إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم أَخَذَتْهُ نَعْسَةٌ وَهُوَ عَلَى مَنْبَرِهِ، فَرَأَى فِي مَنَايِمِهِ رِجَالًا يَنْزُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ نَزْوَالِ الْقَرَدَةِ يَرُدُّونَ النَّاسَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ الْقَهْقَرَى، فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم جَالِسًا وَالْحُزْنَ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ عليه السلام بِهِذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ^(٢) يَعْنِي بَنَى أُمِّيَّةً، قَالَ: يَا جَبْرِيلُ أَعْلَى عَهْدِي يَكُونُونَ وَفِي زَمَنِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْ مُهَاجِرِكَ فَتَلْبِثُ بِذَلِكَ عَشْرًا، ثُمَّ تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ عَلَى رَأْسِ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ مِنْ مُهَاجِرِكَ فَتَلْبِثُ بِذَلِكَ خَمْسًا، ثُمَّ لَا بُدَّ

١. سورة النساء: ٥٨.

٢. سورة الإسراء: ٦٠.

مِنْ رَحَى ضَلَالَةٍ هِيَ فَائِئَةٌ عَلَى قُطْبِهَا، ثُمَّ مُلْكُ الْفَرَاغَةِ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(١) تَمْلِكُهَا بَنُو أُمَيَّةَ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. قَالَ: فَاطَّلَعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ نَبِيِّهِ ﷺ أَنْ بَنِي أُمَيَّةَ تَمْلِكُ سُلْطَانَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمُلْكُهَا طُولَ هَذِهِ الْمُدَّةِ، فَلَوْ طَاوَكْتُهُمُ الْجِبَالُ لَطَالُوا عَلَيْهَا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِزَوَالِ مُلْكِهِمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَشْعِرُونَ عَدَاوَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَبُغْضَنَا، أَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيِّهُ بِمَا يَلْقَى أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلُ مَوَدَّتِهِمْ وَشِيعَتِهِمْ مِنْهُمْ فِي أَيَّامِهِمْ وَمُلْكِهِمْ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾^(٢) وَنِعْمَةُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، حُبُّهُمْ إِيْمَانٌ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ يُدْخِلُ النَّارَ، فَاسْرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: مَا خَرَجَ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَى قِيَامِ قَائِمٍ أَحَدٌ لِيَذْفَعَ ظُلْمًا أَوْ يَنْعَشَ حَقًّا إِلَّا اضْطَلَمَتْهُ الْبَلِيَّةُ وَكَانَ قِيَامُهُ زِيَادَةً فِي مَكْرُوهِنَا وَشِيعَتِنَا. قَالَ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ هُرُونَ: ثُمَّ أَمْلَى عَلَيَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ الْأَذْعِيَّةَ وَهِيَ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، سَقَطَ عَنِّي مِنْهَا أَحَدٌ عَشَرَ بَابًا، وَحَفِظْتُ مِنْهَا نِيفًا وَسِتِّينَ بَابًا. وَحَدَّثَنَا أَبُو الْمُفَضَّلِ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ابْنِ رُوزْبَةَ أَبُو بَكْرٍ الْمَدَائِنِيُّ الْكَاتِبُ نَزِيلُ الرَّحْبَةِ فِي دَارِهِ، قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُسْلِمٍ الْمُطَهَّرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ مُتَوَكِّلٍ الْبُلْخِيِّ، عَنْ أَبِيهِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ هُرُونَ، قَالَ: لَقِيتُ يَحْيَى بْنَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ إِلَى رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي ذَكَرَهَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَفِي رِوَايَةِ الْمُطَهَّرِيِّ ذِكْرُ الْأَبْوَابِ، وَهِيَ:

٢. سورة إبراهيم: ٢٨ - ٢٩.

١. سورة القدر: ١ - ٣.

١.	التَّحْمِيدُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ	٢.	الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
٣.	الصَّلَاةُ عَلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ	٤.	الصَّلَاةُ عَلَى مُصَدِّقِ الرُّسُلِ
٥.	دُعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ وَخَاصَّتِهِ	٦.	دُعَاؤُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ
٧.	دُعَاؤُهُ فِي الْمُهْمَاتِ	٨.	دُعَاؤُهُ فِي الْإِسْتِعَاذَةِ
٩.	دُعَاؤُهُ فِي الْإِشْتِيَاكِ	١٠.	دُعَاؤُهُ فِي اللَّجَأِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
١١.	دُعَاؤُهُ بِخَوَاتِمِ الْخَيْرِ	١٢.	دُعَاؤُهُ فِي الْإِعْتِرَافِ
١٣.	دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ	١٤.	دُعَاؤُهُ فِي الظُّلُمَاتِ
١٥.	دُعَاؤُهُ عِنْدَ الْمَرَضِ	١٦.	دُعَاؤُهُ فِي الْإِسْتِقَالَةِ
١٧.	دُعَاؤُهُ عَلَى الشَّيْطَانِ	١٨.	دُعَاؤُهُ فِي الْمَحْذُورَاتِ
١٩.	دُعَاؤُهُ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ	٢٠.	دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
٢١.	دُعَاؤُهُ إِذَا حَزَنَهُ أَمْرٌ	٢٢.	دُعَاؤُهُ عِنْدَ الشَّدَّةِ
٢٣.	دُعَاؤُهُ بِالْعَافِيَةِ	٢٤.	دُعَاؤُهُ لِأَبَوَيْهِ
٢٥.	دُعَاؤُهُ لَوَلَدِهِ	٢٦.	دُعَاؤُهُ لِجِيرَانِهِ وَأَوْلِيَانِهِ
٢٧.	دُعَاؤُهُ لِأَهْلِ الثُّغُورِ	٢٨.	دُعَاؤُهُ فِي التَّفَرُّعِ
٢٩.	دُعَاؤُهُ إِذَا قُتِرَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ	٣٠.	دُعَاؤُهُ فِي الْمُعُونَةِ عَلَى قَضَاءِ الدِّينِ
٣١.	دُعَاؤُهُ بِالتَّوْبَةِ	٣٢.	دُعَاؤُهُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ
٣٣.	دُعَاؤُهُ فِي الْإِسْتِخَارَةِ	٣٤.	دُعَاؤُهُ إِذَا ابْتُلِيَ
٣٥.	دُعَاؤُهُ فِي الرِّضَا بِالْقَضَاءِ	٣٦.	دُعَاؤُهُ عِنْدَ سَمَاعِ الرَّعْدِ
٣٧.	دُعَاؤُهُ فِي الشُّكْرِ	٣٨.	دُعَاؤُهُ فِي الْإِعْتِدَارِ
٣٩.	دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ	٤٠.	دُعَاؤُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ

٤١.	دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ السَّتْرِ وَالْوَفَايَةِ	٤٢.	دُعَاؤُهُ عِنْدَ خَتْمِهِ الْقُرْآنَ
٤٣.	دُعَاؤُهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْهَلَالِ	٤٤.	دُعَاؤُهُ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ
٤٥.	دُعَاؤُهُ لِدُاعِ شَهْرِ رَمَضَانَ	٤٦.	دُعَاؤُهُ لِعِيدِ الْفِطْرِ وَالْجُمُعَةِ
٤٧.	دُعَاؤُهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ	٤٨.	دُعَاؤُهُ فِي يَوْمِ الْأَصْحَى وَالْجُمُعَةِ
٤٩.	دُعَاؤُهُ فِي دَفْعِ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ	٥٠.	دُعَاؤُهُ فِي الرَّهْبَةِ
٥١.	دُعَاؤُهُ فِي التَّضَرُّعِ وَالْإِسْتِكَانَةِ	٥٢.	دُعَاؤُهُ فِي الْإِلْحَاحِ
٥٣.	دُعَاؤُهُ فِي التَّدَلُّلِ	٥٤.	دُعَاؤُهُ فِي اسْتِكْشَافِ الْهُمُومِ

وَبَاقِي الْأَبْوَابِ يَلْفِظُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيُّ عليه السلام: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ خَطَّابٍ الزِّيَّاتُ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِي عَلِيُّ بْنُ النُّعْمَانِ الْأَعْلَمُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ مُتَوَكِّلٍ الثَّقَفِيُّ الْبَلْخِيُّ، عَنْ أَبِيهِ مُتَوَكِّلِ بْنِ هُرُونَ، قَالَ: أَمَلَى عَلَيَّ سَيِّدِي الصَّادِقُ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَمَلَى جَدِّي عَلَيَّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيَّ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ السَّلَامُ - بِمَشْهَدٍ مِنِّي.

الدعاء الأول
في التوحيد والحمد للحقّ تعالى

﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ وَالْآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ ﴿٢﴾ الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ ﴿٣﴾ ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعًا وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيئَتِهِ ﴿٤﴾ اخْتَرَاعًا ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيرًا عَمَّا قَدَّمَ لَهُمْ إِلَيْهِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقْدِيمًا إِلَيْهِ مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ ﴿٥﴾ وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوَّةً مَعْلُومًا مَقْسُومًا مِنْ رِزْقِهِ لَا يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ وَلَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ ﴿٦﴾ ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلًا مَوْفُوتًا وَنَصَبَ لَهُ أَمَدًا مَخْدُودًا يَتَخَطَّ إِلَيْهِ بِأَيَّامِ عُمْرِهِ وَيَزْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ وَاسْتَوْعَبَ حِسَابَ عُمْرِهِ قَبَضَهُ إِلَى مَا نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ أَوْ مَخْذُورِ عِقَابِهِ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ^(١) ﴿٧﴾ عَذْلًا مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَتَظَاهَرَتْ أَلَاؤُهُ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ^(٢) ﴿٨﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مَنِّهِ الْمُتَتَابِعَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ لَتَصَرَّفُوا فِي مَنِّهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ ﴿٩﴾ وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ^(٣) ﴿١٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَّفْنَا مِنْ نَفْسِهِ وَآلِهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ وَفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ وَجَنَّبَنَا مِنَ

٢. سورة الأنبياء : ٢٣.

١. سورة النجم : ٣١.

٣. سورة الفرقان : ٤٤.

الْإِلْحَادِ وَالشُّكِّ فِي أَمْرِهِ ﴿١١﴾ حَمْدًا نَعْمَرُ بِهِ فِيمَنْ حَمَدَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَنَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ
إِلَى رِضَاهُ وَعَفْوِهِ ﴿١٢﴾ حَمْدًا يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلُمَاتِ الْبُزْخِ وَيُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ
الْمُبْعَثِ وَيُشَرِّفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ ﴿يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ
هُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١)، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٢)
﴿١٣﴾ حَمْدًا يَزِيدُنَا مَنَّا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ
﴿١٤﴾ حَمْدًا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا بَرَقَتِ الْأَبْصَارُ وَتَبَيَّضُ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارُ
﴿١٥﴾ حَمْدًا نَعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللَّهِ إِلَى كَرِيمِ جَوَارِ اللَّهِ ﴿١٦﴾ حَمْدًا نَزَاجِمُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ
الْمُقَرَّبِينَ وَنُضَامُ بِهِ أَنْبِيََاءَهُ الْمُرْسَلِينَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ وَمَحَلِّ كَرَامَتِهِ الَّتِي
لَا تَحُولُ ﴿١٧﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ وَأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ
﴿١٨﴾ وَجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَكُلُّ خَلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ
صَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ ﴿١٩﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ فَكَيْفَ
نُطِيقُ حَمْدَهُ؟ أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَهُ لَا مَتَى؟! ﴿٢٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَكَّبَ فِينَا آلَاتِ
الْبَسْطِ وَجَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ وَمَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ وَأَثَبَتْ فِينَا جَوَارِحَ الْأَعْمَالِ وَ
غَذَّانَا بِطَيِّبَاتِ الرِّزْقِ وَأَغْنَانَا بِفَضْلِهِ وَأَفْنَانَا بِمَنِّهِ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَمَرْنَا لِيُخْتَبَرَ طَاعَتَنَا وَ
نَهَانَا لِيُبْتَلَى شُكْرُنَا فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيقِ أَمْرِهِ وَرَكِبْنَا مُتُونَ زَجْرِهِ فَلَمْ يَبْتَدِرْنَا بِعُقُوبَتِهِ وَ
لَمْ يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِهِ بَلْ تَأَنَّنَا بِرَحْمَتِهِ تَكْرُمًا وَانْتَظَرَ مُرَاجَعَتَنَا بِرَأْفَتِهِ حِلْمًا
﴿٢٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نَفْذِهَا إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِ مِنْ
فَضْلِهِ إِلَّا بِهَا لَقَدْ حَسَنَ بَلَاؤُهُ عِنْدَنَا وَجَلَّ إِحْسَانُهُ إِلَيْنَا وَجَسَمَ فَضْلُهُ عَلَيْنَا ﴿٢٣﴾ فَمَا
هَكَذَا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَلَمْ يُكَلِّفْنَا إِلَّا

٢. سورة الدخان: ٤١.

١. إشارة إلى السورة الجاثية: ٢٢.

وُسْعاً وَلَمْ يُجَشِّمْنَا إِلَّا يُسْراً وَلَمْ يَدَعْ لِأَحَدٍ مِنَّا حُجَّةً وَلَا عُذْراً ﴿٢٤﴾ فَالْهَالِكُ مِنَّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ وَالسَّعِيدُ مِنَّا مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ ﴿٢٥﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ بِهِ أَذْنَى مَلَأَتْكَتِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَ خَلِيقَتِهِ عَلَيْهِ وَأَرْضَى حَامِدٍ بِهِ لَدَيْهِ ﴿٢٦﴾ حَمْدًا يُفْضِلُ سَائِرَ الْحَمْدِ كَفَضْلِ رَبِّنَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَمَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً أَبَدًا سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٢٨﴾ حَمْدًا لَا مُنْتَهَى لِحَدِّهِ وَلَا حِسَابَ لِعَدَدِهِ وَلَا مَبْلَغَ لِعَاقِبَتِهِ وَلَا انْقِطَاعَ لِأَمْدِهِ ﴿٢٩﴾ حَمْدًا يَكُونُ وَضْلَةً إِلَى طَاعَتِهِ وَعَفْوِهِ وَسَبَبًا إِلَى رِضْوَانِهِ وَذَرِيعَةً إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَطَرِيقًا إِلَى جَنَّتِهِ وَخَفِيرًا مِنْ نَقِمَتِهِ وَأَمْنًا مِنْ غَضَبِهِ وَظَهيراً عَلَى طَاعَتِهِ وَحَاجِزًا عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَعَوْنًا عَلَى تَأْدِيَةِ حَقِّهِ وَوِظَائِفِهِ ﴿٣٠﴾ حَمْدًا نَسْعُدُ بِهِ فِي السُّعْدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَنَصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ إِنَّهُ وَلِيُّ حَمِيدٍ.

[﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ]

حقيقة الحمد والمدح والشكر

الحمد هو الثناء على الله عز وجل وهو أخص من المدح وأعم من الشكر ويمتاز هذا اللفظ بأنه يخص الخالق تبارك وتعالى بكل الثناء والمدح والشكر فهو الخالق المنعم الذي خلق كل شيء وهدى؛ فكل ما يتلقاه الإنسان من نعم فأنما مردها إلى الله سبحانه وتعالى.

فقول العبد «الحمد لله» عن وعي عميق على نعم الله إنما تنبعث من القلب الطاهر وتعبر عما في ضميره وهي عندما تنطلق من الشفاه تعود إليه فتزيد قلبه إيماناً ونوراً.

أجل عندما يهمس الإنسان بـ«الحمد لله» فإنه يعبر عن عميق شكره لله وثنائه عليه، فهي عبارة مفعمة بالنور تجري على لسان من يمتلأ قلبه بالحب الإلهي كلمتان يلهج بهما الملائكة وأهل الملاء الأعلى وفي جنات الفردوس.

يقول الامام جعفر الصادق (عليه السلام):

فَقَدْ أُبِي بَعْلَةٌ لَهُ فَقَالَ لَيْنُ رَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَحْمَدَنَّهُ بِمَحَامِدِ يَرْضَاهَا، فَمَا لَبِثَ أَنْ أُتِيَ بِهَا بِسَرَجِهَا وَلِجَامِهَا، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا وَضَمَّ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَلَمْ يَزِدْ، ثُمَّ قَالَ: مَا تَرَكْتُ وَلَا بَقِيَتْ شَيْئًا، جَعَلْتُ كُلَّ

أَنْوَاعِ الْمَحَامِدِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَمَا مِنْ حَمْدٍ إِلَّا هُوَ دَاخِلٌ فِيهَا قُلْتُ.^(١)

من هنا ندرك أنّ جملة «الحمد» على قصرها تشتمل على كلّ أنواع المحامد لله تبارك وتعالى فما من حمد إلا وهو كامن فيها.

«الحمد لله» ترنيمة ملائكيّة وتسبيحه مفعمة بالذكر الطيّب الجميل، تشعر القلب الصافي بشذاها وعطرها ورقّتها وتملأه بالخشية والخشوع.

«الحمد لله» تسبيحه تترنّم بها الكائنات في أرجاء الوجود، وتنفتح عند انطلاقها من القلوب المؤمنة أبواب السماء.

الحمد لله على لسان العارفين

بما أنّ الحمد والثناء مترتّب على مشاهدة الكمال والجمال؛ وخلاصة كمال كلّ كامل وأثر من آثار الكمال المطلق وتجلّي جمال كلّ جميل وشعاع من أنوار الجمال المطلق؛ لذا فإن جميع المحامد وشعاع من أنوار الجمال المطلق؛ لذا فإن جميع المحامد تنطوي في تلك الذات التي تجتمع فيها جميع الكمالات.

والحمد قول وفعل وحال؛ أمّا الحمد القولي فهو الثناء الذي يجري على لسان الأنبياء على الحق سبحانه وتعالى يرّده المؤمنون اقتداءً بهم.

وأما الحمد الفعلي فهو القيام بالأعمال الصالحة وأداء الطاعات والعبادات وفعل الخيرات ابتغاء مرضاة الله وحده لا شريك له.

وأما الحمد الحالي فهو عبارة عن الاتّصاف بالصفات الحميدة والتحلي بالأخلاق الإلهيّة.

١. بحار الأنوار: ٤٦ / ٢٩٠؛ كشف الغمة: ١١٨ / ٢.

فالإنسان المؤمن يحمد الله ويثني عليه ويشكره ويمجّده وينزهه من خلال كتبه ورسالات وصحفه المنشورة.

وبحمده من خلال سلوكه وأفعاله وأظهار الكلمات الجمالية والجلالية من الغيب إلى الشهادة ومن الباطن إلى الظاهر ومن العلم إلى اليقين؛ فمثلاً إن سيّدنا محمد ﷺ بلغ مقام جمع الجمع وهو أنه كلّ ما لدى الأخيار موجود عنده وحده. يقول العارف محمد داود القيصري:

«لَمَّا تَقَرَّرَ أَنَّ لِكُلِّ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ صُورَةً فِي الْعِلْمِ مَسْمُومَةً بِالْمَاهِيَةِ وَالْعَيْنِ الثَّابِتَةِ وَإِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا صُورَةٌ خَارِجِيَّةٌ مَسْمُومَةٌ بِالْمُظَاهَرِ وَالْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ وَإِنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ أَرْبَابَ تِلْكَ الْمُظَاهَرِ وَهِيَ مَرْبُوبَاتُهَا وَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ صُورَةُ الْأَسْمِ الْجَامِعِ الْإِلَهِيِّ وَهُوَ رَبُّهَا وَمِنْهُ الْفِيضُ وَالِاسْتِمْدَادُ عَلَى جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ، فَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ هِيَ الَّتِي قَرَبَ صُورَ الْعَالَمِ كُلِّهَا بِالرَّبِّ الظَّاهِرِ فِيهَا الَّذِي هُوَ رَبُّ الْأَرْبَابِ لِأَنَّهَا هِيَ الظَّاهِرَةُ فِي تِلْكَ الْمُظَاهَرِ.

فبصورتها الخارجيّة المناسبة لصور العالم التي هي مظهر الاسم الظاهر ترب صور العالم، وبياطنها ترب باطن العالم لأنّه صاحب الاسم الأعظم وله الربوبيّة المطلقة، لذلك قال ﷺ: «خَصْتُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ» وهي تصديره بقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

فجميع عوالم الأجسام والأرواح كلّها وهذه الربوبيّة إنّما هي من جهة حقيقتها لا من جهة بشريتها، فإنها من تلك الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربها كما تَبَّه سبحانه بهذه الجهة بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ وبقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾، فسماه عبداً لله تنبيهاً على أنّه مظهر لهذا الاسم دون إسم آخر؛ ونَبَّه

بالجهة الأولى بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فأسند رميه إلى الله .
ولا يتصور هذه الربوبية إلا باعطاء كل ذي حق حقه وافاضة جميع ما يحتاج
إليه العالم .

وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدر التامة والصفات الالهية جميعها فله كل
الأسماء يتصرف بها في هذا العالم حسب استعداداتهم .

ولما كانت هذه الحقيقة مشتملة على الجهتين : الالهية والعبودية ، لا يصح لها
ذلك اصالة بل تبعية ، وهي الخلافة فلها الاحياء والاماتة واللفظ والقهر والرضا
والسخط وجميع الصفات ليتصرف في العالم وفي نفسها وبشريتها أيضاً ، لأنه منه
وبكاؤه عليه السلام وضجره وضيق صدره لا ينافي ما ذكرنا فانه بعض مقتضيات
ذاته وصفاته ...

ولما كانت هذه الخلافة واجبة من الله تعالى في العلم بحكم ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ .

وجب ظهور الخليفة في كل زمان من الأزمنة ليحصل لهم الاستئناس ويتصرف
بالكمال اللائق به كل الناس كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ .

وظهور تلك الحقيقة بكمالاتها أولاً لم يكن ممكناً فظهرت تلك الحقيقة بصور
خاصة كل منها في مرتبة لائقة بأهل ذلك الزمان والوقت حسب ما يقتضيه اسم
الدهر في ذلك الحين من ظهور الكمال وهي صور الأنبياء عليهم السلام ...

وعند انقطاع النبوة أعني نبوة التشريع باتمام دائرتها وظهور الولاية من الباطن
انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا

المقام لينحفظ به هذا الترتيب والنظام. قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ إلى أن ينختم بظهور خاتم الأولياء وهو الخاتم للولاية المطلقة^(١).

تفسير « الحمد لله » في كلام الفخر الرازي

قال الفخر الرازي في مضممار تفسير « الحمد لله » في الفائدة الثامنة:

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً، فَيَقُولُ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْظِرُوا

إِلَى عَبْدِي أُعْطِيَتْهُ مَا لَا قَدْرَ لَهُ، فَأَعْطَانِي مَا لَا قِيَمَةَ لَهُ^(٢).

وتفسيره ان الله إذا أنعم على العبد كان ذلك الانعام أحد الأشياء المعتادة، مثل انه كان جائعاً فأطعمه أو كان عطشاً فأرواه، أو كان عرياناً فكساه، أما إذا قال العبد « الحمد لله » كان معناه أن كل حمد اتى به أحد من الحامدين فهو لله، وكل حمد لم يأت به أحد من الحامدين، وأمكن في حكم العقل دخوله في الوجود فهو لله، وذلك يدخل في جميع المحامد التي ذكرها ملائكة العرش والكرسي وساكنو أطباق السماء وجميع المحامد التي ذكرها جميع الأنبياء من آدم إلى محمد صلوات الله عليهم وجميع المحامد التي ذكرها جميع الأولياء والعلماء وجميع الخلق وجميع المحامد التي سيذكرونها إلى وقت قولهم: ﴿دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).
ثم جميع هذه المحامد متناهية.

١. رسالة داوود القيصري: ١٣٦. ٢. التفسير الكبير، الفخر الرازي: ١/ ٢٢٣.

٣. سورة يونس (١٠): ١٠.

وأما المحامد التي لا نهاية لها هي التي سيأتون بها أبد الآباد ودهر الدهرين، فكلّ هذه الأقسام التي لا نهاية لها داخله تحت قول العبد «الحمد لله ربّ العالمين».

فلهذا السبب قال تعالى :

«انظروا إلى عبدي قد أعطيته نعمة واحدة لا قدر لها، فأعطاني من الشكر ما لا حدّ له ولا نهاية»^(١).

وهنا نكتة طريقة أخرى وهي ان نعم الله عزّ وجلّ متناهية في هذه الدنيا أمّا حقيقة ومفهوم «الحمد لله» فهو لا نهائي ومن المعلوم ان طرح المتناهي من اللانهائي يبقي النتيجة على حالها وهي «ما لا نهاية». والحقيقة ان مفاد الرواية هو ان الله تعالى يقول :

«عبدي إن قولك «الحمد لله» لنعمة أنعمتها عليك هو إيمانك وطاعتك التي تمتدّ إلى ما لا نهاية، ومن المؤكّد ان الطاعة اللانهائية سوف تستلزم نعمة لا نهاية لها، ومن أجل يستحق العبد مقابل هذا الثناء والحمد ثواباً أبدياً وخيراً سرمدياً. ومن هنا فان قول المؤمن «الحمد لله» بقلب طاهر واخلاص ووعي سيعود عليه بالخير والسعادة والخلود.

« الحمد لله » في أعمال أهل الله

يقول الفخر الرازي في تفسيره :

«الحمد لله» كلمة شريفة جليلة لكن لا بدّ من ذكرها في موضعها وإلا لم

١. التفسير الكبير، الفخر الرازي: ١/ ٢٢٣.

يحصل المقصود منها .

قيل لسري السقطي: كيف يجب إتيان الطاعة؟

قال: أنا منذ ثلاثين سنة استغفر الله عن قولي مرّة واحدة «الحمد لله»! فقيل كيف؟ قال: وقع حريق في بغداد واحترقت الدكاكين والدور، فأخبروني إن دكاني لم يحترق، فقلت: «الحمد لله»، وكان معناه أنني فرحت ببقاء دكاني حال احتراق دكاكين الناس، وكان حق الدين والمروءة أن لا أفرح بذلك، فأنا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة عن قولي «الحمد لله».

فثبت بهذا ان هذه الكلمة وإن كانت جليلة القدر إلا أنه يجب رعاية

موضعها»^(١).

وحمد المحبوب أداء فعل حيث يدلّ ذلك الفعل على عظمة المنعم وعلى انه هو المنعم وهذا الفعل تارة يكون قلبياً أو لسانياً أو حالياً أي بأداء وحركات أعضاء الجسم الأساسية التي هي عبارة عن العين والأذن واللسان والأطراف إضافة إلى البطن والشهوة.

فيكون النظر موافقاً لإرادة الحق ويكون السمع كذلك وقول الحق النابع من الايمان بالحق وأداء أعمال الخير من عمل بالأيدي وسعي بالأقدام في سبيل الحق والعفة في الفرج والبطن وأمثال ذلك من نشاط يقوم به الجسم. وفعل القلب يتم من خلال التأمل والنظر الواعي على أساس المعرفة في آثار الخلق ونعم الله ودراسة العلوم، فيتربسح الايمان بأن صاحب هذه النعم يمتلك جميع صفات الكمال والجمال والجلال.

١. التفسير الكبير: ١/ ٢٢٤.

وطي هذه المرحلة يحتاج إلى مقدمات وسعي حثيث وطاقة من الحب الالهي حيث يصل الانسان من خلال ذلك إلى درجة الايمان ومقام الطمأنينة والاحساس بالصفاء والسلام وهو ما يتحقق بالرياضات الشاقة والقيام بالأعمال الكبيرة وطي طريق العلم.

وفعل اللسان الذي يأتي عن حالة من الصفاء في القلب والبصيرة والمعرفة يتحقق من خلال ما يجري عليه من كلام وكلمات تدلّ على شكر المنعم حيث تجتمع كلّها في قول الانسان عن وعي عميق « الحمد لله » التي تنعكس فيها كلّ صور التعبير عن الشكر والقناء.

وأفعال الأعضاء والجوارح تتمّ من خلال النشاط الذي يقوم به الانسان بما يتوافق مع ارادة المحبوب وبما يعبر عن أسمائه سبحانه وصفاته، حيث يقوم الانسان بأعمال الخير فيجسد من خلال ذلك ان صاحب النعم التي افاضها عليه يمتلك جميع صفات الكمال.

فاذا اجتاز العبد هذه المراحل الثلاث وطواها يكون قد سلك طريق الحمد للمنعم الذي لا تحصي نعمه ولا تعدّ.

فالحمد نشيد الشكر والثناء، الهم الله عباده وكلمة تصدر عن القلوب المؤمنة المتألّقة بالنور الالهي فتعود عليهم بمزيد من الفيض الرباني وقد بلغ من سموها أن الله عزّ وجلّ افتتح بها كتابه.

والحمد لله تعني ان حركة الانسان مرتبطة بالله عزّ وجلّ ترشده وتغمره بالسلام وهي بعد ذلك التزام بالشرعية الالهية السمحاء، من أجل ذلك كانت سلاحاً للأنبياء وطاقة حبّ الهي تمدّ الأولياء بالعزيمة على النهوض بمهام الاصلاح.

من أجل ذلك نرى الدعاء وفي طليعة كلماته الحمد نشيداً يصدق به رجال الله في كل مناسبة وفي كل منعطف من منعطفات طريقهم إلى الحقيقة ونشر العدالة بين البشر.

وهو بعد ذلك ضمان أكيد يحصن الانسان ضد الطغيان بل ويمدّه بالطاقة لمواجهة الطغيان في كل زمان ومكان.

« الحمد لله » في كلام الأولياء

هذا مولى العارفين ونبراس المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يفتتح خطابه إلا بالحمد لله ، اصغ إليه كيف يقول :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى خَامِدِيهِ، وَطَرِيقاً مِنْ طُرُقِ الْإِعْتِرَافِ بِأَلَا هُوَ تَيْتَهُ وَصَمَدَانِيَّتِهِ وَرَبَانِيَّتِهِ وَفَرْدَانِيَّتِهِ، وَسَبَباً إِلَى الْمَزِيدِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَمَحَجَّةً لِلطَّالِبِ مِنْ فَضْلِهِ؛ وَكَمَنْ فِي إِبْطَانِ اللَّفْظِ حَقِيقَةُ الْإِعْتِرَافِ لَهُ بِأَنَّهُ الْمُنْعَمُ عَلَى كُلِّ حَمْدٍ^(١)

ومن هنا ندرك كيف تستحيل « الحمد لله » إلى مصباح يضيء للانسان طريقه في الحياة ، فتتضاعف عليه نعم الله ويتوهج قلبه بالحب الإلهي ما يمدّه بالطاقة إلى أن يبلغ مراحل عالية من التكامل الانساني .

ويقول الامام جعفر الصادق عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِمَخَامِرِهِ كُلِّهَا عَلَى نِعَمِهِ كُلِّهَا حَتَّى يَنْتَهَى الْحَمْدُ إِلَى مَا يُحِبُّ رَبِّي وَيَرْضَى^(٢)

١. مستدرک سفینه البحار: ٧٣/٣؛ بحار الأنوار: ١١٢/٩٤.

٢. بحار الأنوار: ٢٠٩/٩٠؛ قرب الاسناد: ٤.

ويروي الامام الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ دَعَا اللَّهَ بِهَذِهِ
الكلمات قائلاً:

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِكَ وَعِزِّ جَلَالِكَ
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: عَبْدِي شَغَلْتُ خَافِظِيكَ وَالخَافِظُ عَلَى خَافِظِيكَ. ^(١)

ويقول الامام السجاد عليه السلام:

مَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ كُلِّ نِعْمَةٍ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ. ^(٢)

وقال سيّدنا ونبيّنا الأكرم عليه السلام:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلَأُهُ. ^(٣)

الحمد الحقيقي

أشرنا في ما مضى إلى ان الحمد الحقيقي يتجسّد من خلال القلب واللسان
وجوارح الانسان، يعني من خلال الايمان العميق بأن الله عزّوجلّ هو المنعم ومن
ثمّ يجري الحمد على اللسان بقول الانسان «الحمد لله» حيث يتوجب على
الانسان أن يجسّد هذا الحمد من خلال حركته في الحياة، أي من خلال النظر
والسمع والعفاف وإلاّ فان الاكتفاء بقلقة اللسان لا تكلف الانسان شيئاً وما قيمة
هذا الحمد يجري على طرف اللسان والقلب خواء من الايمان، والانسان يمارس
العصيان؟! جاء في سيرة الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

عَنْ ابْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: كُنْتُ أَرْكَعُ عِنْدَ بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَأَنَا أَدْعُو اللَّهَ، إِذْ

١. بحار الأنوار: ٢٠٩/٩٠؛ قرب الاسناد: ٤.

٢. بحار الأنوار: ٢١٠/٩٠.

٣. وسائل الشيعة: ١٧٤/٧؛ بحار الأنوار: ٢١٠/٩٠.

خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَصْبَغُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ كُنْتَ تَصْنَعُ؟
قُلْتُ: رَكَعْتُ وَ أَنَا أَدْعُو، قَالَ: أَفَلَا أَعَلَّمُكَ دُعَاءَ سَمِيعَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه؟ قُلْتُ:
بَلَى، قَالَ: قُلْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا كَانَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ». ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ
الْيُمْنَى عَلَى مَنْكَبِي الْأَيْسَرِ وَقَالَ: يَا أَصْبَغُ! لَئِنْ ثَبَتَتْ قَدَمُكَ، وَتَمَّتْ وَلاَيْتُكَ،
وَأَنْبَسَطَتْ يَدُكَ، اللَّهُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْ نَفْسِكَ! ^(١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا كَانَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.
عَنْ سِنَانِ بْنِ طَرِيفٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُسْتَدْرَجًا. قَالَ:
وَلَمْ قُلْتُ لِأَنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي دَارًا فَرَزَقَنِي وَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي أَلْفَ
بِرْهَمٍ فَرَزَقَنِي أَلْفًا وَدَعَوْتُهُ أَنْ يَرْزُقَنِي خَادِمًا فَرَزَقَنِي خَادِمًا قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ
تَقُولُ قَالَ: أَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ: فَمَا أُعْطِيتَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيتَ. ^(٢)

وروى الامام الصادق عن أبيه الباقر عن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري
ان رسول الله صلوات الله عليه قال:

لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا لُقْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَأَكَلَهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» لَكَانَ
قَوْلُهُ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. ^(٣)

الله الحميد

وصف الله عز وجل نفسه بـ «الحميد» في كتابه العزيز في ١٧ آية من آياته
المباركة:

١. مستدرک الوسائل: ٣٠٧/ ٥؛ بحار الأنوار: ٢١١/ ٩٠.

٢. بحار الأنوار: ٢١٣/ ٩٠؛ مشكاة الأنوار: ٢٧.

٣. بحار الأنوار: ٢١٦/ ٩٠؛ الأمالي، شيخ طوسي: ٦١٠.

البقرة (٢٦٧) (١)، هود (٧٣) (٢)، إبراهيم (٨ و ١) (٣)، الحج (٦٤ و ٢٤) (٤)، لقمان (٢٦ و ١٢) (٥)، سبأ (٦١) (٦)، الفاطر (١٥) (٧)، فصلت (٤٢) (٨)، الشورى (٢٨) (٩)، الحديد (٢٤) (١٠)، الممتحنة (٦) (١١)، التغابن (٦) (١٢)، البروج (٨) (١٣)، النساء (١٣١) (١٤). وفي سبعة عشرة مرحلة وردت كلمة «الحمد لله»:

الأَنْعَام (١) (١٥)، الْأَعْرَاف (٤٣) (١٦)، إِبْرَاهِيم (٣٩) (١٧)، النحل (٧٥) (١٨)، الْإِسْرَاء (١١١) (١٩)، الْكَهْف (١) (٢٠)، الْمُؤْمِنُونَ (٢٨) (٢١)، النمل (١٥ و ٥٩ و ٩٣) (٢٢)، الْعَنَكِبُوت (٦٣) (٢٣)، لقمان (٢٥) (٢٤)، سبأ (١) (٢٥)، فاطر (١ و ٣٤) (٢٦)، زمر (٢٩ و ٧٤) (٢٧).

١. ﴿أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.
٢. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.
٣. ﴿رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ و ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.
٤. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ و ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾.
٥. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ و ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.
٦. ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.
٧. ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.
٨. ﴿نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.
٩. ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.
١٠. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.
١١. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.
١٢. ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.
١٣. ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.
١٤. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.
١٥. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.
١٦. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي﴾.
١٧. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾.
١٨. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
١٩. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ﴾.
٢٠. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾.
٢١. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.
٢٢. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾.
٢٣. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾.
٢٤. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
٢٥. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾.
٢٦. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي﴾.
٢٧. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ و ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا﴾.

كما وردت العبارة الشريفة: «الحمد لله رب العالمين» ست مرّات: في فاتحة الكتاب (٢)، الأنعام (٤٥)، يونس (١٠)، الصافات (١٨٢)، الزمر (٧٥)، غافر (٦٥).
 إنّ قصّة الحمد قصّة مذهشة تكاد تختصر الوجود بأسره فكيف بي أنا العاجز أن أرويها وكيف بي أنا الجاهل أن ألمّ بفصولها، وكيف بي وأنا لا أتقن السباحة أن أغوص في أعماقها وأسبر أغوارها؛ ولعلّ في كتب التفسير ما يروي الظامئ من معانيها ودلالاتها وآثارها في حياة الانسان!
 «الحمد لله»

الحمد لله أي الثناء بالجميل والمدح بالكمال ثابت لله دون سائر ما يعبد من دونه؛ والحمد أوسع الصفات وأعمّ المدائح لأن جميع أسمائه وتبارك وتعالى حمد وصفاته حمد وأفعاله حمد وأحكامه حمد؛ فحمده روح كلّ شيء وقيام كلّ شيء بحمده وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر^(١).

والحمد أوّل واجبات العباد أن يستحضروا دوماً مبدأ عالم الوجود ونعمه اللامتناهية هذه النعم التي تحيطنا وتغمر وجودنا وتهدينا إلى معرفة الله^(٢).
 والحمد لله شعور يفيض من قلب المؤمن لدى ذكر ربّه وخالقه والمنعم عليه وهو الله عزّ وجلّ الخالق البارئ المصوّر القيّوم القادر المتعال الموصوف بوصف الجمال والمنعوت بنعت الجلال الذي يعجز عباده عن معرفة حقيقة ذاته الذي يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، والبشر يجادلون فيه.
 ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٣).

٢. الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٦/١.

١. محاسن التأويل: ٢٢٦/١.

٣. سورة الأنعام (٦): ٩١.

وما أعظمها من مدرسة للمعرفة تعلّم الانسان وترشّد حركته وتصلّ نظّته للحياة وأسوأ ما يفعله الانسان أنّه لا يعرف قدر الله عزّ وجلّ ولا يرجو له وقاراً ولكنّ الله سبحانه كتب على نفسه الرحمة لو يؤاخذ البشر على عملهم ما ترك على وجه الأرض من يدبّ عليها.

أجل هو الذي يعطي الكثير بالقليل، هو الذي يعطي من سأله، هو الذي يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنّناً منه ورحمة، هو الذي توحد بالعزّ والبقاء والأزليّة والأبدية وقهر مخلوقاته بالموت والفناء.

الحمد في لقاء النعمة والمنعم

جاء في تفسير كشف الأسرار:

اعلم أنّ الحمد على وجهين:

الأوّل: على لقاء النعمة والثاني على لقاء المنعم.

أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمَادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ^(١)

الحمد والثناء لله وتمجيده عزّ وجلّ يفتح أمام الانسان آفاق مفعمة بالنور، ويفتح القلوب على الله.

انّ كلمة الحمد تختزن كلّ عناصر المجد الالهي والانسان المؤمن يردّد دائماً «الحمد لله» في كلّ حال فهي تعزّز العلاقة بين العبد وربّه، وتضيء طريقه في الحياة وتستحيل يوم القيامة إلى نور يسعى بين يديه.

١. مستدرک الوسائل: ٥/ ٣١٢؛ بحار الأنوار: ٩٠/ ٢١٥.

[الْأَوَّلُ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ]

هو الأول والآخر

أنه انعكاس واضح لأنوار القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى :
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (١)

وقد ورد في الحديث الشريف :

إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنَاً وَلِبَطْنِهِ بَطْنٌ إِلَى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ. (٢)

إنَّ كلَّ المعاني والحقائق والمفاهيم السماوية والملكوتية مودعة في الخزائن
الالهية؛ واحدها مظهر الأسماء الربانية قلب رسول الأكرم وفؤاده الذي يمجج
بالمعارف الالهية ومنه صلوات الله عليه وآله إلى الأئمة الاثني عشر من أهل بيته
الأطهار؛ وسنتطرق إلى هذا الموضوع لدى شرح الدعاء الثاني والأربعين من
الصحيفة السجادية المباركة باذن الله .

لقد أودع الله عز وجل قيساً من العلوم الربانية في قلوب أوليائه من أئمة الهدى
الأطهار فانعكست في جانب من آثارهم من أحاديث شريفة وأدعية مباركة التي
تعدّ مدرسة أخلاقية وفكرية ورسالية كبرى؛ إذ تشتمل على ما يهم الانسان في
دنياه وآخرته .

١ . سورة الحديد (٥٧) : ٣ .

٢ . عوالي اللآلي : ٤ / ١٠٧ .

انّ سورة الحديد المباركة تشتمل على مفاهيم غاية في السمو تثير الإعجاب والدهشة وتشيع في النفوس الرهبة والجلال ومنها الآية المباركة وهي تقول:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

التي تصدّرت بحث مطلع الدعاء الأول من الصحيفة السجّادية.

أجل هو الأول الذي لا أوليّة له لأنّه لا يقارن بزمان ولا مكان فلا يصحّ أن نصفه بالأوليّة ذلك انّ أوليّته أزليّة، كما انّ الزمان ظاهرة ظهرت مع أولى المخلوقات والكائنات التي أوجدها الله عزّ وجلّ وهو لا يعدو سوى كونه حركة القوّة بالفعل وتحول واقع ما إلى واقع أرقى وامتداد له غاية ونهاية، وبالتالي فلا يجري على الخالق عزّ وجلّ.

وهكذا المكان فهو عبارة عن حيّز تشغله عناصر أو انتقالها من حيّز إلى آخر. فهو سبحانه الآخر الذي لا آخريّة له والأوّل والآخر كالظاهر والباطن أسماء وصفات تدلّ على ذاته التي تستجمع جميع صفات الكمال، هذه الصفات التي هي عين ذاته وذاته عين صفاته.

يقول الامام أمير المؤمنين مولى الموحّدين:

وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ.^(١)

يعنى ليس موصوفاً له صفات كما هو الحال في سائر الكائنات، فهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن والعليم والحكيم والسميع والبصير والشاهد والخالق والرازق و... كلّ هذه الصفات حقيقته ولذا فان توحيده يكمن في نفي الصفات عنه.

١. نهج البلاغة: الخطبة ١.

فهو الأول والآخِر ولكن لا بمعنى الأول الذي نتصوره، فأوليته وآخريته لا ترتبط بزمان ولا مكان ولا بكل ما يرتبط بسائر الأشياء فأوليته تعني انه مبدأ كل الآثار ظاهرها وباطنها وآخريته تعني انه مرجع ومآل ومنتهى جميع الآثار ظاهرها وباطنها، أولي، أزلي وآخرى سرمدى.

جاء في معرض جواب الامام الصادق عن سؤال حول معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(١):

الْأَوَّلُ لَا عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَهُ، وَلَا عَنْ بَدْءٍ سَبْقَهُ وَآخِرٌ لَا عَنْ نِهَائِهِ كَمَا يُعْقَلُ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَكِنْ قَدِيمٌ أَوَّلٌ وَآخِرٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ بِلا بَدْءٍ وَلَا نِهَائِهِ، لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْخُدُوثُ، وَلَا يَحُولُ مِنْ خَالٍ إِلَى خَالٍ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ^(٢)

وقول رسول الله ﷺ في دعائه:

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ^(٣).

وقول الامام أمير المؤمنين ومولى العارفين عليه السلام:

لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْباقى بِلا أَجَلٍ^(٤).

وقول الامام الحسن المجتبى سبط رسول الله ﷺ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ أَوَّلٌ مَعْلُومٌ، وَلَا آخِرٌ مُتَنَاهٍ^(٥).

فهو الكائن قبل أن يكون شيء والباقي بعد فناء كل شيء.

١. سورة الحديد (٥٧): ٣. ٢. بحار الأنوار: ٤/ ١٨٢؛ معانى الأخبار: ١٢.

٣. بحار الأنوار: ٩٠/ ١٣١٧؛ مكارم الأخلاق: ٣٠٨.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٦٢؛ بحار الأنوار: ٧٤/ ٣٠٨.

٥. بحار الأنوار: ٤/ ٢٨٩؛ التوحيد، للشيخ الصدوق: ٤٥.

التوحيد في نهج البلاغة

يقول الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في الخطبة الأولى من نهج البلاغة:

أَوَّلَ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ. فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ.

أجل هذه الكلمات المضيئة بالمعرفة الخالدة حيث يبدأ الدين الحق بمعرفة الله عز وجل؛ هذه المعرفة إلى تصل ذروتها في الايمان به سبحانه ثم يصل الايمان ذروته في توحيده، هذا التوحيد الذي يبلغ قمته في الاخلاص لله تبارك وتعالى وأعلى درجات الاخلاص تكمن في نفي جميع الصفات عنه سبحانه، لأن كل صفة تشهد أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة.

وبداية مسلسل الأخطاء التي يعتور الفكر البشري تكمن في محاولة توصيف الخالق تبارك وتعالى لأنه سوف يقرنه سبحانه والاقتران يجرّ إلى التجزئة والتجزئة تعني السقوط في هاوية الجهل الذي يفضي إلى أن يقوم بتحديدده والاشارة إليه.

وهكذا يضيع الفكر البشري في متاهات الجهل المطبق، بعيداً عن المفاهيم السامية للايمان والتوحيد والحقيقة الالهية ومن المؤكّد ان ادراك هذه المفاهيم يتطلب نقاء باطنياً وصفاء روحياً لا يتحقّق إلّا من خلال برنامج في تزكية النفس

وازاحة الحجب عن القلب الذي هو بمثابة المرآة كلما تسامت الروح ازداد صفاءً وكلما ازداد صفاءً كان أكثر قابلية على تلقي اشراقات المعرفة الخالدة والوعي الحقيقي .

وكيف يتأتى للانسان الغرق وسط ضجيج الحياة المادية وصخبها أن يصغي لنداء الحق ؟!

كيف يمكن للانسان الذي تستغرقه الشهوات وتصم اذنيه عربدة الغرائز وتعصف بفكره هموم البطن والملذات الحيوانية أن يسمع صوت العقل ؟! وكيف له أن يرى نور الحقيقة وقد خلبت لبه بهارج الحياة الدنيوية الهابطة ؟! وعندما يرتكب الانسان الأخطاء! وعند ما يقتترف الخطايا؛ يتراكم فوق قلبه غبار ودخان وينطفئ في أعماقه سراج العقل وتسود مرآة الفطرة .

ولا يحسب طلبة العلوم الدينية في الحوزات العلمية أنهم بمنأى عن السقوط في هاوية الجهل؛ ذلك ان الخطر محدق بالجميع، ومن أجل ذلك يصبح الثري في مجتمعاتنا قاروناً والحاكم فرعوناً والعالم نسخة مطابقة لما حصل لـ «بلعم بن باعوراء» من سقوط أخلاقي؛ وكان قد تلقى الآيات التي تؤهله للرقى في سماء الايمان ولكنه أخلد إلى الأرض وكان مصيره السقوط !

فيا طائر الروح لم توقفت عن التحليق في سماوات الملكوت ؟!

ويا أيها العندليب لم توقفت عن التغريد ؟!

لم هذه الغربة في صحراء الحياة ؟!

لم هذا السقوط في فخ الطبيعة وظلماتها ؟!

علم الباطن

يقول ملا نعيم الطالقاني وهو من كبار فلاسفة القرن الانبي عشر الهجري في كتابه أصل الأصول: «ان اكتساب علم الباطن وبحسب وسع كل مكلف واستعداده واجب عيني .

وعلم الباطن هو محض تزيين الأعماق بالفضائل وتطهيرها من الرذائل والحقيقة ان مقدمات هذه الحركة الباطنية تكمن في تحلي الظاهر بالآداب والسنن الشرعية والالتزام بالأصول والفروع الدينية وتطهير جميع الأعضاء من التلوث بالمحرمات الشرعية واجتناب القيام بالأعمال اللاأخلاقية».

ان مباني ومرتكزات وجذور هذا العلم مودعة في اكتساب وتحصيل الأخلاق والفضائل والملكات الأخلاقية الكامنة في أخبار وروايات وسيرة أئمة المعصومين عليهم السلام والاستلهام من هذه السيرة الشريفة .

وبالرغم من أن العقل هو الأداة والوسيلة في تحصيل الحكمة العملية ولكنه لا يتمكن لوحده من طي الطريق إلى نهايته والوصول إلى غايته، بل يتعين على العقل أن يستضيء بنور أهل البيت المعصومين عليهم السلام يستمد من أنوارهم الضوء والطاقة اللازمة .

ولذا يتعين على المرء الذي يروم السير في طريق التكامل أن يستلهم المعرفة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في «باب الايمان والكفر» الذي هو في طليعة الكتاب الجليل القيم «الكافي» ففي هذا الباب يتعرف الانسان على «الخير» فيسعى في اكتسابه ويكتشف كل «شر» فيحاول اجتنابه .

وثمة جذور لهذا العلم تكمن في الرياضات الشرعية وخلوات التأمل في

الأسحار النورانية والقيام بالمجاهدات الروحية .

وينجم عن أداء هذه الأعمال تطهير الباطن والظاهر ، فيحصل العارف السالك في سبيل الحق على الرقي في معارج الملأ الأعلى والخلاص من مهاوي العالم الأدنى .

وفي هكذا ظروف يحصل السالك الواعي على الانس بعوالم الروح والقرب من عالم المقربين ، وتتجلى ارادته وتقوى همته فينتجه نحو جمال الملكوت الأعلى معرضاً عن بهارج الحياة الدنيا ؛ فيتوقد عقله ويستثمره في انتهاز الفيوضات الاخروية بدل استهلاكه في زخارف الحياة المادية .

وتنقطع رغباته في الاتصال بالعلائق الهابطة ويصفي خاطره من التعلق بالأمور الدنيوية .

وتتضاءل نزعاته المادية الهابطة فتضمحل وتشحد قواه العقلانية لانتهاز الفيوضات الربانية فتقوى .

وليطلب من خلال الخضوع والتضرع في رحاب ذي الجود والفضل والواهب تبارك وتعالى منه سبحانه أن يفتح على قلبه أبواب رحمته كلها وأن يضيء بنور هداه صدره وفؤاده أجراً على رياضته وجهاده ، ليشاهد أسرار الملكوت وآثار الجبروت فتسطع في باطنه الحقائق العينية والدقائق الفيضية وتتجلى في صورة كشف وشهود .

فاذا بلغ هذا الكشف المفعم بالفيض شملته العناية الالهية والرحمة الربانية وبلغ مرحلة انكشاف القوة العاقلة ، ومن ثم الكشف القلبي ؛ وهنالك يبلغ مرحلة

الكشف الروحي».^(١)

وفي هذا المقام الرفيع الذي يتلأأ بمفاهيم واسماء وصفات المحبوب يدرك العارف لذّة اكتشاف الحقائق ويوفّق إلى التمتع بمشاهدة الجمال ببصيرة القلب وهنالك يتيسّر له فهم نصوص القرآن ومعاني والآيات ويدرك ما تشتمل عليه أحاديث أهل البيت ومفاهيم الروايات؛ فيصل إلى مرحلة عين اليقين وهي مطلب وغاية آمال كلّ المحبّين والعارفين.

١. أصل الأصول: ١٧٤ - ١٧٥.

[﴿٢﴾ الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ]

نظر قاصر وفهم عاجز

نعرف ان الرؤية والنظر تتحقق في مواجهة العين للجسم؛ فيتحقق النظر والمشاهدة في ظروف محدّدة من قبيل وجود الضوء والنور وسلامة البصر، وقابليّة الأجسام للرؤية زماناً ومكاناً وتتفني الرؤية في غياب أحد الشروط. ومن جهة أخرى فان قوى الانسان من أعضاء وجوارح محدودة بحدود معيّنة تعمل في أطر خاصّة؛ فالعين والأذن وحتى قوى التفكير وقدرات العقل هي الاخرى لها بداية ونهاية ومستويات.

وما أكثر الأشياء الماديّة التي تعجز العين عن رؤيتها من قبيل الروح، الجن، الملائكة، الهواء، الألم، الالكترن، النيوترون، أنواع الجراثيم والفايروسات، الجاذبيّة المغناطيسيّة، التيار الكهربائي و... فمع وجود هذه الأشياء واليقين التام بوجودها إلا أنّها غير قابلة للرؤية أبداً.

والله عزّ وجلّ الذي ليس كمثله شيء، والذات المطلقة الذي لا تحدّه حدود ولا يتشخّص في مكان، ان الانسان أكثر عجزاً لأنّه من المستحيل للعين أن ترى الله سبحانه الذي يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.

روى عاصم بن حميد قال: ذكرت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام فيما يروونه من

الرؤية فقال:

ذَكَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِيمَا يَرُوءُونَ مِنَ الرُّؤْيَا فَقَالَ:

الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ الْكُرْسِيِّ وَالْكُرْسِيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ الْعَرْشِ وَالْعَرْشُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ الْحِجَابِ وَالْحِجَابُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ السِّرِّ فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَمْلُؤُوا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ. (١)

وروى عبد الله بن سنان عن الامام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

إِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ رَفِيعٌ لَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلَى صِفَتِهِ وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَلَا يُوصَفُ بِكَيْفٍ وَلَا أَيْنَ وَلَا حَيْثُ وَكَيْفَ أَصِفُهُ بِكَيْفٍ وَهُوَ الَّذِي كَيْفَ الْكَيْفِ حَتَّى صَارَ كَيْفًا فَعَرَفْتُ الْكَيْفَ بِمَا كَيْفَ لَنَا مِنَ الْكَيْفِ أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِأَيْنَ وَهُوَ الَّذِي أَيْنَ الْأَيْنِ حَتَّى صَارَ أَيْنَ فَعَرَفْتُ الْأَيْنَ بِمَا أَيْنَ لَنَا مِنَ الْأَيْنِ أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِحَيْثُ وَهُوَ الَّذِي حَيْثُ الْحَيْثُ حَتَّى صَارَ الْحَيْثُ فَعَرَفْتُ الْحَيْثُ بِمَا حَيْثُ لَنَا مِنَ الْحَيْثُ فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَاخِلٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَخَارِجٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾. (٢)

١. التوحيد للشيخ الصدوق: ١٠٨، ح ٣.

علماً بأن درجة حرارة الشمس تصل إلى ٢٠/٠٠٠/٠٠٠ درجة مئوية ويبلغ طول السنة

الذهب إلى ١٦/٠٠٠ كيلومتراً!!

٢. الكافي: ١٠٣/١؛ التوحيد للشيخ الصدوق: ١١٥.

المحكم والمتشابه

يذهب بعض علماء السنّة إلى قراءة النصّ القرآني قراءة سطحيّة دون وعي عميق لمفاد الآيات القرآنيّة ومن هنا فهم يقولون برؤية الخالق تبارك وتعالى يوم القيامة ويقولون بأنّ له يدين ورجلين و...

غير أنّ أئمّة الهدى من آل رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين وهم الثقل الأصغر بعد القرآن الكريم والمفسّرون الحقيقيون لكتاب الله العزيز ينفون بشدّة امكانيّة رؤية الله عزّ وجلّ، ويستندون في أقوالهم إلى نصوص القرآن الكريم والعقل والمنطق^(١).

قال تبارك وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا

١. قَالَ صَفْوَانُ بْنُ يَحْيَى: سَأَلَنِي أَبُو قُرَّةَ الْمُحَدِّثُ أَنْ أُدْخِلَهُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي ذَلِكَ فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْأَحْكَامِ حَتَّى بَلَغَ سُؤَالُهُ إِلَى التَّوْحِيدِ فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: إِنَّا رَوَيْنَا أَنَّ اللَّهَ قَسَمَ الرُّؤْيَا وَالْكَلامَ بَيْنَ نَبِيِّينَ فَقَسَمَ الْكَلَامَ لِمُوسَى وَلِمُحَمَّدٍ الرُّؤْيَا، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَنْ الْمُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ إِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ قَالَ: بَلَى؟ قَالَ: كَيْفَ يَجِيءُ رَجُلٌ إِلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ فَيَقُولُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي وَأَخْطُتُ بِهِ عِلْمًا وَهُوَ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ أَمَا تَسْتَحْشِرُونَ مَا قَدَرْتَ الزَّانِدَةُ أَنْ تَرْمِيَهُ بِهِذَا أَنْ يَكُونَ يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ يَأْتِي بِخِلَافِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ - المترجم .

وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١﴾

المتشابه من الآيات

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٢)

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٣)

﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٤)

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (٥)

﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ (٦)

أجل هذه الآيات أعلاه نموذج للآيات المتشابهة والتي تنسجم مع المفاهيم التوحيدية من خلال التأويل، فتلتقي في نهاية الآخر بمفاد الآيات المحكمة، وعلم التأويل لا يوجد إلا لدى من اصطفاهم الله من عباده ذلك انه لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وهم النبي ﷺ والأئمة الأطهار من أهل بيته عليه السلام.

الراسخون في العلم

يشتمل تفسير «نور الثقلين» على زهاء خمس وعشرين رواية مهمة مروية من جوامع الحديث الشريف وكذا تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي على ان المراد من الراسخين في العلم هم النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليه السلام (٧). يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

١. سورة آل عمران (٣): ٧.
٢. سورة الفتح: ١٠.
٣. سورة طه: ٥.
٤. سورة القيامة: ٢٣.
٥. سورة الفجر: ٢٢.
٦. سورة هود: ٢٩.
٧. تفسير نور الثقلين: ١/ ٣١٥؛ تفسير الميزان: ٣/ ٦٩.

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعْنَا
اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ.^(١)

من هنا فان اولئك العلماء من أهل السنة عندما يستدلون على رؤية الله يوم
القيامة استناداً إلى ظواهر بعض الآيات هم في الحقيقة مخطئون؛ ذلك ان آرائهم
هذه لا تنسجم مع مفاد الآيات المحكمة ومع تفسير النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

رؤية الله بالبصيرة

عندما يتحلّى الانسان المؤمن بآداب الشريعة والأخلاق الحسنة ويشرق نور
المعرفة في أعماقه تنفتح بصيرته فيرى الحقائق وحينئذ يتلقى القلب على قدر
استعداده، نور الجلال والجمال ويرى الله بنور اليقين.
واليقين هو التعبير الآخر للرؤية يعني بلوغ الانسان مرحلة الذروة من الايمان
تتبدد عندها كل الشكوك والشبهات فيرى الحقيقة أمامه كما لو أنه ينظر إليها بعينه
وبصره.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَضَرْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ
الْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَيُّ شَيْءٍ تَعْبُدُ؟ قَالَ: اللَّهُ، قَالَ: رَأَيْتُهُ؟ قَالَ: لَمْ تَرَهُ
الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعَيْنِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، لَا يُعْرَفُ
بِالْقِيَاسِ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ، مَوْصُوفٌ بِالْآيَاتِ، مَعْرُوفٌ
بِالْعَلَامَاتِ، لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ ذَلِكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. قَالَ: فَحَرَجَ الرَّجُلُ وَهُوَ
يَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.^(٢)

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٤٤؛ نور الثقلين: ٣١٥/١.

٢. الكافي: ٩٧/١؛ التوحيد، شيخ صدوق: ١٠٨.

بخرج الرجل وهو يردد قوله تعالى :

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾. (١)

وعن أبي عبد الله عليه السلام :

جاء حَبْرٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! هل رأيت ربك حين

عبدته؟ فقال: ويحك ما كنت أعبدُ رباً لم أره. قال: وكيف رأيتَه؟ قال: ويحك

لا تُدرِكُهُ العُيُونُ في مُشاهدةِ الأبصارِ، وَلَكِنْ رَأَيْتُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ. (٢)

وهنا تجدر الإشارة إلى هذه النكتة الدقيقة وهي أن لكل قلب في افتتاحه على ادراك حقائق سعته واستعداده في تلقي نور الجمال لا يمكنه تجاوزها فمن طلب ما يتجاوز قابليته كان بمنزلة فناء وجوده وهذا ما ورد في تفسير الميزان في تفسير الآية (١٤٣) من سورة الأعراف المباركة. (٣)

١. سورة الأنعام: ١٢٤. ٢. الكافي: ١/ ٩٧؛ التوحيد، شيخ صدوق: ١٠٩.

٣. قال موسى ربّ أرني أنظر إليك أي أرني نفسك انظر إليك أي مكّني من النظر إليك حتّى انظر إليك وأراك فإنّ الرؤية فرع النظر والنظر فرع التمكين من الرؤية والتمكّن منها قال الله تعالى لموسى: «لن تراني» أبداً ولكن انظر إلى الجبل... فان استقر في مكانه فسوف تراني» أي لن تطيق رؤيتي فانظر إلى الجبل فان استقرّ مكانه وأطاق رؤيتي، فاعلم أنّ تطيق النظر إليّ ورؤيتي، فلما تجلّى وظهر ربّه للجبل جعله يتجلّيه دكاً مدكوكاً متلاشياً في الجوّ وخرّ موسى صعقاً ميتاً أو مغشياً عليه من هول ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك رجعت إليك ممّا اقترحتك عليك وأنا أوّل المؤمنين بأنك لا ترى.

إنّ الله سبحانه لا يماثله شيء بوجه من الوجوه البتّة فليس بجسم ولا جسماني ولا يحيط به مكان ولا زمان ولا تحويه جهة ولا توجد صورة مماثلة أو مشابهة له بوجه من الوجوه في خارج ولا ذهن فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك توبة ورجوع منه عليه السلام بعد الافاقة إذ تبين له أن الذي سأله وقع في غير موقعه، فأخذته العناية الإلهية بتعريفه ذلك وتعليمه عياناً بأشهاده ذلك الجبل بالتجلي انه غير ممكن. الميزان، ج ٨، تفسير الآية (١٤٣) من سورة الأعراف.

موسى ومسألة الرؤية

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ١١﴾.

والذي يعطيه التدبر فيها أن حديث الرؤية والنظر الذي وقع في الآية إذا عرفناه على الفهم العامي المتعارف حمله على رؤية العين ونظر الأبصار ولا نشك ولن نشك أن الرؤية والأبصار يحتاج إلى عمل طبيعي في جهاز الأبصار يهيئ للباصر صورة مماثلة لصورة الجسم المبصر في شكله ولونه.

وبالجملة هذا الذي نسميه الأبصار عمل طبيعي يحتاج إلى مادة جسميه في المبصر والباصر جميعاً وهذا لا شك فيه.

والتعليم القرآني يعطي إعطاءً ضرورياً أن الله سبحانه لا يماثله شيء بوجه من الوجوه البتة فليس بجسم ولا جسماني ولا يحيط به مكان ولا زمان ولا تحويه جهة ولا توجد صورة مماثلة أو مشابهة له بوجه من الوجوه في خارج ولا ذهن البتة.

وما هذا شأنه لا يتعلق به الأبصار بالمعنى الذي نجده من أنفسنا البتة، ولا تنطبق صورة ذهنية لا في الدنيا ولا في الآخرة ضرورة؛ ولا أن موسى ذاك النبي العظيم أحد الخمسة أولي العزم وسادة الأنبياء ﷺ ممن يليق بمقامه الرفيع وموقفه الخطير أن يجهل ذلك ولا أن يمتني نفسه بأن الله سبحانه أن يقوي بصر الانسان على

أن يراه ويشاهده سبحانه منزهاً عن وصمة الحركة والزمان والجهة والمكان وألوان المادّة الجسميّة وأعراضها؛ فانه قول أشبه بغير الجد منه بالجد فما محصّل القول: إنّ من الجائز في قدرة الله أن يقوي سبباً مادياً أن يعلّق عمله الطبيعي المادّي - مع حفظ حقيقة السبب وهويّة أثره - بأمر هو خارج عن المادّة وآثارها متعال عن القدر والنهائية؛ فهذا الإبصار الذي عندنا وهو خاصّة مادّيّة من المستحيل أن يتعلّق بما لا أثر عنده من المادّة الجسميّة وخواصّها فان كان موسى يسأل الرؤية فانما سأل غير هذه الرؤية البصريّة وبالملازمة ما ينفيه الله سبحانه في جوابه، فانما ينفي غير هذه الرؤية البصريّة فأما هي فبديهيّة الانتفاء لم يتعلّق بها سؤال ولا جواب.

وقد أطلق الله الرؤية وما يقرب منها في موارد من كلامه وأثبتها كقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (١).

لا ريب أنّ الآيات تثبت علماً ضرورياً لكن الشأن في تشخيص حقيقة هذا العلم الضروري.

وقد أثبت الله سبحانه في موارد من كلامه قسماً آخر من الرؤية وراء رؤية الجارحة كقوله تعالى:

﴿كَأَلَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (٢).

وقوله:

٢. سورة التكاثر: ٥ - ٧.

١. سورة فصلت: ٥٣ - ٥٤.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾. (١)

فبهذه الوجوه يظهر أنه تعالى يثبت في كلامه قسماً من الرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرية الحسية وهي نوع شعور في الانسان يشعر بالشيء بنفسه من غير استعمال آلة حسية أو فكرية، وأن للانسان شعوراً بربه غير ما يعتقد بوجوده من طريق الفكر واستخدام الدليل بل يجده وجداناً من غير أن يحجبه عنه حاجب ولا يجره إلى الغفلة عنه إلا اشتغاله بنفسه وبمعاصيه التي اكتسبها؛ وهي مع ذلك غفلة عن أمر موجود مشهود لا زوال علم بالكلية ومن أصله، فليس في كلامه تعالى ما يشعر بذلك البتة بل عبّر عن هذا الجهل بالغفلة وهي زوال العلم بالعلم لا زوال أصل العلم.

والذي يتجلى من كلامه تعالى أن هذا العلم المسمّى بالرؤية واللقاء يتم للصالحين من عباد الله يوم القيامة كما يدلّ عليه ظاهر قوله تعالى:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. (٢)

فهناك موطن التشرف بهذا التشريف.

وأما في هذه الدنيا والانسان مشغول ببدنه ومنغم في غمرات حوائجه الطبيعية وهو سالك لطريق اللقاء والعلم الضروري بآيات ربه، كادح إلى ربه كدحاً ليلاقيه، فهو بعد في طريق هذا العلم لن يتم له حتى يلاقي ربه، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾. (٣)

٢. سورة القيامة: ٢ - ٣.

١. سورة الأنعام: ٧٥.

٣. سورة الانشقاق: ٦.

أجل يستحيل على الانسان أن يرى الله ببصره وبينما تعجز العيون عن رؤية الله تبارك وتعالى فان القلوب والعقول تدرك وجوده سبحانه فترة بحقائق الايمان.^(١) ولهذا يستحيل على الفكر البشري والعقل البشري والخيال أن يتصور الخالق تبارك وتعالى لأنه فوق التصور ولذا يؤكد أئمة أهل البيت على توصيفه بما وصف نفسه سبحانه وتعالى ، فقد «عجزت عن نعته أوهام الواصفين» لذا يستعين على الانسان المؤمن أن يلتزم بأدبيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في الدعاء والثناء والتسبيح وتمجيده بصفاته وأسمائه سبحانه وتعالى .

معرفة الله عن طريق الطبيعة

ان عجز البشر عن تصور الذات الالهية ومعرفة كنهه واستحالة وصفه ونعته لا يعني أن يتوقف الانسان عن التفكير في الحقائق التوحيدية . وقد جاء في الأثر: لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين ذلك ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار . ولما كانت صفات الله هي عين ذاته ، فلا بد وأن يعجز الانسان عن وصفها وقد ورد النهي عن التفكير في ذاته عز وجل والحث على التفكير في آثاره ومخلوقاته .

١ . روى الامام الصادق عليه السلام قال : انه جاء حبر يهودي إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا

أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته ؟

فقال عليه السلام : ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره .

قال : وكيف رأيته ؟

قال عليه السلام : ويلك لا تدركه العين في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان .

التوحيد ، الشيخ الصدوق ، ص ١٠٩ .

يقول المفكر الشهيد مرتضى مطهري في كتابه «الأسس الفلسفية والمنهج الواقعي»:

«يقال أن القرآن حصر الطريق في معرفة الله بدراسة الطبيعة من خلال المنهج الحسي ومن المؤكد أن القرآن دعا إلى التأمل في الطبيعة وأكد على ذلك بقوة ولكن هل أن القرآن يرى دراسة الطبيعة حلاً لكل القضايا التي يطرحها؟! فالتقرآن يشتمل على قضايا من قبيل:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. (١)

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. (٢)

﴿لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. (٣)

﴿أَمْلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾. (٤)

﴿فَأَيْنَمَا تُولُو فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. (٥)

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾. (٦)

وهذه القضايا كلها ترتبط بالجانب الآخر والعالم الآخر؛ فكيف يمكن معرفتها عن طريق معرفة الطبيعة ودراساتها؟!

انه لمن المؤكد ان دراسة الطبيعة تفقدنا حتما الى معرفة قدرة وحكمة خالق العالم ومبدع الوجود؛ غير ان أقصى ما توصلنا إليه هذه المعرفة هي اثبات ان خالق الوجود علیم بما يصنع قادر عليه، ولكن القرآن يطرح معرفة أرقى وأبعد؛

١. سورة الشورى: ١١. ٢. سورة النحل: ٦٠.

٣. سورة الأعراف: ١٨٠. ٤. سورة الحشر: ٢٣.

٥. سورة البقرة: ١١٥. ٦. سورة الحديد: ٤.

انه يطلب منا أن نعرف أنه عليم بكل شيء قدير على كل شيء ليس لعلمه ولا لقدرته حدود. فكيف يتحقق ذلك عن طريق دراسة الطبيعة وهي في كل الأحوال محدودة، كيف يمكننا ان ندرك ان علمه لا يتناهى وأن قدرته مطلقة؟
والحقيقة أن دراسة الطبيعة تقودنا إلى حدود ما وراء الطبيعة وهذا الطريق يمتد إلى هذه الحدود وينتهي عند هذه الحدود؛ فنحصل على عنوان غامض عما وراء الطبيعة.

يعني أن أقصى ما نحصل عليه من خلال دراسة الطبيعة هو انه يتّضح لنا أن الطبيعة خاضعة إلى قوة أو قوى تدبّر شؤونها وهي قوى تتّصف بالارادة والعلم؛ أمّا أن تكون هذه القوة أزليّة وأبدية وهل هي واحدة أو متكررة! بسيطة أو متجزّئة جامعة لكل صفات الكمال أو لا، محدود القدرة والعلم أو مطلقة؛ وهل هي منزّهة عن كل نقص أو لا! وهل نواجهها أينما ولينا وجوهنا؟ وهل هي أوّل الأشياء وآخرها؟ وغير ذلك..

ان كلّ هذه الأمور قد طرحها القرآن ولا نجد لها أجوبة في دراسة الطبيعة.
واذن يتعيّن علينا أن نقول ان الانسان إمّا أن يكون مضطراً للإيمان والاعتقاد بها دون وعي أو انه يوجد طريق آخر هو غير دراسة الطبيعة.

ان القرآن الكريم يطرح هذه القضايا من خلال سلسلة دروس ومن جهة أخرى يدعو إلى التفكير والتدبّر في آيات القرآن؛ إلى جانب تأكيده في ان التفكير بالطبيعة لا يحلّ هذه الالغاز؛ واذن يتعيّن الازعان الى وجود طريق آخر لفهم هذه القضايا يؤيّد القرآن الكريم.

معرفة الله عن طريق العقل

وهو طريق تؤيده الآيات القرآنية التي تدعو الانسان إلى أن يطوي مراحل هذا الطريق لأنّه طريق جامع اضافة إلى كونه طريقاً فطرياً أكمل من طريق القلب . وتموج كلمات الامام السجاد عليه السلام بالمفاهيم حيث يعجز الواصفون عن معرفة حقائق ما وراء الطبيعة وحيث يعجز الحامدون عن احصاء نعمه وأداء شكره ووصفه فهو الأزلي الأبدي الدائم السرمدي والظاهر والباطن، السميع العليم، الخبير البصير .

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

دَلِيلُهُ آيَاتُهُ، وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ، وَمَعْرِفَتُهُ تَوْحِيدُهُ، وَتَوْحِيدُهُ تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ،
وَحُكْمُ التَّمْيِيزِ بَيْنُوتُهُ صِفَةٌ لَا بَيْنُوتَ عَزَلَةٍ، إِنَّهُ رَبُّ خَالِقٍ، غَيْرُ مَرْبُوبٍ
مَخْلُوقٍ، كُلُّ مَا تُصَوِّرُ فَهُوَ بِخِلَافِهِ. ^(١)

ومن خلال هذا النص الرفيع البليغ ندرك ان الله فوق وصف الواصفين ولذا فان أئمة الهدى الأطهار عليهم السلام يؤكدون على عدم توصيف الله عز وجل إلا بما وصف نفسه؛ إذ لا يمكن توحيد الله عز وجل توحيداً خالصاً الا من خلال آياته سبحانه التي تدل على وجوده وتدل عليه .

معرفة الله في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

ورد في كتب الحديث ان الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من جمع القرآن الكريم وذلك بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله بسبعة أيام ألقى خطبة عظيمة في مسجد رسول

١. الاحتجاج: ٢٠١/١؛ بحار الأنوار: ٢٥٣/٤.

الله ﷻ افتتحها بالحمد والثناء .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تَنَالَ إِلَّا وَجُودَهُ، وَحَجَبَ الْعُقُولَ عَنْ أَنْ تَتَخَيَّلَ
ذَاتَهُ فِي امْتِنَاعِهَا مِنَ الشَّبَهِ وَالشَّكْلِ، بَلْ هُوَ الَّذِي لَمْ يَتَفَاوَتْ فِي ذَاتِهِ، وَلَمْ
يَتَبَعَّضْ بِتَجَزُّئَةِ الْعَدَدِ فِي كَمَالِهِ، فَارَقَ الْأَشْيَاءَ لَا عَلَى اخْتِلَافِ الْأَمَاكِنِ،
وَتَمَكَّنَ مِنْهَا لَا عَلَى الْمُمَارَجَةِ، وَ عَلِمَهَا لَا بِأَدَاةٍ لَا يَكُونُ الْعِلْمُ إِلَّا بِهَا، وَلَيْسَ
بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَعْلُومِهِ عِلْمٌ غَيْرُهُ. إِنْ قِيلَ: «كَانَ» فَعَلَى أَرْلِيَّةِ الْوُجُودِ، وَإِنْ قِيلَ:
«لَمْ يَزَلْ» فَعَلَى تَأْوِيلِ نَفْيِ الْعَدَمِ، فَسُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ مَنْ عَبَدَ سِوَاهُ، وَ
اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا.^(١)

أجل يضيع الخيال البشري دون أن يصل إلى فكرة عن الله عز وجل إلا بمعرفة
وجوده وتتحير العقول في تكوين صورته لذاته سبحانه وتعالى لأن الذات المقدسة
تمتنع عن الشبه .

منفصل عن الأشياء لا على صعيد المكان نافذ فيها لا عن طريق الامتزاج بها .
وعندما يقال «كان» فلاجل توضيح أَرْلِيَّةِ وجوده!
وعند ما يقال «لم يزل» فمن أجل نفي العدم فقط !

حقيقة المعرفة

وفي ضوء النص أعلاه يمكن الإشارة إلى ثلاث قضايا فلسفية :
الاولى : إن معرفة الحق سبحانه من خلال التصور الذهني أمر مستحيل أمّا
وجوده فهو معلوم بذاته؛ ذلك ان العقل البشري والخيال لا طريق لهما إليه تبارك

١ . التوحيد، للشيخ الصدوق: ٧٣؛ الأمالي، للشيخ الصدوق: ٣٢٠.

وتعالى وأية محاولة للعقل في هذا الطريق ستبوء بالفشل وسيرتدّ العقل خاسراً وهو حسير .

الثانية : ان علمه بالأشياء هو بنفس وجود الأشياء وليس بالصور الذهنية لها ولا بالأدوات والآلات .

الثالثة : ان مفهوم أوليته عز وجلّ وتقدّمه على الأشياء ليس على صعيد الزمان وإنما بمعنى الاطلاق في وجوده تعالى .

وأساس المسألة الاولى : الوجدانية المحضة لوجود الحق لأنّه وجود خالص فلا وجود للاختلاف في ذاته وهو حقيقة واحدة .

وأساس المسألة الثانية : الاطلاق في وجوده فهو محيط بجميع الأشياء ، ذلك ان لازمة فرض المطلق مع المحدود هو ان المطلق محيط احاطة تامة بالمحدود وهو حاضر في داخله وخارجه وفي هذه الحالة فهو واضح لديه ولا يوجد حاجب بينه وبينها وكلّ الأشياء معلوم لديه بوجودها لا بوجود واسطة وأدوات وآلات .

وأساس المسألة الثالثة : هي أيضاً الاطلاق في وجوده ؛ ذلك ان المطلق محيط بالمحدود احاطة تامة .

وجاء في كتب الحديث ان الامام علي عليه السلام كان يخطب في مسجد الكوفة ، فقد روى الأصمعي بن نباتة قال :

عَنِ الْأَصْبَغِ فِي حَدِيثٍ قَالَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ذُعْلَبٌ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ :

وَيْلَكَ يَا ذُعْلَبُ لَمْ أَكُنْ بِالَّذِي أُعْبَدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ قَالَ فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ صِفْهُ لَنَا قَالَ

وَيْلَكَ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ إِنَّ رَبِّي لَا يُوصَفُ بِالْبُعْدِ وَلَا بِالْحَرَكَةِ وَلَا بِالسُّكُونِ وَلَا
بِالْقِيَامِ قِيَامَ انْتِصَابٍ وَلَا بِحِيَّةٍ وَلَا بِذَهَابٍ لَطِيفِ اللَّطَافَةِ لَا يُوصَفُ بِاللُّطْفِ
عَظِيمِ الْعَظَمَةِ لَا يُوصَفُ بِالْعِظَمِ كَبِيرِ الْكِبَرِيَاءِ لَا يُوصَفُ بِالْكِبَرِ جَلِيلِ
الْجَلَالَةِ لَا يُوصَفُ بِالْغِلْظِ رَعُوفِ الرَّحْمَةِ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ مُؤْمِنٌ لَا بِعِبَادَةِ
مُدْرِكٌ لَا بِمَجَسَّةٍ قَائِلٌ لَا بِلَفْظٍ هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ عَلَى غَيْرِ مُمَارَجَةٍ خَارِجٍ مِنْهَا
عَلَى غَيْرِ مُبَايَنَةٍ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ شَيْءٌ فَوْقَهُ أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ لَهُ
أَمَامٌ دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ فِي شَيْءٍ دَاخِلٍ وَخَارِجٍ مِنْهَا لَا كَشَيْءٍ مِنْ
شَيْءٍ خَارِجٍ فَخَرَّ ذِعْلِبٌ مَعْشِيًّا عَلَيْهِ. ^(١)

معرفة الله في كلام الامام موسى الكاظم عليه السلام

وهنا تجدر الإشارة إلى نصّ للامام الكاظم عليه السلام في توضيح هذه العبارة:
«وعجزت عن نعته أوهام الواصفين».

روى الشيخ الصدوق في كتابه الجليل «التوحيد»:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ:
يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَّمَنِي التَّوْحِيدَ فَقَالَ:

يَا أَبَا أَحْمَدَ لَا تَتَجَاوَزْ فِي التَّوْحِيدِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فِي كِتَابِهِ فَتَهْلِكَ
وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ فَيُورَثْ وَلَمْ يُولَدْ فَيُشَارَكَ
وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَلَا شَرِيكًا وَأَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْقَادِرُ الَّذِي

لَا يَعْجِزُ وَالْفَاهِرُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ وَالِدَائِمُ الَّذِي لَا يَبِيدُ
وَالْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَى وَالثَّابِتُ الَّذِي لَا يَزُولُ وَالْعَنِيُّ الَّذِي لَا يَفْتَقِرُ وَالْعَزِيزُ
الَّذِي لَا يَنْزِلُ وَالْعَالِمُ الَّذِي لَا يَجْهَلُ وَالْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَالْجَوَادُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ
وَأَنَّهُ لَا تُقَدَّرُهُ الْعُقُولُ وَلَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَقْطَارُ وَلَا يَحْوِيهِ
مَكَانٌ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَلَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا
خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا
وَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ الَّذِي لَا شَيْءَ بَعْدَهُ وَهُوَ الْقَدِيمُ وَمَا
سِوَاهُ مَخْلُوقٌ مُخْدَتٌ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا^(١).

لاحظ كيف يدعن الانسان المؤمن لكلمات من اصطفاهم الله من عباده
ليكونوا هداة للبشر إليه وتأمل في هذه الكلمات التي تبدأ بالتأكيد على توصيف
الله بما وصف نفسه في كتابه العزيز .

ولهذا فان الخروج على هذه القاعدة ومحاولة توصيف الله بغير ما وصف نفسه
لا يقود إلا إلى التيه والضياح والسقوط في التصورات الوثنية بعيداً عن التوحيد
الخالص وبعيداً عن الحقيقة .

من أجل ذلك كانت آخر وصايا النبي الأكرم ﷺ هو التمسك بكتاب الله العزيز
وبأهل بيته الأئمة الأوصياء والخلفاء بالحق الذين اصطفاهم الله لهداية عباده؛ إذ
هم الراسخون في العلم ومن عندهم علم تأويل الكتاب؛ وإذ لا يعلم تأويله إلا هو
سبحانه والراسخون في العلم .

١ . بحار الأنوار: ٤ / ٢٩٦؛ التوحيد، شيخ صدوق: ٧٦.

[﴿٣﴾] إِبْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ إِبْتِدَاعاً وَ اخْتَرَهُمْ عَلَى مَشِيئَتِهِ اخْتِرَاعاً]

ابتداع الخليفة

وردت كلمة «بديع» في القرآن الكريم مرتين:

- قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (١)

- وقوله تعالى في سورة الانعام:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (٢)

تضمنت كتب التفسير والحديث والروايات وكتب الفلسفة عن تعريفات للابداع؛ ففي كتب اللغة تعني هذه المفردة؛ الاختراع لا على مثال؛ واصطلاحاً يعني الابتداع الايجاد لا عن مادة أما الاختراع فيعني الايجاد لا على مثال. وللحكما تعريف للابتداع وهو الايجاد بلا مادة ومدة وكذا الاختراع فهو يعني الايجاد بلا مادة دون مدة.

٢. سورة الأنعام: ١٠١.

١. سورة البقرة: ١١٧.

بعبارة أخرى ان راعة الخلق لا تشبه لوحة فنيّة استخدم فيها الفنّان والرّسام الفرشاة والألوان، بل ان ما حصل هو ظهور هذا الوجود العظيم بمجرد ارادته سبحانه ومشيّئته.

يقول الامام محمّد الباقر عليه السلام في تفسير الآيتين أعلاه:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِهِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ قَبْلَهُ، فَابْتَدَعَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُنَّ سَمَاوَاتٌ وَلَا أَرْضُونَ^(١).

يقول صدر المتألّهين (ملا صدرا) في كتابه «الأسفار الأربعة»:

وَلَيْسَ الْإِبْدَاعُ وَالْإِنْشَاءُ تَرْكِيبًا وَلَا تَأْلِيفًا بَلْ تَأْسِيسًا وَإِخْرَاجًا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى

الْوُجُودِ^(٢).

ويقول ميرداماد الفيلسوف الكبير:

«الابتداع عبارة عن الخروج من جوف العدم الصريح إلى متن الوجود

والثبات في عالم الدهر».

ويقول في موضع آخر:

«الابداع عبارة عن إيجاد شيء غير مسبوق بمادّة ومدّة».

طبعاً ان ظهور الأشياء يستند إلى قاعدة التركيب والتأليف والحقيقة ان عالم

الكائنات ينهض على نظام العلّة والمعلول وهذا لا يتنافى مع الابداع؛ ذلك أنّنا لو

تلمسنا جذور الكائنات فأننا سنعود إلى المادّة الأوليّة لوجودها وهذه المادّة

الأوليّة ظهرت إلى الوجود بدون أن يكون لها مثال مسبوق؛ وإنّما خرجت من

العدم بارادة الله عزّوجلّ ومشيّئته.

١. نور الثقلين: ١٠٠/١؛ الكافي: ٢٥٦/١.

٢. الاسفار الاربعة: ٢٢١/٢.

أسرار الخلق

يقول الامام السجّاد عليه السلام: انّ الله عزّ وجلّ ابتدع بقدرته الخلق ابتداءً و اخترعهم على مشيئته اختراعاً؛ وانّها لواحدة من نعم الله الكبرى بل هي أعظم النعم لانّها ترتبط بأصل الوجود، حيث شاء الله خروج هذا الوجود العظيم من عمق العدم، هكذا دون مثال سابق وإنما هي ارادة الله سبحانه وتعالى فقط . هذا الكون العظيم الذي يزخر بالأسرار كيف ظهر إلى ساحة الوجود؟! قال تبارك وتعالى :

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ .^(١)

ورد في كتاب «ميلاد وموت الشمس» :

ان مسألة ظهور المادّة وتكوّنها أساساً خارجة عن دائرة البحث والدراسة والتحقيق إذ يجب أن نفترض وجود المادّة ومن هنا يمكن تتبّع مسار خلق الكائنات .

ومن خلال معطيات الآيات القرآنيّة والروايات المعتبرة ان صلاح العالم هو بواكير الخلق الالهي حيث الوجود لم يكن سوى ذرّات دخان وغاز ولكن من أين جاء الدخان وكيف ظهر؟ الجواب الله وحده هو العالم!

يقول القرآن الكريم :

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ .^(٢)

ويقول الامام علي أمير المؤمنين في توصيف خلق العالم :

٢ . سورة فصلت : ١١ .

١ . سورة الكهف : ٥١ .

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلَا تَجَرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلَا حَرَكَةٍ أَحَدَتْهَا وَلَا هِمَامَةٍ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحَالُ الْأَشْيَاءِ لِأَوْقَاتِهَا وَلَا عَمَّ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا وَمُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَأَخْنَائِهَا ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَنُقِيَ الْأَجْوَاءُ وَشَقَّ الْأَرْجَاءُ وَسَكَتَكَ الْهَوَاءُ فَأَجْرَى فِيهَا مَاءٌ مُتَلَاظِمًا تَيَّارُهُ مُتَرَاكِمًا زَخَّارُهُ حَمْلُهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِيفَةِ وَالرَّعْرَعِ الْقَاصِيفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ وَسَلَطَهَا عَلَى شَدِّهِ وَقَرَنَهَا عَلَى حَدِّهِ الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتَيَقُّ وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقُ ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اغْتَقَمَ مَهَبَّهَا وَأَدَامَ مُرَبَّيَّهَا وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الرَّخَّارِ وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخَضُ السَّقَاءِ وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ تَرْدُ أَوَّلِهِ عَلَى آخِرِهِ وَسَاجِيَهُ عَلَى مَاوِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبابُهُ وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامَهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَقٍ وَجَوٍّ مُنْفَقٍ فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَسَمَكًا مَرْفُوعًا بَغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ النُّوَابِ فَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَقَمَرًا مُنِيرًا فِي فَلَكَ دَائِرٍ وَسَقَفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ.

ويقول عليه السلام في خطبة أخرى يصف كيفية خلق السماوات قائلاً:

وَنَظَّمَ بِلا تَغْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجَّهَا وَلَا حَمَّ صُدُوعٍ انْفِرَاجِهَا وَشَجَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْوَاجِهَا وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالٍ خَلَقَهُ حُرُونَهُ مِعْرَاجِهَا وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا وَأَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهُبِ النُّوَابِ عَلَى نِقَابِهَا وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ

تَمُورُ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بَائِدَةً وَأَمْرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ وَجَعَلَ شَمْسَهَا
 آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ
 مَجْرَاهُمَا وَقَدَّرَ مَسِيرَهُمَا فِي مَذَارِجِ دَرَجَتِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا
 وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهَا ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَهَا وَنَاطَ بِهَا
 زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاحِبِهَا وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ
 بِثَوَاقِبِ شُهْبِهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَمَسِيرِ سَائِرِهَا
 وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا. (١)

كما يصف كيفية خلق الأرض قائلاً:

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ وَلُجَجٍ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَوَادِي أَمْوَاجِهَا
 وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتٍ أَتْبَاجِهَا وَتَرْغُو زَبَدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا فَخَضَعَ جَمَاحُ الْمَاءِ
 الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِنَتْهُ بِكُلْكُلِهَا وَذَلَّ مُسْتَحْذِيًا إِذْ تَمَعَّكَتْ
 عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا فَأَصْبَحَ بَعْدَ اضْطِحَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا وَفِي حَكْمَةِ الذَّلِّ مُنْقَادًا
 أَسِيرًا وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوءَةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ وَرَدَّتْ مِنْ نَحْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلَائِهِ وَشُمُوحِ
 أَنْفِهِ وَسُمُوقِ غُلَوَائِهِ وَكَعَمْنَتِهِ عَلَى كِظَّةِ جَرِيَّتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ وَلَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانِ وَثَبَاتِهِ
 فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَحَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الْبُذْخِ. (٢)

يذهب بعض الشارحين لنهج البلاغة إلى أن مفردة «الماء» في كلام الامام عليه السلام لا تعني «الماء» الذي نعرفه وإنما هو مادة سائلة ينطوي على قابلية التحول إلى اجرام سماوية.

١. نهج البلاغة، الخطبة ٩٠، نسخة صبحي صالح.

٢. المصدر السابق.

عن حبة العرني قال: سمعت علياً عليه السلام ذات يوم يحلف قائلاً:

وَالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ مِنْ دُخَانٍ وَمَاءٍ^(١)

وسأل الحبر اليهودي عبدالله بن سلام (قبل إسلامه) رسول الله ﷺ عن خلق السماء فقال ﷺ:

«خلقت من موج مكفوف.

قال: وما الموج المكفوف؟

قال ﷺ: يا بن سلام! ماء قائم لا اضطراب له، وكانت الأصل دخاناً.

قال: صدقت يا محمد!^(٢)

وجاء في تفسير القمي ذيل الآية (٣٠) من سورة الأنبياء: ان الدخان انجمد بأمر الله.^(٣)

خلق العالم في المصادر العلمية

تتألف المادة التي تكوّن منها العالم من غازات منتشرة في الفضاء على شكل «سدم» ومعنى السديم «الضباب الرقيق» أو الشفّاف.

نظريه غاموف

كتب الدكتور جورج غاموف الأستاذ في العلوم الطبيعية بجامعة واشنطن قائلاً: «كان العالم في بداية تكوينه مليئاً بالغازات المنتشرة في الفضاء، وقد بلغ تراكم

١. بحار الأنوار: ١٠٤/٥٥؛ كنز العمال: ١٦٩/٦.

٢. اسلام و هيئت: ٢٦٠؛ بحار الأنوار: ٢٤٦/٥٧.

٣. تفسير القمي: ٦٩/٢.

هذه الغازات وتساعد درجات الحرارة مستوى لا يمكن تصوّره»^(١).
عالم يموج بغازات متراكمة من الهليوم والهيدروجين والازوت والاكسجين
والارغون وغاز الكاروبينك والنيون والكريبتون والكزنون كلّها تجمّعت
استعداداً^(٢) لتنفيذ أمر مالك الخليقة.

تشير الدلائل الفلكيّة بوضوح على ان هذه الاعداد الهائلة من النجوم التي تملأ
السماء بما في ذلك الشمس (وهو نجم متوسط الحجم) لا يمكن أن تكون ازليّة
الوجود ومن المحتمل أن يعود تكوّنها إلى ملياري عام مضت وكانت قبل ذلك
عبارة عن غازات ملتهبة تملأ الفضاء^(٣).

وكانت النجوم في مراحل تكوّنها الأولى عبارة عن كرات غازية رقيقة وباردة
نسبيّاً ثمّ تصاعدت درجات الحرارة فيها مع انقباض وزنها تدريجيّاً.
وفي فجر الخليقة ينبغي أن تكون الاجرام السماويّة على شكل سدم رقيقة تملأ
الفضاء لتتّصل فيما بينها في آصرة خاصّة^(٤).

وهذا ما صرّح به الامام علي أمير المؤمنين قبل خمسة عشر قرن في قوله عليه السلام:
ثمّ أنشأ - سبحانه - فتق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكّك الهواء»^(٥).
يقول غاموف في كتابه «واحد، اثنان، ثلاثة، ما لانهاية»:

تمكن وايتس زيكر أن يدلل على ان ذرات غبار رقيقة كانت تملأ الفضاء الذي
تشغله الكواكب الآن وخلال مدّة تقارب المئة مليون سنة تجمعت وكونت ما نعرفه

١. القرآن والطبيعة، ص ٢١ بالاستناد إلى كتاب النجوم في مسالكها.

٢. نور دانش (نور العلم): ٣٧. ٣. سرگذشت زمین (قصّة الأرض): ٢.

٤. پیدایش و مرگ خورشید (ميلاد وموت الشمس): ١٨٨.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١.

اليوم من السيّارات»^(١).

ويقول في الفصل الأخير من كتاب «ميلاد وموت الشمس»: ان قصّة تكامل العالم تبدأ من فضاء مليء من مادّة ساخنة وكثيفة لدرجة لا تصدّق، بحيث تتبدّل نواة العناصر إلى عناصر أخرى بنفس سهولة سلق البيض في الماء الساخن.

وفي هذا المطبخ الهائل الذي يعود إلى ما قبل تاريخ ظهور العالم قُدّرت أحجام مختلف العناصر ونسبة وجودها؛ ومنذ ذلك التاريخ تحدّدت وفرة الحديد والأكسجين وندرة الذهب.

ويسبب الضغوط الهائلة انبسطت هذه الغازات الساخنة وخلال مدّة الانبساط تراجعت شيئاً فشيئاً وعلى نحو بطيء كثافة الغازات ودرجة حرارتها. وخلال مرحلة محدّدة من الانبساط كانت الغازات تتقطّع على نحو منتظم مشكّلة غيوماً متناسقة الاشكال مختلفة الأحجام للتحوّل إلى ما نراه اليوم من النجوم.^(٢)

نظرية سيبورك

يقول سيبورك في كتابه «عناصر الكون»: تكونت منظومتنا الشمسيّة بفعل الأعصار الهائل واستمرار السيّارات والشمس في دورانها يعود إلى تلك الحركة المداريّة.^(٣) وهنا يلتقي العلم الحديث ونظريات نشوء الكون مع ما ورد في النصوص

١. «واحد، اثنان، ثلاثة، مالا نهاية»: ٣٢٣.

٢. ميلاد وموت الشمس: ٢٢٤. ٣. عناصر الكون: ١٧٨.

الاسلامية حول المادّة التي تكوّن منها الكون والتي كانت عبارة عن غازات أو غبار في حين يطلق عليها القرآن اصطلاح «الدخان».

لاحظ كيف يعبر نص الامام السجاد عليه السلام عن نشوء الخليفة بقوله:
«ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخُلُقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيئَتِهِ اخْتِرَاعاً».

نظريّة أنشتاين

يقول انشتاين:

إذا لم يكن لدينا إيمان راسخ بالنظام النافذ في الكون فسوف لن يكون للعلم أساساً أبداً ان هذا الايمان هو من وراء ما توصّلنا إليه من كشوفات علميّة وما تزال.

ويقول أيضاً:

انه من المؤكّد ان كلّ بحث علمي دقيق إنّما ينهض على أساس عقيدة تشبه العقيدة الدينيّة، هذه العقيدة التي تجزم بأن العالم خلق على أساس العقل ومن الممكن ادراكه.

ويعبر عن رؤيته العلميّة ببيان رائع عند ما يقول:

ان أجمل احساس يمكن أن نشعر به هو الشعور العرفاني، انه الشعور الذي ينثرفي القلوب بذور العلم الحقيقي.

انّ الانسان الذي لا يخامرّه هذا الاحساس والانسان الذي لا يقف مندهشاً أمام عظمة الكون هو انسان ميت.

علينا أن ندرك بوجود شيء يستحيل علينا أن نعرف كنهه إلا انه يتجلّى لنا في ذروة الكمال وغاية الجمال.

شيء لا يمكن لحواسنا إلا أن تدرك وجوده ونحن نقف في بدايات صور هذا الكمال والجمال المطلق.

علينا أن نبحث عن هذا العلم في الإيمان الحقيقي^(١).

تضمنت مقولات انشتاين ثلاث مسائل أساسية هي:

- ان الكون وعالم الوجود خلق على أساس العقل.

- ان الانسان بكل احساساته القلبيه وعقله يقف مندهشاً أمام عظمة الخالق.

- انه من المستحيل على الانسان أن يدرك كنه الذات المقدسة.

لقد توصل انشتاين إلى هذه النتائج الكبرى عن طريق الفيزياء والرياضيات،

بينما نجدها لدنيا واضحة في القرآن الكريم ونصوص الحديث الشريف.

فهناك زهاء ألف آية قرآنية تدعو إلى التفكير في مظاهر الكون وآثار الخلق

وهي تؤكد ان خلق العالم والكائنات ينهض على أساس العقل المطلق والارادة

والمشيئة والحكمة المطلقة والعلم اللانهائي تأمل في هذه الجملة المضيئة.

اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إِلَيْكَ وَالْهَيْئَةُ^(٢).

وجاء في الحديث الشريف عن الامام جعفر الصادق عليه السلام:

إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرُ فِي اللَّهِ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ لَا يَزِيدُ إِلَّا تِيهًا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُدْرِكُهُ

الْأَبْصَارُ وَلَا يُوصَفُ بِمِقْدَارٍ^(٣).

١. راه تكامل (طريق التكامل): ١١٨/٢.

٢. مفاتيح الجنان، المحدث القمي، زيارة أمين الله.

٣. بحار الأنوار: ٢٥٩/٣؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤١٧.

نظريّة جان آلدّر

جان آلدّر من كبار علماء القرن العشرين يقول في كتابه «الايمان بالله في القرن العشرين»:

ليس في حقيقة الخلق وحدها، بل أنّنا لو درسنا دقائق الخلق فان ذلك سيقودنا إلى الاعتقاد بوجود الله.

هذه الحياة على سطح الأرض من أين جاءت وكيف بدأت؟! انّ علماء الجيولوجيا أثبتوا أنّ الحياة في الأرض طارئة وقد مرّت أزمنة طويلة جدّاً، كانت الأرض خلالها خالية من كلّ اشكال الحياة؛ فالطبقات السفلى خالية من الحياة كما أنّ الطبقات القريبة من مركز الأرض، فهي عبارة عن براكين مشتعلة تموج بالحمم؛ ما يدلّ على ان في بدء تكوّنها كان العالم يمرّ في جحيم مستعرة بحيث تذوب فيه الصخور وتتحوّل إلى مادّة سائلة.

وفي هكذا ظروف فانه يستحيل ظهور أيّة مؤشّرات للحياة وقد استغرقت الأرض ملايين السنين إلى أن بردت، لكي تظهر الحياة على سطحها والسؤال هنا من أين جاءت هذه الكائنات الحيّة؟!

ثمّة ثلاث فرضيّات للإجابة عن هذا السؤال.

الأولى: ان الحياة انبعثت من قلب التراب.

الثانية: انها ظهرت بنفسها هكذا دون تدخل عامل خارجي.

والفرضيّة الثالثة: تنهض على أساس الاعتقاد ان الحياة مصدرها منشأ خالد

سرمدى الحياة أو الله.

وتنهار الفرضية الأولى أمام المناقشة لأنها تتعارض مع كل المقاييس والاسس الطبيعية .

ان تسلسل عالم الخلق يقضي على سبيل المثال بأن النجار يصنع المنضدة والانسان ينجب طفلاً والطائر يصنع عشاً ولكن من المستحيل أن تصنع المنضدة نجاراً أو ينجب الطفل رجلاً أو يصنع العش طائراً!

فكيف بهذا العالم الذي يسير وفق قوانين دقيقة؟! ألا يدل على قوة أعلى صنعت هذا الوجود بقوانينه ومقومات استمراره؟

هل يمكن القول بأن التراب أوجد هذا الكون أو صنع هذه الطبيعة التي تزخر بالحياة ان هذا يتناقض مع العقل والتجربة .

ولقد أثبتت التجارب الطويلة ان هذه الأشياء فاقدة لقوة الفعل والانفعال وليس لها القدرة على ايجاد الحياة .

أما الفرضية الثانية فحالها حال الأولى في البطلان بالرغم من سعي العديد من العلماء لاثباتها، ولكن النتيجة أن الحياة لا تظهر إلا بفعل حياة أخرى ولا يمكن أن يكون مصدر الحياة شيء آخر غير الحياة .

فما هو مصدر الحياة في الأرض، وقد كان هذا الكوكب خالياً من كل اشكال الحياة، كانت الأرض خراباً ثم ظهرت الحياة فيها، فما هو مصدرها ومن أين جاءت؟

ان العقل يقضي بوجود منشأ للحياة أعلى ولا يمكن رؤيته وهو يحيط بنا وهو الله .

اننا نستطيع أن نرى الأجسام الحية ولكننا لا نستطيع رؤية الحياة في وجودها،

وعندما يموت شخص ما فإننا لا نرى شيئاً يخرج منه فالجسم بعد خمس دقائق من الموت هو نفسه الجسم الحي؛ في حين أننا على يقين بمغادرة الحياة ومن المنطقي أننا عندما لا نتمكن من رؤية الحياة فإن منشأ الحياة ومصدرها غير قابل للرؤية.^(١)

هذا الكون المذهل

يعيش الانسان على سطح الكوكب الثالث في المنظومة الشمسية الواقعة في المجرة الداخلية (درب التبانة) ومع ذلك فقد بلغ به الذكاء أنه يحاول ادراك عظمة الكون! وفيما يلي بعض الأرقام التي تكشف عن مدى نجاح الانسان في ذلك. تحسب المسافات في الكون بالسنين الضوئية حيث الضوء يقطع في الثانية الواحدة مسافة ١٨٦/٠٠٠ ميل أي ما يعادل ٣٠٠/٠٠٠ كم ولذا فإن السنة الضوئية تساوي ٦ تريليون ميل.

وتتداخل المسافات في هذا الكون وتشكل كل طبقة من الفضاء بقعة خالية بين طبقة اخرى من الفضاء.

فعلى سبيل المثال ان المنظومة الشمسية التي تدعى بـ «الفضاء الأول» إنما تشكل نقطة في الفضاء الثاني وهكذا بالنسبة للفضاء الثاني ازاء الفضاء الثالث، الفضاء الأول؛ المنظومة الشمسية: تبعد الشمس عن الأرض مسافة ثمانى دقائق ضوئية أو ٩٣ مليون ميل وعرضها (المنظومة) $\frac{1}{1000}$ سنة ضوئية.

الفضاء الثاني وأقرب نجم فيها هو ألفاسانتوري يبعد عنا مسافة ٤/٣ سنة

١. الايمان بالله في القرن العشرين : ١٦.

ضوئية يعني أن السفينة الفضائية التي تبلغ سرعتها مليون ميل في الساعة إذا انطلقت من الأرض فأنها تستغرق ثلاثة آلاف سنة حتى تصل إلى ذلك النجم .
الفضاء الثالثة المجرة الداخلية : والأرض تقع في هذه المجرة التي تشبه أناء مليئاً بالنجوم والسدم (الغازات والغبار) تبعد مسافة ١٠٠/٠٠٠ سنة ضوئية ومن بين مئة مليون نجم فان شمسنا ونجمة ألفا سانتوري تشكل نقطة ضوء على حافة هذه المجرة الملتوية .

الفضاء الرابع أقرب المجرات : وتدعى « أندرومدا » وتبعد عن المجرة الداخلية ٢/٢ ميلون سنة ضوئية ومع ذلك فان علماء الفلك يعدونها مجرة قريبة بحيث تبلغ من القرب أنه يطلقون عليها اسم : « الأخت » ويعدونها جزءاً من المجرات الداخلية و « أندومد » ملتوية الشكل تستقر على حافاتها نجوم فتية وفي أعماقها المتكاثفة توجد نجوم منطفئة .

الفضاء الخامس ، أبعد المجرات : « كازارها » وهي من أحدث الكشوفات في علم الفلك وأقربها يحمل علامة (٢٧٣ - ٣٢) حيث يبعد مسافة مليوني سنة ضوئية ؛ وأبعدها يحمل علامة (١٤٧ - ٣٢) ويبعد مسافة ستة بلايين سنة ضوئية ويعتقد علماء الفلك أنهم قد وصلوا إلى منتصف الكون !

وما يزال هناك مجرات ومجرات وراء المجهول .^(١)

إن المجرة التي توجد فيها منظومتنا الشمسية التي تشكل جزءاً صغيراً من الكون يبلغ قطرها ٩٥٠ ترليون كيلومتر ، وفي هذه المجرة التي تنتمي إليها أنواع

١ . پیام آسمانی توحید (نداء التوحيد السماوي) بالاستناد إلى مجلة نيوزويك

عديدة من النجوم بعضها شمس لها ضوء أزرق تبلغ شدته ٥٠/٠٠٠ مرة بقدر ضوء شمسنا وهذه المجرة تكتظ بالنجوم والسدم.

وتشتمل المجرات على منظومات شمسية، حيث تدور الكواكب حول الشمس، كما ان بعض المجرات يدور حول مجرات أخرى.

يبلغ عدد المجرات التي تم احصاؤها حتى الآن أكثر من مليار مجرة. تبلغ سرعة بعض المجرات في دورانها حول نفسها أو في الفضاء اللانهائي ٢٠٠ كم في الثانية.

ويبلغ عدد نجوم مجرتنا (درب التبانة) أكثر من ١٠٠/٠٠٠ مليون نجم. لقد مرّ الكون بمراحل مدهشة من التشكل ليصبح في هذه الصورة التي نراها اليوم وفي الكون العظيم المترامي الذي يفوق التصوّر يوجد كوكب الأرض؛ وشاء الله عزّ وجلّ أن يوجد الحياة في سطح هذا الكوكب الصغير.

ان قصة تكون الأرض وظهور الحياة قصة مثيرة مليئة بالأسرار استغرقت الاف بل ملايين السنين ليتشكل هذا الكوكب بتضاريسه المتنوعة فترى الجبال الشاهقة والوديان الفسيحة والأنهار والغابات والبحار.

يبلغ ارتفاع أعلى قمة في الأرض ٨٨٨٤م أمّا أعرق نقطة في البحار فتبلغ ١١٥٢١م.

وشاء الله عزّ وجلّ بقدرته وحكمته أن تكون الأرض مكاناً لحياة البشر فسطح الأرض تربة صالحة للزراعة ونمو النباتات من أجل أن يستمر البشر والحيوانات في الحياة؛ والهواء يغمر الأرض والشمس ترسل أشعتها إلى الأرض وهي تدور حول الشمس وتدور حول نفسها فتعاقب الفصول الأربعة ويختلف الليل والنهار.

وتندفق الينابيع من بين الصخور لتسقي الحقول والحدائق الغناء، فترى الطيور ترفرف بأجنحتها والفرشات تدور وتنساب الحياة.

أسرار الحياة

توافرت الظروف والأجواء من أجل ظهور الحياة على سطح البسيطة؛ إن ارادة الحب الالهي هي من وراء بدء الحياة التي تزخر بالأسرار، هذه الأسرار التي ستبقى الى الأبد أسراراً يلقها الغموض والمجهول.

أجل شاء الله أن تظهر الحياة التي هي شعاع من أمره عز وجل. «كرسي موريسن» أحد أبرز العلماء الغربيين ألف كتاباً تحت عنوان «أسرار خلق الانسان» وقد جاءت نتائج بحوثه في الغالب موافقة للمعارف الالهية يقول في كتابه:

«الحياة خالدة، لقد مرّت بالأرض الأزمنة والعصور طويلة وتبقى الحياة خالدة»^(١).

«تبرز القارات من أعماق المياه وتغوص فيها وتبقى فيها آثار الحياة، الحياة تلف أعماق البحار والأمواج ورمال الشيطان وسواحل المحيطات»^(٢). وفي كلّ مرّة عندما ينتهي عصر جليدي ويتحرر جزء من سطح الأرض تبدأ الحياة بالظهور وتحتلّ هذا الجزء.

وفي كلّ مرّة عند يداهم الجليد مساحات من الأرض تقاوم الحياة الظروف القطبية من تجمّد وصقيع.

١. «وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» سورة الرحمن : ٢٧.

٢. «أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» سورة فصلت : ٥٤.

وتشير الأدلة الجيولوجية ودراسة الحفريات انه على مدى مئات الملايين من السنين التي تشكّل عمر الأرض أنّها مرّت بسلسلة طويلة من عصور الجليد تتخلّلها بعض الفترات الدافئة، ويطلق العصر الجليدي عندما ينتشر الجليد ويغطي مساحات شاسعة من الأرض؛ وتعود نهاية آخر عصر جليدي للأرض إلى حوالي ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد.

وتبرز الجبال من بين سطح الأرض المجعد المليء بالآخاديد وتتفجّر البراكين وتقذف حممها إلى الفضاء.

وتقوم الرياح وعوامل التجوية أو التعرية بنحت الصخور على مدى ملايين السنين.

وتتحرّك الصفائح الأرضية لتشكل القارات وعلى مدى عصور طويلة تتجمع الظروف المناخية من أجل أن تصبح الأرض كوكباً يموج بالحياة فتزخر الأرض بكلّ مقومات العيش وانطلاق الحضارات.^(١)

تجليات الحياة

الحياة هذا السرّ المكنون النافذ في أحشاء الوجود! الحياة هذا الصوت المتغلغل في فعل الكائنات بألحان متنوّعة تؤلّف نشيداً رائعاً! الحياة في ابداعها حيث تتجلّى في تفاصيل الوجود في أرجل الجراد والذباب والحشرات وفي العضلات والمفاصل وعروق القلب والشرابين وفي خلايا الجهاز العصبي.

١. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ سورة النحل: ١٢.
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ سورة فصلت: ٣٧. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ سورة الحج: ١٨.

هذه الحياة التي تتألق في الورود الربيعية عند ما تغطي الصحاري القاحلة في
 مواسم المطر؛ فيمتلأ الفضاء بشذاها؛ هذه الحياة التي تسطع من خلال الأشجار
 المحملة بالثمار، وهذه الثمار التي تتألق تحت أشعة الشمس .

هذه الحياة التي تترقق في السواقي والجداول وفي الأزهار المبتوثة على
 ضفاف الأنهر وفي أجنحة الفراشات الملونة تدور في المروج الخضراء .

هذه الحياة تموج في عيون الأطفال وتتألق فوق وجناتهم المتوردة وهم
 يلعبون مع الحملان الوديعه، يركضون فتركض ويفرحون ويمرحون .

أجل هذه الحياة في حنان الأمهات ودفء الأحضان وفي نغم الألحان تهدد
 الصغار لتغفو في أمان !

هذه الحياة التي تتدفق مع عناصر اللبن في صدورهن ومع ابتسامات الرضع
 المتألقة على شفاه هذه الحياة التي تزخر بها البحار والمياه !

هذه الحياة ! ما سرها ؟ ! ما كنهها ؟ ! ما حقيقتها ؟ !

هذه الحياة ! سرّ الوجود والحنان المتدفق بالرحمة، الحب، الحكمه، العقل
 المطلق، الارادة التي لا تعرف الحدود هذه الحياة الممتدة من الأزل إلى الأبد ..

الله ! الله ! الله !

«إِبْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَ عَنْهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً»

معرفة الحق

جاء في الحديث النبوي الشريف :

أَعْلَمَكُمُ بِاللَّهِ أَخَوْفَكُمُ اللَّهُ»^(١)

ان معرفة الحق الأول على ثلاث صور:

- معرفة الذات

- معرفة الصفات

- معرفة الأفعال

وتزخر النصوص القرآنية والآيات المباركة بالحديث عن هذه المعرفة والاشارة إلى الغائية في خلق الوجود والانسان والحديث عن الحقائق الملكوتية والكائنات الموجودة وراء أستار الغيب وسكان الملاء الأعلى ومعرفة الحق في جماله وجلاله وكماله والذات المطلقة المقدسة.

واحسرتاه لغفلتنا عن القرآن الكريم وما فيه من النور الذي يضيء الحياة

١. بحار الأنوار: ٦٧/ ٣٤٤؛ تفسير الصافي ٤/ ٢٣٧.

وجاء في ملحقات الصحيفة السجادية تسبيح الامام السجاد عليه السلام وقوله: هذا التسبيح الأعظم وروى عن جدّه رسول الله ﷺ قوله: لا تبقى الذنوب مع هذا التسبيح، وان الله جلّ جلاله لما خلق جبرئيل ألهمه هذا التسبيح وهو اسم الله الأكبر.

وكان الزهري قد روى عن سعيد بن المسيّب قال: كان القوم لا يخرجون من مكّة حتّى يخرج علي بن الحسين سيّد العابدين فخرج وخرجت معه؛ فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين فسبح في سجوده يعني هذا التسبيح؛ فلم يبق شجر ولا مدر إلاّ سبح معه، ففزنا فرفع رأسه فقال: يا سعيد أفزعت؟! فقلت: نعم يا بن رسول الله! فقال: هذا التسبيح الأعظم ومطلعه: سبحانك اللهم وحنانيك! سبحانك اللهم وتعاليت! سبحانك اللهم والعزّ إزارك! سبحانك اللهم والعظمة رداؤك! سبحانك اللهم والكبرياء سلطانتك... سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار!... سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر... سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور!

ويختتم الامام زين العابدين تسبيحه بالقول:

سبحانك! عجباً من عرفك كيف لا يخافك؟! - المترجم.

واهملنا كتاب نهج البلاغة الذي تنعكس أنوار القرآن فوق صفحاته؛ واعراضنا عن الصحيفة السجّادية وما فيها من كنوز المعرفة الخالدة والتي تكشف عن عمق الادراك لخفايا الوجود وعظمته وخوفه من خالق الوجود وخشيته وتلك ذروة الايمان.

هذا الانسان الالهي يرسم لنا طريقاً يغمره النور هو طريق الكمال الانساني ويضع أقدامنا على طريق الحب الالهي ويدلّنا على المفتاح الذي نفتح به نوافذ الحب فيسطع هذا الحب الخالد على قلوبنا وتتلاشى ظلمات العشق الدنيوي المنحط!

أصغ إلى هذا الامام وإلى كلماته في ساعة السحر يخاطب الخالق العظيم:
- سيّدي أخرج حبّ الدنيا من قلبي! وأجمع بيني وبين المصطفى وآله.
وانقلني إلى درجة التوبة إليك!
وأعني بالبكاء على نفسي؛ فقد أفنيت بالتسويق والآمال عمري!

[﴿٤﴾ ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيرًا عَمَّا قَدَّمَ لَهُمْ إِلَيْهِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّمًا إِلَيْ مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ]

الهداية التكوينية في الوجود

كل عناصر الوجود بمجرّاته ومنظوماته الكواكبية وسدمه، يسير ضمن قوانين دقيقة نافذة في أجزائه وذراته وتفاعلاته، في نظام بديع يشمل الكائنات جميعاً، الجمادات والمخلوقات التي تزخر بالحياة.

يقول القرآن الكريم:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(١).

كل شيء في هذا الوجود أودع الله فيه مساره وحركته ومنحه نعمة الوجود بقدرته وإرادته وحكمته.

الهداية التكوينية في النباتات

عالم النباتات وما فيه من أسرار صورة مدهشة من صور هذا الوجود! فهذه البذور التي تبدو جامدة لا حياة فيها بينما هي تزخر بالحياة، إلا أنها غافية في سبات، حتّى إذا نثرت فوق الأرض المحروثة أو دسّت تحت التراب وشعرت

١. سورة طه: ٥٠.

بدبيب الماء استيقظت واهتزّت، فاذا لها جذور تتّجه نحو الأعماق وإذا لها ساق يتّجه إلى الفضاء وإذا لها أوراق، وإذا لها أغصان وأزهار وإذا لها ثمار! في كلّ بذرة من البذور شجرة كامنة، وحتى لو وضعت البذرة بالمقلوب وزرعتها رأساً على عقب فإن الجذر ينبثق إلى الأعلى ثم يتّجه نحو الأسفل في أعماق الأرض والساق يخرج من الأسفل ثم ينعطف نحو الفضاء إلى عالم يزخر بالهواء!

الجذور تمتص الماء والأملاح ويتكوّن تيار يتّجه في نسغ النبات إلى الأوراق التي تقوم بعملية التركيب الضوئي؛ حيث تأخذ من الهواء ثاني اوكسيد الكربون وتقوم بهذه العملية تحت أضواء الشمس وأنوارها وأشعتها وتنفث في الفضاء الاوكسجين من أجل أن تبقى نسبته في الهواء كما هي.

«ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ»

هذه الخضرة الزاهية

خلق الله النبات وأودع فيه الحياة تفتتح البراعم وتنمو الأوراق وتزهو؛ أملاح من عمق التراب وماء يسري في النسغ وأوراق تتلقى أشعة الشمس فينجم عن كلّ ذلك لون أخضر يملأ الدنيا بهجة وجمالاً.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ

زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ (١).

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(١).
 ويميل الانسان إلى التجوال في المروج الخضراء فتتبدد كآبته ويشعر بالبهجة
 تنفذ في أعماقه فيستنشق الهواء ملء صدره وينظر إلى الحياة بأمل .
 يشكو المتزلجون فوق الجليد والمتسلقون من نضاعة الثلج والجليد حتى انهم
 يضعون فوق أعينهم نظارات تخفف من السطوع الذي يؤذي العين !
 لننصوّر ان النباتات كانت بلون أبيض وتختفي الخضرة الزاهية ما الذي يحدث
 هل تبقى عين في مأمن من الأذى؟!
 لقد شاء الخالق الحكيم أن يهب النباتات هذا اللون الأخضر الذي يملأ النفس
 بالانشراح .

وتأمل في هذا التنوع المدهش في عالم النباتات في عالم النخيل تجد مئات
 الأنواع للتمور وهكذا في بساتين الكروم .
 يقول مهندس زارعي ان في بساتين الكروم في باريس خمسة آلاف نوع من
 العنب ولكثرتها فقد منحت أرقام خاصة بكل نوع وهكذا في فاكهة التفاح ثمة
 أنواع عديدة بالعشرات .
 هذا العالم المدهش الذي يعود تاريخه إلى آلاف السنين ألا يدل على عظمة
 الخالق تبارك وتعالى^(٢).

الهداية التكوينية في الحيوانات

ان قصة الهداية التكوينية في عالم الحيوان قصة مثيرة مليئة بالعجائب

٢ . ادارات مئة : ٧٢ - ٧٣ .

١ . سورة الكهف : ٧ .

والأسرار المحيرة التي تدلّ على عظمة الله وحكمته المطلقة.

يقول القرآن الكريم في هذا المضمّر:

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١).

يقول كرسي موريسن في كتابه «أسرار خلق الانسان»:

تعرف الطيور أعشاشها وتعود إليها عن طريق الغريزة فتتهدي إليها وكانت قد بنت أعشاشها بين أغصان الأشجار وتحت سقوف المنازل.

وعندما يحل فصل الشتاء تهاجر الطيور إلى أماكن بعيدة؛ فإذا حلّ الربيع عاد كلّ طير إلى عشّه.

في فصل البرد تغادر الطيور أعشاشها في أسراب متجهة نحو الجنوب والمناطق الدافئة فتقطع مئات الكيلومترات وتعبر في تحليقها البحار، ومع ذلك فإنّها عند ما تعود بعد قطع المسافات الشاسعة لا تواجه أدنى مشكلة في طريق العودة.

ضع حمامة في صندوق مغلق واقطع ما تشاء من مسافات ثم اطلقها سوف تحلّق في الفضاء وتدور قليلاً ثم تطير إلى عشّها والموطن الذي كانت فيه.

وهذه النحلة التي تطير من زهرة إلى أخرى ومن غصن إلى آخر تدور في الحقول حيث تعصف الرياح فتتهزّ الأشجار ويثور الغبار ومع ذلك تعود هذه النحلة إلى خليتها بعد جولتها اليومية من أجل امتصاص الرحيق.

تمتلك الحشرات عيوناً مجهرية لا نعرف مدى قدرتها في التكبير وتشاهد الصقور فرائسها من مسافة تبلغ كيلومترين ونصف.

ومعظم الحيوانات تهتدي إلى أوكارها في الظلام الدامس فلديها مجسّات يعوضها عن انعدام الرؤية كما ان لديها القدرة على رؤية الأشعة تحت الحمراء . ويستطيع البوم أن يرى جرداً في حقل مغمور بالظلام الحالِك . وهذا السمك طعامنا المفضل لدى بعض أنواعه عيون جميلة كعيوننا يموج فيها البريق دائماً وذلك لوجود كشافات ضوئية فيها فتعكس صور الأجسام في بؤبؤها كما هي ، هذه الكشافات الضوئية لا توجد في عيوننا ، فهل جهزت عيون «الاسكالوب» بهذه الكشافات لضالة قوة الادراك لديها ؟

وعالم العيون في عالم الحيوان يزخر بالعجائب يمتلك الحيوان من عينين إلى آلاف العيون وتختلف الرؤية والإبصار من نوع آخر . فالنحلة لا ترى الأزهار كما نراها نحن البشر أنها تنظر إليها من خلال الأشعة فوق البنفسجية الأمر الذي يضيف عليها جمالاً أكثر . وبينني النحل خلاياه في أحجام واشكال متعدّدة ثمة حُجُر صغيرة خاصّة بالعمّال وحُجُر أكبر خاصّة بالذكور ، فيما تستقر الملكة في حجرة خاصّة . تضع ملكة النحل بيوضها غير المخصبة في حجرة الذكور والبيوض المخصبة في حجرة الاناث .

العاملات من الاناث التي تغيّرت اشكالها تنتظر ظهور الجيل الجديد من صغار النحل فتقوم بتغذيتها من العسل والشمع ؛ إذ تقوم بمضغها أولاً ثم اعطائها للصغار غذاءً سائغاً ، وبعد نموها وتكاملها تتوقف عن المضغ وتقوم باطعامها العسل الطبيعي وبعد أن تطوي مراحل النمو تلتحق بالعاملات وتغادر الخلية لتدور في الحقول وتمتص الرحيق من الأزهار ، لتعود إلى الخلية وتحوّل الرحيق إلى عسل

مخزون في حجرات الخلية .

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)

ويعرف الكلب عن طريق حاسة الشم نوع الحيوان الذي يمرّ من مسافات ليست قصيرة، وهذه الكلاب البوليسية تملأ مراكز الشرطة والمطارات وتطاردها عصابات تهريب المخدرات والمتفجرات عن طريق هذه الحاسة القويّة! وهذه العناكب التي تنتج خيوطاً تبني بها بيوتها وتنتقل من خلال هذه الخيوط وتضع مصائدّها لتصطاد بها فرائسها تقوم بإنتاج هذه الخيوط على مراحل كمصنع متطور .

وعودة إلى البحار وعالم الأسماك لنلقي نظرة على سمك السلمون^(٢) (سمك سليمان) الذي يسبح ضد تيار النهر الجارف في اصرار عجيب على العودة إلى الينابيع!

ولو نقلت سمكة سلمون إلى نهر آخر غير موطنه فانه سرعان ما يكتشف ذلك فيسبح مع التيار عائداً ومن ثمّ يكرّر إلى أعالي النهر الأصلي .

وهذا سمك الانكليس أو ثعبان الماء^(٣) هذه الحيوانات المدهشة التي ما إن تصل إلى مرحلة البلوغ ويتكامل نموّها حتّى تأخذ طريقها نحو جزيرة برمودا

١. سورة النحل : ٦٨ - ٦٩ .

٢. يدعى في إيران بـ «ماهي آزاد» او السمك الحرّ .

٣. يعرف في إيران بـ «مار ماهي» .

لتضع بيوضها في تلك الأعماق من المحيط الأطلسي .
 وبعض أنواع ثعابين الماء في اوربا تقطع آلاف الأميال إلى أن تصل إلى هناك
 وعند ما تخرج صغار ثعابين الماء وتنمو قليلاً فإنها تقوم برحلة العودة إلى وطنها
 الأصلي في مياه القارة الاوربية!! وهناك تحيا وتعيش حتى إذا بلغت مرحلة نمو
 الكامل أخذت طريقها نحو جزيرة برمودا وهكذا تستمر حلقات المسلسل!! هذه
 الحاسة في اكتشاف طريق الهجرة وطريق العودة من أين جاءت ؟
 فحتى هذه اللحظة لم ير أحد ثعابين الماء الاميريكية في المياه الاوربية وحتى
 الآن لم يقم أحد باصطياد ثعابين الماء الاوربية في السواحل الاميريكية! وخلال
 هذه الرحلة الطويلة حيث تستغرق شهوراً عديدة، ربما إلى أكثر من عام تنمو
 ثعابين الماء وهي تشق طريقها نحو جزيرة برمودا فهل اشتملت خلاياها على ما
 يساعدها لاكتشاف الطريق وعلى ما يقوي ارادتها في الوصول إلى الهدف
 المنشود؟! المنشود؟!

يبدو ان الحيوانات تمتلك حاسة «التلبيائي»^(١).

تحط انثى الفراشة على رف نافذة بيتك تبث اشارات خفية، فيقوم الذكر من
 على مسافات لا تصدق باستلام هذه الاشارات ويرسل إليها الاجابة، وتحاول
 أنت أن توجد خللاً في هذا التواصل فتعجز! فهل تمتلك الفراشات أجهزة ارسال
 واستقبال؟! واستقبال؟!

وهكذا في حياة الصراصير فلكي ينادي الصرصور زوجه فانه يحرك ستمئة

١. اصطلاح فرنسي يعني انتقال الأفكار انتقال الحسيات ووجود ارتباط فكري بين شخصين
 تفصيل بينهما مسافات شاسعة .

طن من الهواء وتستلم أنثى الصرصور النداء وترسل له الاجابة !!

نعم يقوم الذكر بتحريك ستمئة طن من الهواء !!

يقول الامام السجاد في التسبيح الذي أشرنا إليه آنفاً:

—سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء!

سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة؟

حاول أن تضع بعض الفراخ الصغيرة في أعشاش طيور أخرى ليست من فصيلتها انها عند ما تكبر فسوف تبني أعشاشها على نسق أعشاشها الأصلية وليس الأعشاش التي عاشت فيها!! ترى من علمها؟ ومن أودع فيها غرائزها ومن هداها إلى كل ذلك؟!

«ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ»

العقل والنبوة

لا توجد مدرسة فكرية تضاهي الدين الاسلامي في تمجيد العقل هذه الجوهرة الكبرى والنعمة العظمى وتبلغ منزلة العقل الذروة إذا عرفنا ان القرب الالهي من نصيب الذين يعقلون .

وكلّما ازداد سعي الانسان في استثمار العقل كلّما زاد قربه من الله عزّوجلّ، وعندما يتلقى الانسان الحقائق ويدعن للحق ويقاوم الانسان الأهواء فانه يضمن السعادة في الدنيا والآخرة .

وفي ادبيات الدين الاسلامي ان العقل لوحده لا يمكنه أن يوصل الانسان إلى الكمال والحقيقة .

ان الانسان بحاجة إلى هداية الحق لكي يمكنه اكتشاف طريق الكمال ومن هنا

شاءت الرحمة الإلهية إرسال الأنبياء إلى البشر ومخاطبة العقول .
ولذا فإنّ العقل والشرعية أو النبوة هما جناحان يطير بهما الإنسان إلى قمم
الكمال .

وقد أثبتت تجارب الإنسانية أن العقل من دون النبوة يسقط أسيراً في براثن
الأهواء النفسية والغرائز الحيوانية وحينئذ يصبح أداة في قبضتها وعبدًا لتنفيذ
مآربها يضع الخطط الذكيّة لتحقيق الأهداف المشؤومة^(١).

إن عالمنا اليوم يموج بالفساد ويئن من الظلم ويتأوه من العدوان لسبب واحد
هو الاعراض عن وحي السماء عن شريعة الله ، أن مظاهر التمييز العنصري
وغطرسة الأقوياء وامتتهان حقوق الإنسان ؛ إن كلّ هذا لم يحدث بسبب غياب
العقل وإنما لوقوعه أسيراً في قبضة الغرائز الحيوانية والأهواء النفسية .
أجل العقل والنبوة حجّتان الهيّتان عظيمتان ، ومصباحان يضيئان الطريق
للإنسان^(٢).

١ . ولذا عند ما سئل المعصوم عن عقل معاوية الذي تمكّن من تحقيق أهدافه في الاستيلاء
على الخلافة ! استنكر الامام ذلك وقال : هذه الشيطنة ؛ فالعقل عندما يصبح أداة في خدمة
الشيطان يتحوّل من « النهي » إلى « الشيطنة » وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل .
الكافي : ١ / ١٠ - المترجم .

٢ . جاء في الأثر : « العقل دليل المؤمن » ، الكافي ١ / ١٠ و « إنّ الله لمّا خلق العقل قال له :
أقبل ، فأقبل ثمّ قال له أدبر ، فأدبر فقال : وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ! إيّاك
أمر وإيّاك أنهي وإيّاك اثببت وإيّاك أعاقب » م . ن

العقل فانوس والشرعية زيت ، العقل نبع العلم ، فالنور من الشمس والرؤية من العين .
وجاء في الحديث عن الامام علي عليه السلام قوله : « كثرة الأمانى من فساد العقل ، العقل يرشد
بالوحي والشرعية ، ولا تظهر الشرعية إلّا بالعقل ، العقل أساس والشرعية بناء وصرح ولا

وعندما يستعين العقل بالوحي وعندما يقف إلى جانب الشريعة والرسالة الإلهية حينئذٍ تنطلق الحضارة الانسانية كأبهى ما تكون؛ حضارة تضمن للبشرية العدالة والأمن والخصب.

أجل عند ما يكون العقل البشري في خدمة الوحي السماوي يفجر الانسان طاقاته في سبيل الخير ويستخرج كنوز الأرض لما فيه الصالح العام. وعندما يتحد العقل مع الايمان تحدث المعجزة الانسانية في ظهور المجتمع النموذجي، حيث يعيش الناس سعداء؛ ذلك ان اتحاد العقل مع الايمان يفضي إلى شروق الوعي على قلب الانسان ويتدفق نبع الحب والحنان ويتحرك الانسان لاكتساب الفضائل.

فالانسان المؤمن الواعي العقلاني يكون صابراً قوياً كالجبل محسناً وينبوعاً للخير، عطوفاً يتدفق حناناً طاهراً كقطرات الندى؛ تملأ الطمأنينة نفسه والاحساس بالصفاء والسلام.

مقام الوصال والهجر

إذا أعرض العقل عن النبوة في شؤون الحياة فانه:

أولاً: سوف يخفق في تلقي الحقائق المعنوية.

ثانياً: سيقع أسيراً في براثن الغرائز والأهواء ويتحول إلى عبد لتنفيذ ما تريد.

➔ ينهض الصرح دون أساس كما لا جدوى من الأساس دون بناء.

العقل بصر والشريعة ضوء ولا جدوى من البصر إذا غاب الضوء؛ العقل شرع في داخل الانسان والشرع عقل من خارج وهما يتعاضان بل يتحدان لهداية الانسان. العقل يدرك الكليات والشريعة تتكفل ببيان التفاصيل - المترجم.

ولا يحتاج في اثبات ذلك إلى استدلال؛ فالتجارب البشرية أثبتت ذلك من خلال ما مرّت به الشعوب والمجتمعات من آلام وما قاسته من ويلات. عندما يتعاقد العقل مع الوحي الالهي يحدث الوصل بالمحسوب وعندما ينفصل العقل عن الوحي الالهي يحدث الهجران والخسران. وما الوصل إلا معرفة الحقيقة والتخلّق بأخلاق الله وما الهجران إلا تخلّق الانسان بالصفات الذميمة والسقوط في هاوية الرذائل؛ الوصل يعني أنّ الانسان يحيا في نعيم خالد والهجران يجزّ الانسان إلى الجحيم والعذاب الأبدي.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾^(١)
 ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)

وجاء في الحديث الشريف:

الَّذِي يَشْرَبُ فِي أُنْيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي جَوْفِهِ نَارُ جَهَنَّمَ^(٣)
 الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٤)

أَرْضُ الْجَنَّةِ قِيَعَانُ، وَغِرَاسُهَا سُبْحَانُ رَبِّي الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ^(٥)

الأعمال الحسنة والسيئة

يقول الشيخ البهائي عليه السلام وهو من كبار العلماء والعرفاء الذي جمع علوم الظاهر

١. سورة آل عمران: ٣٠. ٢. سورة يس: ٥٤.

٣. مدارك الأحكام: ٣٧٩/٢؛ مصباح الفقيه: ٦٤٨/١؛ جامع المدارك: ٢٢٨/١؛ بحار الأنوار: ٢١٩/٧.

٤. مستدرک الوسائل: ٩٩/١٢؛ عوالي اللآلي: ١٤٩/١.

٥. عوالي اللآلي: ٨/٤.

والباطن؛ «الحيّات والعقارب في عالم البرزخ عبارة عن الأفعال الذميمة والأخلاق الدنيويّة القبيحة والجنّة والرضوان والحدود والقصور عبارة عن الأعمال الصالحة والاعتقادات الحقّة في النشأة الأولى فتظهر في الآخرة بصورة النعمة والنقمة، ذلك ان الحقيقة واحدة وهي تظهر بصور مختلفة بحسب اختلاف المواطن المتغيّرة»^(١).

«ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيرًا عَمَّا قَدَّمَ لَهُمْ إِلَيْهِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقْدُّمًا إِلَى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ»

وهذا لا يتنافى مع مسألة حرية الاختيار لدى الانسان وانه مخير لا مسير، ذلك ان الله عز وجل خلق الوجود فهو يسير في ضوء الارادة الأزليّة؛ وشاء الله سبحانه لمخلوقاته أن تسير ضمن قوانين محدّدة ونظام دقيق وقد وهب الانسان حرية الاختيار وجعل الدنيا دار امتحان واختبار ولم يترك الله عز وجل عباده هملاً فأرسل إليهم رسله وأنبياءه؛ من أجل هدايتهم إلى طريق الخير والحب والكمال رحمة وحناناً من لدنه.

كما أودع فيهم عقولاً يفكرون بها وقلوباً تنبض بحب الخير والحق والجمال . وما على الانسان إلا أن يخرج حب الدنيا من قلبه فيدخل حب الله ومن كان قلبه ينبض بحب الله نال السعادة في الدارين .

طَلَّقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَاطْلَبَ زَوْجًا سِوَاهَا

أَنَّهُ زَوْجَةٌ سَوْءٌ لَا تَبَالِي مِنْ أَتَاهَا

١. شرح أربعين حديث، الشيخ البهائي: ٦٢٤ - ٦٢٥.

وإذا نالت منهاها منه ولتته قفاها

* * *

يا من بدنياه اشتغل قد غرّه طول الامل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

[﴿٥﴾ وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ زَادِهِ نَاقِصٌ
وَلَا يَزِيدُ مِنْ نَقْصٍ مِنْهُمْ زَائِدٌ]

حقيقة الرزق

لا نقاش في مسألة الرزق في عالم الحيوان؛ ذلك أن الحيوانات خارج دائرة التكليف غير أن ما يخص الرزق في حياة الانسان فان ذلك له صلة وثيقة بموضوع التكليف الالهي ومسؤولية الانسان أمام مسألة الحلال والحرام، إذ يتعين على الانسان البحث عن الرزق الحلال الطيب وأن يتجنب كل أنواع الكسب الحرام. الله عز وجل بسط الرزق للبشر جميعاً حيث تزخر الأرض بالخيرات والنعم. ومن حق كل إنسان أن ينعم بحقوقه الطبيعية من طعام وسكن وكساء ولهذا فان الشرائع الالهية ترفض أن يتحكم عدة نفر بمقدرات الطبيعة وحرمان غيرهم من خيرات الأرض؛ فليس من العدالة في شيء أن تتصور بعض الشعوب جوعاً وتعيش حالات الحرمان والبؤس فيما تنعم بعض الدول التي تقودها حكومات ظالمة بمستويات مرفهة من العيش وكنوز من الثروات الطائلة قامت بنهبها من البلدان المستضعفة.

ومن يحاول أن يبرّر هذا الظلم ويعدّ ذلك قدراً الهياً فانه يناهض القرآن الكريم ويجانب العقل والمنطق والضمير؛ كيف يمكن أن نبرّر للذئاب البشرية والكلاب

المسعورة عدوانها على الشعوب المستضعفة ونبرّر تكالبها على خيرات الآخرين
بذريعة القدر الالهي؟!

ان السعة في الرزق حق لجميع أفراد البشر وهو مقدّر من الله الرزاق الكريم
ولجميع حق الاستمتاع بخيرات الأرض ولا يعني التقدير في الرزق الحرمان
الذي يضطر الانسان إلى أن^(١) يدوس على كرامته الانسانية ويمدّ كفه للاستجداء.
والثروة امتحان الهي للبشر، فمن آتاه الله ثروة ومالاً عليه أن ينفق على غيره
من المحرومين وإلاّ تسكره الثروة فلا يشعر بآلام المحرومين والبؤساء.

ومن كتب عليه أن يعيش فقيراً ينبغي له أن يسعى في طلب الرزق الحلال وألاّ
يبرّر لنفسه القيام بالسرقة والسطور والاختلاس وانتهاك القيم الأخلاقية^(٢).
علينا ان ندرك ان الثروات التي يتمنّع بها المستكبرون والطواغيت والتي
جمعوها من نهبهم مقدرات و ثروات الشعوب المستضعفة لا علاقة لها بالقدر
الالهي أبداً.

ولسوف يقف الجميع أمام محكمة العدل الالهي وينال الظالمون والناهبون
جزاءهم العادل.

كما يتعيّن على الفقراء والمستضعفين مناهضة الظلم بكلّ اشكاله وفي طليعته
الظلم الاقتصادي.

١. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾؛ سورة البقرة: ٣٦.

٢. «إذا كان ثوبك وحيداً، فلا ينبغي أن يكون قدراً؛ ان نظافة الثوب الوحيد من أنبل جهاد
الفقراء؛ فإذا كتب عليك أن تكون فقيراً فحاول أن تكون شريفاً» الروائي المصري محمّد
عبدالحليم عبدالله - المترجم .

هو الرزاق

ان كل ما مكننا الله عز وجل من الانتفاع به والتمتع به هو رزق حلال طيب ويتسع مفهوم الرزق ليشمل دائرة أكبر من موقع اجتماعي ومنزلة وذكر حسن . والله سبحانه وتعالى هو الرزاق ، الذي تكفل برزق عباده بل رزق كل ما يدب في هذا الكوكب الزاخر بكل اشكال الحياة .

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ .^(١)

وإذا كان الله عز وجل قد تكفل بالرزق لعباده فلا يعني هذا أن يتوقفوا عن السعي والعمل ذلك أنه ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ .^(٢) وقد جاء في الحديث الشريف أنه من العبادة بل أفضل العبادة طلب الحلال والكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله ولا يعد الحرام رزقاً؛ فالذي يحصل على الثروة عن طريق القمار أو الاتجار بالمخدرات؛ فليس هذا من الرزق بل هو مال حرام .

وعندما ينفق الانسان، عليه أن يقوم بذلك من المال الحلال الطيب فهذا هو الرزق الالهي .

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ .^(٣)

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ .^(٤)

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِينَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ .^(٥)

١ . سورة هود : ٦ .

٢ . سورة النجم : ٣٩ .

٣ . سورة البقرة : ٣ .

٤ . سورة الأنفال : ٣ .

٥ . سورة الحج : ٣٥ .

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١)

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٢)

وهكذا يرتبط الايمان بالصلاة والانفاق على الفقراء والمحتاجين وهذه هي صفات الانسان الصالح، الذي يدرك عظمة وجلال ورحمة الخالق تبارك وتعالى؛ قد نفذ في قلبه نور الايمان وأضاء طريقه في الحياة، فتراه صابراً أمام عادات الزمن محسناً إلى غيره ينفق على المساكين ويعطف على الفقراء والمحتاجين يعمل في نهاره ويطلب رزقه، فهو يكّد على عياله حتى إذا جنّ الليل وأوى الناس إلى النوم نهض للصلاة، فينسب دعاءه وتترقق مناجاته في ساعة السحر.

الرزق الطيب

ان مفهوم الرزق ينحصر بالحلال الطيب وما عداه فانه حرام؛ يحاول الشيطان اغواء البشر فيوسوس لهم بأنه ما حصلوا عليه من أموال عن طريق غير مشروع هو رزق أيضاً!

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣)

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ
مُؤْمِنُونَ﴾ (٤)

٢. سورة السجدة: ١٦.

١. سورة القصص: ٥٤.

٤. سورة المائدة: ٨٨.

٣. سورة البقرة: ١٦٨.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (١)
 ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِبَّاهُ
 تَعْبُدُونَ﴾. (٢)

توجب الآيات الكريمة أعلاه طلب الرزق الحلال الطيب وتنهي عن الكسب
 الحرام.

أبني ان الرزق مكفول به	فعليك بالاجمال فيما تطلب
لا تجعلنّ المال كسبك مفرداً	وتقئ الهك فاجعلن ما تكسب
كفل الاله برزق كل برية	والمال عارية تجيء وتذهب
والرزق أسرع من تلقت ناظر	سبباً إلى الانسان حين يسبب
ومن السيول إلى مقر قرارها	والطير للأوكار حين تصوب

البسط والتقدير في الرزق

كفل الله عز وجل الرزق لعباده وهو سبحانه أعلم بمصالحهم فهو يبسط الرزق
 ويقدر؛ لهذا على الانسان ألا تسكره الثروة فينسى ربه وينسى نفسه وألا يكتئب
 لضيق العيش وقلة ذات اليد فكل الامرين عابر.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾. (٣)
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. (٤)

٢. سورة النحل : ١١٤.

١. سورة الأنفال : ٦٩.

٤. سورة الإسراء : ٣٠.

٣. سورة الرعد : ٢٦.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (١)

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (٢)

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (٣)

وكلاهما أيضاً امتحان الهي فمن آتاه الله مالاً وثروة ورزقاً وافراً عليه أن ينفق على المحتاجين والفقراء والبائسين وألا يكنز الكنوز ويزيد ارسدته في المصارف غير عابىء بما يعانيه اخوته من بني البشر من جوع وفقير وحرمان . ويتعین على الانسان الذي يعاني من الحرمان والفقر أن يصبر وأن يواصل طريقه في الحياة أبتأكرىماً عفيفاً محافظاً على استقامته إلى أن تتفتح أبواب الرزق ويغنيه الله من فضله وتولي أيام العسر (٤).

وكن طالباً للرزق من باب حله يضاعف عليك الرزق من كل جانب
وصن منك ماء الوجه لا تبذلنه ولا تسأل الأردال فضل الرغائب

والانسان الذي يبصر الحقيقة يتساوى لديه الغنى والفقر، فما هو مهم لديه هو أدائه هو التكليف الالهي، فهو في حالة الغنى يشكر الله ويحمده وينفق ممّا آتاه الله في سبيله، وفي حالة الفقر يشكره ويحمده صابراً محتسباً يتضرّع إلى الله

١. سورة العنكبوت: ٦٢.

٢. سورة الروم: ٣٧.

٣. سورة سبأ: ٣٩.

٤. ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾. سورة الطلاق: ٧.

وحده لا شريك له أن يرزقه من الخيرات في الدنيا والآخرة فله تبارك وتعالى الحمد دائماً أبداً.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (١)

وثمة إشارة صريحة في بعض الآيات الكريمة إلى أن بسط الرزق على الناس يفضي بهم إلى الطغيان (٢) ولذا أن يعيش الانسان فقيراً فإن ذلك رحمة من الله فلا يبتلى بمرض الطغيان ويكون مآله إلى الجحيم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾. (٣)

أما هؤلاء الاثرياء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أما هؤلاء الطغاة فقد عاشوا حياتهم في ظلمات، يظلمون ويعتدون ويبغون في الأرض الفساد؛ هذا أبو لهب وقارون وأبو سفيان ماذا صنعت بهم الثروة؟ لقد افقدتهم انسانياتهم وأنستهم آدميتهم فأصبحوا كالذئاب الكاسرة والخنازير القذرة.

وهذا سلمان المحمدي وأبوذر الغفاري والمقداد وكميل وبلال وميثم التمار عاشوا حياتهم فقراء ولكنهم كانوا شرفاء أتقياء تفتحت أمامهم آفاق المعرفة والتكامل الانساني؛ ولقد كانوا على فقرهم ينفقون مما رزقهم الله؛ عكس أولئك الأثرياء الذين أبطرتهم أموالهم فكانوا يزدادون بخلًا وخساسة:

١. سورة الشورى: ١٢.

٢. ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * إِنَّ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾؛ سورة العلق: ٦ - ٧.

٣. سورة الشورى: ٢٧.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. (١)

أجل ان ما حصلوا عليه من ثروات سيكون عليهم وبالاً يوم القيامة ولن تنفعهم يومئذ ثرواتهم وأموالهم لأنها عادت إلى مالكها مالك يوم الدين؛ سوف يحشرون عراة حفاة بائسين.

أما الانسان المؤمن فان الثروة والغنى لا يزيده إلا ايماناً وحمداً لله وشكراً، ينفق مما رزقه الله، يعين البائس ويعطف على الفقير ويساعد المحتاج.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾. (٢)

ومن خلال النصوص الدينية من آيات كريمة وروايات شريفة يمكن القول أن الثروة يجب أن تكون لدى المؤمنين العقلاء؛ فهؤلاء يعرفون كيف يتصرفون بها على نحو يحقق الرضا الالهي ويكفل للمجتمع مصالحه الحقيقية.

﴿وَلَا تَوُثُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾. (٣)

يقول الامام جعفر الصادق (عليه السلام):

إِنَّ بَقَاءَ الْإِسْلَامِ وَبَقَاءَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَيَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ، وَإِنْ مِنْ فَنَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفَنَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ تَصِيرَ

١. سورة آل عمران: ١٨٠.

٢. سورة الليل: ٥ - ٧.

٣. سورة النساء: ٥.

الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَلَا يَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ. ^(١)

ويقول الإمام السجّاد عليه السلام في الصحيفة المباركة :

نَعُوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الْإِسْرَافِ، وَمِنْ فَقْدَانِ الْكَفَافِ، وَمِنْ مَعِيشَةٍ فِي شِدَّةٍ. ^(٢)

الامتحان الالهي

ثمّة آيات قرآنية تؤكد ان السعة في الرق والتقدير كلاهما امتحان الهي للانسان فالانسان المؤمن يشكر في حالة الغنى ويصبر في حالة الفقر، والانسان غير المؤمن يطغى في حالة الغنى ويجزع في حالة الفقر. ^(٣)

ان المطلوب من الانسان هو عدم فقدان حالة التوازن في منعطفات الحياة، عليه أن يدرك ان الظروف المعيشية وما يمرّ به الانسان من حالات الفقر والغنى هي امتحانات الهيّة للكشف عن حالة الايمان في قلوب البشر.

وتتضمّن الآيات المباركة من ١٧ إلى ٣٣ من سورة القلم قصّة أصحاب البساتين وموقفهم من الثروة والفقر. ^(٤)

١. مستدرک الوسائل: ١٢/٣٣٩؛ وسائل الشيعة: ١٦/٢٨٥.

٢. الصحيفة السجّادية: الدعاء رقم ٨.

٣. حتّى في حالات الحرب الانسان المؤمن يتواضع لله في حالة النصر والانسان غير المؤمن يصاب بالغرور، الانسان المؤمن يصبر ويستلهم الدروس في حالة الهزيمة، الانسان غير المؤمن يصاب باليأس والانهزاميّة - المترجم.

٤. «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَنْتُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُم مَسْكِينٌ * وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَلْ نَحْنُ

تشير بعض التفاسير في شرحها لهذه الآيات إلى أن رجلاً صالحاً كانت له أرض فأصلحها وزرعها وأنفق عليها حتى غدت جنة مكتظة بالأشجار المثمرة، ووفقاً لبعض الروايات التفسيرية أن هذا الرجل الصالح كان يعيش في بلاد اليمن في مدينة صنعاء ولم تبطره الثروة وإنما كان ينفق ممّا رزقه الله على الفقراء والمساكين حتى أنه عندما كان يحين موسم جني الثمار يترك باب بستانه مفتوحاً، فابتلاه الله بأبناء لا يروقهم ما يفعل والدهم ما عدا أوسطهم.

ولما كبر الرجل وضعف عن العمل ترك شؤون بستانه إلى أبنائه وكان ينصحهم أن يسبّروا بسيرته وألاّ يحرّموا الفقراء ولا يصدّوا البؤساء وأن يطعموا الجياع، غير أنه لا يرى سوى آذاناً صمّاً باستثناء أوسط أبنائه.

وعندما نضجت الفواكه والثمار عمدوا إلى اغلاق باب البستان ثمّ تعاقدوا على ألاّ يعطوا ثمرة واحدة إلاّ بثمنها، كانوا يخططون لبيع الثمار وشراء المزيد من الأرض وتنمية ثرواتهم.

ولم تنفع اعتراضات أخوهم الأوسط فقد كان صوته وحيداً. واجتمعوا ليلاً يتحدثون عن الثروة والمال وانتقدوا والدهم على بعثرة المال على الفقراء وكان الأولى به أن يهتم بتنمية الثروة وألاّ يكثر لهؤلاء التعساء! وهكذا صمّموا على التوجّه غداً فجراً لجني الفاكهة بعد أن يقوموا باغلاق باب البستان من الداخل وعدم فتحه لأحد.

﴿مَحْرُومُونَ﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

نهضوا إلى فراش النوم وهم يحلمون بموسم قطاف وفير!
وفي منتصف الليل ظهرت في الأفق سحابة ولحقتها سحابة أخرى حتّى
امتلاّت السماء بالسحب الداكنة، غابت النجوم وراء الغيوم الممطرة وسكن الهواء
فجأة لمعت البروق وانفجرت الصواعق ودوّت الرعود وانهمر المطر غزيراً جداً
وهبت عاصفة مطريّة تخللتها صواعق جبّارة.

وشيناً فشيناً هدأت الأجواء وتوقف انهمار المطر وسكنت الرياح وظهرت
النجوم من بين قطع الغيوم تومض في أغوارها السحيقة انفلق عمود الفجر
واستيقظ الأخوة جميعاً ثم غادروا الدار متجهين إلى البستان.

ومضوا في طريقهم يتهامسون مؤكّدين قرارهم في حرمان الفقراء والمساكين
وهكذا مضوا مسرعين يحلمون بجني أنواع الفاكهة التي كانت تبدو في الأصل
بالأمس مصاييح ملونة!

عند ما اقتربوا من البستان شموا رائحة دخان! تساءل أحدهم من هذا الذي
يشعل النار في هذا الوقت؟!

أجاب آخر: لعلّه أحد الرعاة!

كانت رائحة الدخان تزداد كلّما اقتربوا أكثر من البستان ولمحوا شعلة نار في
داخل البستان!!

ما إن فتح الباب حتّى ظهرت ابعاد الكارثة!

-الصواعق احترقت كلّ الأشجار!

-الأعصار دمرّ العروش!

قال أوسطهم: لقد حذّرتكم بالأمس! كم نصحكم أبوكم؟ كم وعظكم؟ لقد

أعماكم الطمع والبخل .

اطرقوا برؤوسهم نادمين غير انهم انتبهوا من غفلتهم وكان ما حصل درساً بليغاً
لهم وراحوا ينظرون إلى السماء بأمل !

دع الحرص على الدنيا	وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال	ولا تدري لمن تجمع
ولا تدري أفي أرضك	أم في غيرها تصرع
فإن الرزق مقسوم	وكذا المرء لا ينفع
فقر كل من يطمع	غني كل من يقنع

وليعلم الانسان ان كل ما يملكه في هذه الحياة من مال وأولاد وموقع اجتماعي إنما هو فتنة وامتحان الهي .

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. (١)
﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا
أَسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (٢)

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ﴾. (٣)

١. سورة الأنفال: ٢٨.

٢. سورة التغابن: ١٥ - ١٦.

٣. سورة البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

متع الدنيا ومسرات الآخرة

الحياة في الدنيا متع عابرة، ورحلة قصيرة، والحياة في الآخرة حياة مفعمة بالسعادة والصفاء وهي بعد ذلك حياة خالدة لا نكد فيها ولا عناء. وكل ما يجمعه الانسان من ثروة وممتلكات وأموال فكلها تتجه نحو الزوال، ولذا فإن الدنيا إذا ما قيست بالحياة في الآخرة، فستكون صفراً. وتكتسب الدنيا أهميتها إذا أصبحت مزرعة للآخرة، فالانسان المؤمن يفعل الخير ويقوم بالأعمال الصالحة ويعبد الله عز وجل ملتزماً بشريعته وحينئذ فإنه يكون قد عاش دنياه مطمئن البال واثقاً من مستقبله الحقيقي في العالم الآخر، ولذا جاء في الأثر من لا دنيا له لا آخرة له؛ حيث الدنيا موسم البذار وفصل الزراعة والآخرة موسم الحصاد وجني الثمار.

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾. (١)

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾. (٢)

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾. (٣)

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمِهَادُ﴾. (٤)

﴿إِنْ كُلُّ ذَلِكُمْ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (٥)

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ

١. سورة النساء: ٧٧.

٢. سورة القصص: ٦١.

٣. سورة غافر: ٣٩.

٤. سورة آل عمران: ١٩٧.

٥. سورة الزخرف: ٣٥.

ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلًا^(١).

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ
يَرْجِعُ^(٢).

مَا الدُّنْيَا فِي مَا مَضَى إِلَّا كَمِثْلِ ثَوْبٍ شُقَّ بِاثْنَيْنِ وَبَقِيَ حَيْطٌ، إِلَّا فَكَانَ ذَلِكَ
الْحَيْطُ قَدْ انْقَطَعَ^(٣).

كم هو مخدوع ذلك الانسان الذي يغتر بالدنيا؟!
ولو نظر الانسان إلى حقيقة الدنيا لرآها أوهاماً وخيال ومجرّد أفياء وظلال،
تنحسر قليلاً قليلاً ومصيرها زوال؛ ولرأيت أهلها كما لو أنّهم أهداف تتجه إليها
السهام والنبال.

كلّ إنسان يسير إلى حفرة صغيرة مظلمة فهو اليوم فوق الأرض وغداً تحت
التراب، ويبقى اسمه منقوشاً على شواهد القبور وفي ذاكره احبته ثمّ تمرّ الأيام
فينسى ويسقط من الذاكرة وتهب الرياح فتندرس النقوش ويكون مصير كلّ شيء
إلى وادي النسيان.

قد رأيت القرون كيف تفانت درست ثمّ قيل كان وكانت
هي دنيا كحيّة تنفث السمّ وإن كانت المجسة لانت

* * *

١. سورة الكهف: ٤٦.

٢. بحار الأنوار: ١١٩/٧٠؛ مجموعة ورام: ١/١٥٠.

٣. تفسير الثعلبي: ٢٣٧/٣؛ مجموعة ورام: ١/١٤٨.

إِنَّمَا الدُّنْيَا فَنَاءٌ لِّسَّ لِلدُّنْيَا ثَبُوتٌ إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٌ نَسَجْتَهُ الْعَنْكَبُوتُ
وَلَقَدْ يَكْفِيكَ مِنْهَا أَيُّهَا الطَّالِبُ قُوَّةٌ وَلَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ كُلٌّ مِنْ فِيهَا يَمُوتُ

الدنيا من أجل الآخرة

الدين الاسلامي يمجّد الانسان المؤمن الذي يعمل على اعادة اسرته وتوفير لقمة العيش الكريم.

يقول النبي الأكرم ﷺ:

الكاسب حبيب الله. (١)

وجاء في حديث قدسي:

الْخَلْقُ عِيَالِي، فَأَحَبُّهُمْ إِلَيَّ الْأَطْفَالُ بِهِمْ وَأَسْعَاهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ. (٢)

وعن النبي الأكرم ﷺ قال:

نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ. (٣)

وجاء رجل إلى الامام جعفر الصادق عليه السلام يطلب منه أن يدعو الله أن يرزقه:
كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ الْعَلَاءُ بْنُ كَامِلٍ فَجَلَسَ قُدَّامَ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنِي فِي دَعَةٍ فَقَالَ:
لَا أَدْعُو لَكَ؛ اطْلُبْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وجاء في الحديث الشريف:

لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ. (٤)

١. شرح الأسماء الحسنی: ٢٤٥/١. ٢. الكافي: ١٩٩/٢؛ وسائل الشيعة: ٣٦٧/١٦.

٣. مجموعة ورام: ١٥٨/١؛ بحار الأنوار: ٦٢/٧٠.

٤. من لا يحضره الفقيه: ١٥٦/٣؛ وسائل الشيعة: ٧٦/١٧.

وما أجمل ما قاله جلال الدين في شرحه الحديث الشريف :

نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى الْآخِرَةِ الدُّنْيَا.^(١)

من جعل الدنيا هدفاً له أي تصور ان الحياة الدنيا هي غايته فإنه سوف يخفق وينتهي أمره إلى أسوأ حال لأنّ الدنيا لا تسير وفق ما يهوى الانسان ، فالانسان يميل بطبعه إلى أن يحيا إلى ما لا نهاية وهذا لا يتيسر له ؛ لأن الدنيا عابرة والعمر محدود ، فمن جعل الدنيا أكبر همّه وغايته خسر .

أما الانسان الذي ينظر إلى الدنيا جسراً إلى العالم الآخر وهو عالم الخلد فقد ربح الدنيا والآخرة ، ذلك أنه عرف أنّ الدنيا ممرّ وليست مستقرّاً ، وأدرك أنّها مزرعة للآخرة ؛ وما الموت إلا قنطرة يعبر من خلالها من عالم فان إلى عالم باق إلى الأبد .

ومن يحتال ويخادع ويمكر من أجل الدنيا فإن مآله الخسران مهما نجح في مكره وحيلته لأنّها تفنى ويفنى من فيها وعلى الانسان أن يسخر ذكاءه في التخلص من حبال الدنيا وشباكها ؛ لأنّه سوف يحصل على الحياة الحقيقية في الآخرة .

فمن كان في السجن وأعمل عقله في الخلاص منه كأن يحدث نقباً في الجدار ويهرب من خلاله ؛ أمّا الذي يغلق على نفسه السجن فهو ابله كدودة القز كلما نسجت حول نفسها زادت في شرنقتها .

ان عبادة الدنيا تعني الغفلة عن الله عزّ وجلّ ، أمّا امتلاك الثروة والحصول على الجاه فليس هذا عبادة للدنيا ، فالثروة إذا أنفقها الانسان في سبل الخير فان ذلك

١ . الكافي : ٧٢ / ٥ ؛ وسائل الشيعة : ٢٩ / ١٧ .

سيكون سبباً لبلوغ السعادة في الآخرة.

جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ :

نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ. ^(١)

إذا اجتمع المال مع حبّ الدنيا في قلب الانسان فان ذلك يشبه تسرّب المياه إلى داخل السفينة ما يؤدّي في النهاية إلى الغرق؛ ولكن إذا حصل الانسان على المال والثروة ولم يكن في قلبه حبّ الدنيا فان ذلك يشبه المياه تحت السفينة حيث تنساب بيسر وسهولة نوق المياه.

والانسان المؤمن مهما ملك من مال في الدنيا فانه يعتبر نفسه فقيراً إلى الله لأنّ الثروة الحقيقيّة هي الايمان ورضوان الله، فحتى لو ملك الانسان المؤمن الدنيا فانه يزداد تواضعاً لله عزّ وجلّ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. ^(٢)

طلب الحلال في الروايات

انّ طلب المال الحلال في الدين الاسلامي من الواجبات وهو من أفضل العبادات.

جاء في الحديث النبوي الشريف :

طَلَبُ الْحَالَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَ مُسْلِمَةٍ. ^(٣)

الْعِبَادَةُ سَبْعُونَ جُزْءًا، أَفْضَلُهَا طَلَبُ الْحَالَالِ. ^(٤)

١. بحار الأنوار: ٦٢/٧٠؛ مجموعة ورام: ١/١٥٨.

٢. سورة فاطر: ١٥. ٣. بحار الأنوار: ٩/١٠٠؛ جامع الأخبار: ١٣٩.

٤. بحار الأنوار: ٩/١٠٠؛ مستدرک الوسائل ١٣/١٢.

مَنْ أَكَلَ مِنْ كَدِّ يَدِهِ حَلَالًا فَتَحَ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ. ^(١)

مَنْ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ. ^(٢)

مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ قَامَ عَلَى رَأْسِهِ مَلَكٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ أَكْلِهِ. ^(٣)

الْكَادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ^(٤)

مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ. ^(٥)

ومن خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة ندرك ان طلب الحلال عبادة بل هو أفضل العبادة؛ وإلى جانب هذا فان العمل والعبادة التي يقوم بها الانسان وفي عمله كسب للحرام فان عبادته وعمله لا وزن له في ميزان الأعمال ولا قيمة له .

كما ينبغي على الانسان الذي يطلب الحلال أن ينفق ممّا كسب وممّا رزقه الله فيبارك الله في رزقه وعمله وحياته .

وخلاصة القول: ان آيات البسط والقبض والسعة والضيق في الرزق لا تمنع بأيّ حال من الأحوال كلّ أشكال النشاط الاقتصادي المشروع .

وفي ضوء النصوص الدينية يعد العمل واجباً شرعياً وفريضة على المكلف، وفي نفس الوقت حرّم الدين على الانسان أن يكون عالة على الآخرين .

وفي ضوء التعاليم الدينية أيضاً يجب على الفقراء والمستضعفين النهوض ضدّ

١. مستدرک الوسائل: ١٣/٢٤؛ جامع الأخبار: ١٣٩.

٢. بحار الأنوار: ١٠٠/١٠؛ مستدرک الوسائل: ١٣/٦٧.

٣. بحار الأنوار: ٦٣/٣١٤.

٤. بحار الأنوار: ٩٣/٣٢٤؛ مستدرک الوسائل: ١٣/٥٥.

٥. بحار الأنوار: ١٠٠/١٦؛ عدة الداعي: ١٥٣.

الظالمين والمستكبرين فهم وراء ما يعانيه الفقراء من حرمان .
وهناك بعض الاشارات الواضحة التي تعلل البسط والقبض في الرزق بما يقوم به الانسان ؛ فالاستغفار والشكر والانفاق وعمل الخيرات يضاعف في الرزق ، بينما تؤثر المعاصي والذنوب في حرمان الانسان الرزق وذلك من أجل أن ينتبه الانسان من غفلته .

اضافة إلى ان البسط والقبض في الرزق هو امتحان الهي للانسان فالمؤمن يشكر الله ويحمده ويزداد ايماناً وتواضعاً وغير المؤمن يطغى ويتكبر ويزداد غروراً .

ولذا فإن الثروة والمال قد تضرّ بالانسان عندما يفشل في الامتحان في حين تصبح الثروة والأموال والغنى جسراً للانسان الصالح إلى الآخرة والنعيم الخالد ؛ لأنّ الانسان المؤمن يتصرّف بالثروة على نحو مشروع فينفق في سبيل الله ويتصدّق على الفقراء والمساكين ويساعد المحتاجين وتكون الدنيا لديه سلماً نحو الحياة الحقيقية في الآخرة فهو يزرع الخير في الدنيا ليحصد الخير غداً يوم القيامة .

اغن عن المخلوق بالخالق	تغن عن الكاذب بالصادق
واسترزق الرحمن من فضله	فليس غير الله بالرازق
من ظن ان الرزق في كفه	فليس بالرحمن بالوائق
أو قال ان الناس يغنونني	زلت به النعلان من حالق ^(١)

١ . المكان الشاهق .

[﴿٦﴾] ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجْلاً مَوْقُوتاً وَ نَصَبَ لَهُ أَمَداً مَحْدُوداً يَتَخَطَّأُ إِلَيْهِ بِأَيَّامِ عُمْرِهِ وَ يَزْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ وَ اسْتَوْعَبَ حِسَابَ عُمْرِهِ قَبَضَهُ إِلَى مَا نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(١).

[﴿٧﴾] عَدَلًا مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَ تَظَاهَرَتْ آلَاؤُهُ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٢)

قيمة العمر

هذا النص البليغ الذي يمتزج مع آيات الله المباركة امتزاج الضوء بالضوء والهواء بالهواء يؤكد الحقائق التالية:

- ١ - ان لكل حي في الدنيا وقت محدد وأجل معين .
 - ٢ - ان كل انسان يواجه غداً في عالم الحساب أعماله فيثاب أو يعاقب .
- ان الأمم على اختلاف ثقافتها وعقائدها تقدر العمر والوقت ولعل هذا المثل : «الوقت من ذهب» من أشهر الامثال العالمية ؛ غير ان الدين الاسلامي الحنيف وثقافته لا يقارن قيمة الوقت بالعناصر المادية حتى لو كانت ذهباً ، لأن العناصر

٢ . سورة الأنبياء : ٢٣ .

١ . سورة النجم : ٣١ .

المادية لا يمكن مقارنتها بالعمر والوقت إذ يفقد السخية في هذه المقارنة .
ولذا فان الاسلام يقيم العمر بالايمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة ؛
فالذي يمضي عمره مؤمناً يسعى في تحصيل المعرفة ويقوم بأعمال الخير ويعامل
الناس ويعاشرهم بالأخلاق الحسنة ، فانه سيكون من الفائزين يوم القيامة
والحساب وسينعم برضوان الله والسكنى في حياة النعيم .

أما الانسان الذي يهدر سنوات عمره في اللهات وراء الغرائز والشهوات أو في
خدمة الطاغوت أو في العبث واللهو فأن مصيره سيكون بائساً ويحشر إلى الجحيم
ويحلّ به غضب الله .

وهؤلاء سوف يتحسرون ويندمون وهم يشاهدون مصيرهم ويقفون وجهاً
لوجه أمام أبواب جهنم خالدين فيها وساءت مستقراً ومقاماً؛ هنالك يعضون على
أصبع الندامة على ما فرطوا في حياتهم ويتمنون أن يمنحوا فرصة العودة إلى الدنيا
لينتخبوا طريق الفلاح .

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ
مِّن سَبِيلٍ * ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُذَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا
فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (١)

وقد وصف القرآن الكريم مشهد هؤلاء المجرمين وقد طأطأوا برؤوسهم
يعضون على أصابع الندم :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ

حَقُّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا
نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١﴾

وعندما يساقون إلى هاوية الجحيم وتواجههم السنة النار وهي تتميز من الغيظ
وتصدر عنها أصوات مرعبة؛ هنالك تنطلق صرخاتهم من ألم العذاب وتتعالى
أصواتهم يطلبون اعادتهم إلى الدنيا وإعادة الامتحان.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ
لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ﴾ (٢)

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى
أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا
لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ (٣)

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ
عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ * قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿٤﴾

ولقد سعى الأنبياء والأوصياء إلى أن يعرفوا البشر قيمة الوقت والعمر وأن
يستثمروا الحياة الدنيا في معرفة الحقيقة، والتوجه إلى الحق والخير والكمال والآخر
يهدروا سنوات العمر في اتباع خطوات الشيطان.

لذا يتعين على الانسان أن يكتشف هدفه الحياة وغاية الخلق وأن يعمل

٢. سورة الفاطر: ٣٧.

١. سورة السجدة: ١٢ - ١٤.

٤. سورة المؤمنون: ١٠٦ - ١٠٨.

٣. سورة إبراهيم: ٤٤.

لتأمين مستقبله الحقيقي وأعني الحياة في العالم الآخر الذي يجسد كل معاني الحياة الحقيقية .

ان المؤمنين «لهم دار السلام عند ربهم» «ولنعم دار المتقين» «إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار» «وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان» .

جاء في الحديث النبوي قوله ﷺ :

اتَّقِ الْمَخَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ، وَ

أَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُوقِنًا، وَلَا

تُكْثِرِ الضَّحْكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقُلُوبَ. ^(١)

وقال أيضاً:

مَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنْ

اعْتَذَرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَبْلَ عُذْرِهِ وَتَجَاوَزَ عَنْهُ. ^(٢)

قصة سلمان وأبي الدرداء

جاء في كتاب «تنبيه الخواطر ونزهة النواظر» المعروف بـ «مجموعة ورام»:

قيل ان سلمان رضي الله عنه جاء زائراً لأبي الدرداء فرأى أم أبي الدرداء مبتذلة (في

هيئة مزرية) فقال: ما شأنك؟! قالت: ان أخاك ليس له حاجة في شيء من أمر الدنيا!

فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان وقرب إليه طعاماً؛ فقال: إني صائم.

١. مجموعة ورام: ٥/١؛ كنز العمال: ١٦/٢٤٢.

٢. مجموعة ورام: ٤/١؛ مسند أبي يعلى: ٧/٣٠٢.

فقال: أقسمت عليك إلا ما طعمت.

فقال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل.

فبات عنده تلك الليلة فلمّا جاء الليل قام أبو الدرداء (لصلاة الليل) فحبسه (منعه) سلمان وقال له: يا أبا الدرداء! إنّ لربك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً؛ فصم وافطر وصل ونم واعط كل ذي حق حقه.

فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ فأخبره بما قال له سلمان، فقال ﷺ له مثل قول سلمان^(١).

وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قال:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كِفَافاً وَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ^(٢).

من مواعظ بهاء الدين البلخي

بهاء الدين البلخي الملقّب بـ «سلطان العلماء» أو «بهاء الدين محمد ولد»^(٣) له مواعظ في هذا المضمار:

«قلت يا آدمي في كلّ طوايا شهوتك غول قد انشب أنيابه يظهر لك على ما تهوى، فكما أنّ النملة تثبت بالحبّة، فإن في أعماقك من هذا النمل ما تضجّ به نفسك.

١. مجموعة ورام: ٢/١؛ المحلى، ابن حزم: ٤٠/١٠.

٢. مجموعة ورام: ٣/١؛ الزهد و صفة الزاهدين: ٦٦.

٣. هو بهاء الدين محمد ولد، عارف وواعظ عاش في القرن السادس - السابع الهجري وهو والد الشاعر الكبير «مولانا» أو جلال الدين الرومي وكان يلقّب بـ «سلطان العلماء». كانت مواعظه يغلب عليها الطابع الصوفي ما أثار حفيظة الفقهاء وأنكروا لقبه «سلطان العلماء». دانسنامه جهان اسلام: ٦٧٣/٤ (موسوعة العالم الإسلامي)

وقيل لك هياً زجاجة من الخبز لتملأها من النور، وأنت هيأت ولكنك ملأتها
سوداء ودماءً.

و«العقل تكفيه الإشارة».

وخطابنا للعقلاء لا لغير العقلاء، والآن فان كل فكر موجود وكل سوداوية
موجودة وكل شيء موجود إذا ظهر في الفكر فانه يكون بمثابة الزهرة الجافة
ونبات جاف مصفرّ، وما يخرج من فكره فانه برعم جديد زاهي الخضرة فاذا
تفتح وتخرج منه الثمار يأكلون أوله ويتركون الباقي ذلك أن أوله له لطف وطبع
ومن هذا قيل: «الجوع طعام الله».

يعني انه في عرصة الغيب تنمو خضرة الحكمة فيعتلفها الغزال، والآن فان كل
فكر يظهر فتناول أوله طرياً ودع آخره لينمو من جديد.

سألني عن الهوى الذي يعقبه الموت! قلت: انك لما وضعت قدمك في المعصية
فاعلم انك خطوت في أرض الجحيم، تهب عليك ريح السموم، كما ان أنفاس
الغيبية وأنفاس الفحش تكون قد سممتك.

ومن أنفاس التسبيح والشهادة والصدق وقول الحق تكون قد خطوت في أرض
الجنة والنعيم.

والآن فان هذان الركنان في أصل الخلق الهواء والرياح حق والتراب والماء
حق والنار حق.

والنار نار الصلابة والعداوة مع أهل الكفر، والماء ماء الرقة والشفقة مع أهل
الاسلام والرياح رياح النصيحة والعدل والصدق؛ والتراب تراب اجزاء «الصابر

والحمول»، وأنت مخلوق من هؤلاء القرناء في الجنة، لتعلم ان المقصود من الاعتقاد والتعظيم هو الله والايمان به.

واذن فان التسبيح والتهليل والايمان والعبودية أطيب من جميع الأشياء الأخرى.

الآن وان الله يراك فلتكن مثل العرائس فانك لا تجد من يشتريك أقوى منه .
فاكحل عينيك بكحل الحياء وعلق في اذنيك أقرط الذكاء وطوق ساعديك بأساور الأدب والأخلاق وساقيك بخلخال الخدمة وتمييز الحق والباطل، وضع خمار التعفف والاستعصام.

«الأولياء عرائس الله».

جاء في الحديث النبوي الشريف:

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا وَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ.^(١)

لا تخضعن لمخلوق على طمع	فان ذلك وهن منك في الدين
واسترزق الله ممّا في خزائنه	فإنّما الأمر بين الكاف والنون
ان الذي أنت ترجوه وتأمّله	من البريّة مسكين بن مسكين
ما أحسن الجود في الدنيا وفي الدين	وأقبح البخل فيمن صيغ من طين
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا	لا بارك الله في الدنيا بلا دين

يقول الإمام السجّاد عليه السلام:

إِنَّ أَحَبَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا، وَإِنْ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا أَعْظَمُكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَةً، وَإِنْ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَشَدُّكُمْ حَشِيَّةً لِلَّهِ، وَإِنْ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللَّهِ

أَوْسَعُكُمْ خُلُقًا، وَإِنَّ أَرْضَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغُكُمْ عَلَى عِيَالِهِ، وَإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ. ^(١)

وقال النبي الأكرم ﷺ:

مَنْ سَلِمَ مِنْ رِجَالِ أُمَّتِي مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ: مِنَ الدُّخُولِ فِي الدُّنْيَا،
وَاتِّبَاعِ الْهُوَى، وَشَهْوَةِ الْبَطْنِ، وَشَهْوَةِ الْفَرْجِ، وَمَنْ سَلِمَ مِنْ نِسَاءِ أُمَّتِي مِنْ
أَرْبَعِ خِصَالٍ فَلَهَا الْجَنَّةُ: إِذَا حَفِظَتْ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، وَصَلَّتْ
حَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا. ^(٢)

ولا شك أن هذا من ثمار الإيمان بالله والعمل الصالح والتفكير في المعاد.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاءُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾. ^(٣)

ويقول الإمام موسى الكاظم عليه السلام في تقسيم الوقت:

اجْتَهِدُوا فِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُكُمْ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ:

سَاعَةٌ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ، وَسَاعَةٌ لِأَمْرِ الْمَعَاشِ، وَسَاعَةٌ لِمُعَاشَرَةِ الْإِخْوَانِ وَالثَّقَاتِ
الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكُمْ عُيُوبَكُمْ وَيُخْلِصُونَ لَكُمْ فِي الْبَاطِنِ، وَسَاعَةٌ تَخْلُونَ فِيهَا
لِلذَّاتِكُمْ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ. ^(٤)

١. بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ١٩٤.

٢. كلمة الرسول الاعظم: ١٣٦. ٣. سورة البيئ: ٧ - ٨.

٤. تحف العقول: ٤٠٩؛ بحار الأنوار: ٣٢١/٧٥.

ومن هنا يتعين على الانسان المؤمن أن يقسم أوقاته كما يلي :

١- وقت للعبادة والدعاء .

٢- وقت للعمل وطلب الرزق وشؤون المعيشة .

٣- وقت للعلاقات الاجتماعية .

٤- وقت للتلذذ بمتع الحياة في دائرة الحلال .

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقير خير من غنى يطغيها

وغنى النفوس هو الكفاف وإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

ويروي الامام محمد الباقر عليه السلام عن جدّه الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام أنّه إذا صَلَّى صلاة العشاء في مسجد الكوفة ينادي الناس ثلاث مرّات حتّى يسمع أهل المسجد :

تَجَهَّزُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، فَمَا التَّعَرُّجُ عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَ

النِّدَاءِ فِيهَا بِالرَّحِيلِ!

تَجَهَّزُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - وَانْتَقِلُوا بِأَفْضَلِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ وَهُوَ التَّقْوَى.

وَاعْلَمُوا أَنَّ طَرِيقَكُمْ إِلَى الْمَعَادِ، وَمَمَرُّكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَالْهَوْلِ الْأَعْظَمِ أَمَامُكُمْ؛

وَعَلَى طَرِيقِكُمْ عَقَبَةٌ كُنُودٍ وَمَنَازِلُ مَهَوْلَةٍ مَخُوفَةٍ، لَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ الْمَمَرِّ عَلَيْهَا

وَالْوُقُوفِ بِهَا؛ فَأَمَّا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، فَنَجَاةٌ مِنْ هَوْلِهَا وَعَظِيمٌ خَطَرُهَا وَقَطَاعَةٌ

مَنْظَرُهَا وَشِدَّةٌ مُحْتَبَرُهَا؛ وَإِنَّمَا بِهَلَكَةٍ لَيْسَ بَعْدَهَا نَجَاةٌ.^(١)

من سيرة الشهيد الثاني

روى مؤلّف «بغية المريد» وهو من تلامذة الشهيد الثاني قبساً من سيرته

١. مشكاة الأنوار: ٣٠٤؛ بحار الأنوار: ١٧٢/٦٨.

- رضوان الله تعالى عليه ، انه كان ينظم أوقاته بين العمل والمطالعة .
- فكان يحتطب في أوّل الليل ويعود إلى بيته حاملاً الحطب وكان يؤدي
- فريضة صلاة الصبح في المسجد بعد أن أدائه صلاة الليل في البيت .
- ويبدأ تدريسه بعد الصلاة .
- يعمل بيديه وينفق على أسرته وعياله .
- يخدم ضيوفه بنفسه .
- ومن عجائبه انه إذا غمس القلم في المحبرة فانه يسطر ثلاثين سطرًا دون
- توقف .
- ترك وراءه ألفي كتاب ورسالة في مئتي مجلد بخط يده ومن بينها «شرح
- اللمعة الدمشقية» للشهيد الأوّل .
- كان يرى الرؤى الصادقة باستمرار .

يروى والد الشيخ البهائي انه دخل عليه ذات يوم فرآه مستغرقاً في التفكير فسأله عن ذلك ؟ فقال : أنا الشهيد الثاني ، فلقد رأيت الليلة الفاتنة رؤيا وقد اجتمع علماء الامامية في بيت الشريف المرتضى فلما دخلت عليه قال لي : اجلس إلى جانب الشيخ الشهيد (محمد بن مكّي الشهيد الأوّل) ان عاقتني ستكون الشهادة .

السيد مهدي القزويني

- كان السيد مهدي القزويني من عرفاء عصره وله حالات عجيبة وكرامات كثيرة؛ يروي المحدث النوري الذي كان يزوره باستمرار:
- ان لهذا الرجل كرامات ومقامات ولا غرو فقد بلغ من العلم والعمل ما جعله أهلاً لكرامة وكيف لا يكون أهلاً وعمّه السيد باقر صاحب الأسرار وخاله السيد

بحر العلوم - أعلى الله مقامهما - فقد ورث من صفاتهما وأخذ من أخلاقهما.

تربى في ظلال عمّه فأدّبه وأحسن تأديبه فاطلع على أسرارِهِ.

هاجر المرحوم السيّد مهدي من النجف الأشرف إلى مدينة الحلة وشرع في عمله التبليغي وهداية الناس وظهر الحقّ وازهاق الباطل حتّى انتشر التشيع الاثني عشري في البوادي القريبة من الحلة، وكان الشيعة قبل ذلك لا يعرفون من التشيع إلّا دفن موتاهم في مقبرة وادي السلام بالنجف الأشرف.

وقد عرف السيّد مهدي بالصبر والتقوى والطمأنينة وتحمل مشاق العبادة وكان يستغرق في الذكر ويقضي حوائجه بنفسه فلم يطلب من أحد شيئاً، حتّى غداه وعشاءه.

كان يلبي دعوة من دعاه وربما أخذ معه كتاباً يطالعه أو يسجّل شيئاً في دفتره. وكان برنامجهِ في شهر رمضان المبارك أنّه كان يؤدّي صلاة المغرب جماعة في المسجد ثمّ يصلي نافلة المغرب في هذا الشهر وهي ألف ركعة على مدى الشهر المبارك فيؤدّي القسم المقرّر منها ثمّ يعود إلى منزله حيث يتناول طعام الإفطار، ثمّ يتوجّه إلى المسجد لأداء صلاة العشاء ثمّ يعود إلى بيته حيث يجتمع الناس في داره؛ فيفتتح المجلس قارئ القرآن يتلو ما تيسّر من آيات كتاب الله العزيز؛ وبعدها يقوم بوعظ الناس في لغة مؤثّرة تدمع لها العيون وترق لها القلوب. ويستمرّ في موعظته بقراءة خطبة من خطب نهج البلاغة موضحاً غوامضها، ويعقب ذلك بذكر مصائب عاشوراء وبعدها يقوم أحد الصالحين بقراءة أدعية شهر رمضان المبارك فيردد المؤمنون وراءه.

وهكذا إلى أن يحين وقت السحر حيث يتناول الصائمون طعام السحور

ويعودون إلى منازلهم.

وكان على كبر سنّه وتقدّمه من العمر يؤدّي النوافل جميعاً، مواصلاً بحوثه ومطالعاته حيث ظهرت في مؤلّفات ومصنّفات عديدة في الفقه والأصول والكلام؛ وفي طليعة مؤلّقاته اثباته الفرقة الناجية وهم شيعة أهل البيت عليه السلام فطوبى له وحسن مآب. ^(١)

قيمة الوقت في أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام

إِنَّ الْمَغْبُوتَ مَنْ غُبِيَ عُمُرُهُ، وَإِنَّ الْمَغْبُوطَ مَنْ أَنْفَدَ عُمُرَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ. ^(٢)
إِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ نَظَرَ فِي يَوْمِهِ لِعَدِهِ، وَسَعَى فِي فَكَائِهِ نَفْسِهِ، وَعَمِلَ لِمَا لَا بُدَّ لَهُ وَ
لَا مَحِيصَ لَهُ عَنْهُ. ^(٣)

إِنَّ أَحْسَرَ النَّاسِ صَفَقَةً وَأَخْيَبَهُمْ سَعْيًا رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ، وَلَمْ
تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسَرَاتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ
بِتَبِعَاتِهِ. ^(٤)

وما أجمل أن ينفق المرء سنوات عمره في خدمة الحقّ ثم يلاقيه بوجه مشرق
وقلب مطمئن مفعم بالبهجة.

إِنَّ أَوْقَاتِكَ أَجْزَاءُ عُمُرِكَ، فَلَا تُنْفِدْ لَكَ وَقْتًا إِلَّا فِيمَا يُنْجِيكَ. ^(٥)
ولو أننا نظرنا إلى الدنيا من خلال نظارة التوحيد أو من خلال عيون الأنبياء

١. النجم الثاقب: ٧٧٦/٢ - ٧٧٨. ٢. غرر الحكم: ١٦٠.

٣. غرر الحكم: ١٤٩؛ مستدرک الوسائل: ١٥٠/١٢.

٤. غرر الحكم: ١٦٧؛ بحار الأنوار: ٣٨/١٠٠.

٥. غرر الحكم: ١٥٩؛ عيون الحكم والمواعظ: ١٥٩.

والأولياء ، لرأيناها منطلق كل كمال أي أنها المكان الذي ينطلق منه الانسان نحو الكمال والقرب الالهي .

فالدنيا هي مقدّمة الآخرة والحياة في الدنيا مقدمة للحياة في الآخرة والدنيا مزرعة للآخرة وجسر يعبر من خلاله الانسان إلى عالم الخلود .

أما الدنيا التي ينظر إليها الماديّون فهي مكان ينطلق فيها الانسان من أجل اشباع غرائزه والتمتع باللذائذ الحيوانية ولذا فالانسان لا يتردد في العدوان على غيره ولا يتورّع عن الظلم ومصادرة حقوق الآخرين وعن مواجهة الحق والانتصار للباطل ؛ وهكذا يستحيل الانسان المادي إلى ذئب بشري بل إلى ما هو أبعد من ذلك فيتلذذ بالقتل والجريمة ويغرق في مستنقع الرذيلة .

إِنَّ الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً؛ وَالْبَصِيرُ يُنْفِذُهَا

بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا. فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا

شَاخِصٌ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا مُتَزَوِّدٌ.^(١)

إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا، وَ يَا خُذَانِ مِنْكَ فَخْذُ مِنْهُمَا.^(٢)

إِنَّ الَّذِينَ بَنُوا فِطَالَ بَنَائِهِمْ وَاسْتَمْتَعُوا بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ

جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

وَأَرَى النِّعَمَ وَكُلَّ مَا يُلْهِي بِهِ يَوْمًا يَسِيرُ إِلَى بَلَى وَنِفَادِ

المنازل الالهية في كلام العارف « شاه داعي »

يقول العارف « شاه داعي الشيرازي » في بيان منازل طريق السالكين :

١. غرر الحكم: ١٣٢؛ عيون الحكم والمواعظ: ١٤٧.

٢. غرر الحكم: ١٥١.

«وانه يشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول في بيان منزل العلم ؛

الفصل الثاني في بيان منزل العمل ؛

الفصل الثالث في منزل الخلق (الاخلاق) .

الفصل الأول : في منزل العلم

ينبغي معرفة ان أول منزل السالكين في هذا الطريق هو منزل العلم فما لم يبلغ هذا المنزل تعذر عليه الوصول إلى المنازل الأخرى والعلم اللازم الذي لا بدّ للسالك منه ينقسم إلى ثلاثة أقسام .

١ - علم الشريعة ؛ ٢ - علم الطريقة ؛ ٣ - علم الحقيقة .

١ - علم الشريعة

أمّا علم الشريعة وهو علم الفرائض والسنن والآداب وهو على أربعة أصول : العبادات والمعاملات والنكاح والجراح وفي أربعة أصول ؛ الفرائض والسنن والآداب وأشياء تيسر العلم بالشريعة ؛ الفرض والسنة والمكروه والمباح والحرام . والفرض : هو الواجب الذي من لم يؤدّه كان عاصياً ومستحقاً للعذاب ومن قام به كان مطيعاً يستحقّ الثواب .

والسنة : هو العمل الذي من لم يقم به لم يكتب عاصياً ولا يستحقّ العقوبة ، ولكن فاتته الفضيلة والثواب ومن التزم بها استحقّ الثواب والفضيلة .

والمكروه : وهو العمل الذي إذا قام به الانسان لم يكتب عاصياً وإذا لم يقم به كان من نصيبه الثواب .

والمباح: وهو العمل الذي يتساوى فيه من قام به من لم يقيم، فلا ثواب ولا عقاب وأكثر العلماء يقولون بأنّ الحلال هو المباح أو أنّ المباح حلال. والحرام: وهو الفعل الذي من قام به عدّ مذنباً وعاصياً ومستحقاً للذمّ ويترتب عليه العقاب.

ولما علمنا معنى الفرض والسنة والمكروه والمباح والحرام فإنّ علينا أن نعرف أنّ كلّ عمل فرض يجب علينا أدائه؛ فإنّ العلم به فرض واجب علينا؛ فالصلاة فرض واجب علينا أدائها والعلم بها ومعرفة كيفية أدائها فرض واجب علينا معرفته وتعلّمه.

ومن لم يتعلّم هذا العلم عدّ عاصياً، إلّا أنّه لا يجب عليه تعلّم كلّ مسائل الفقه وعلومه في العبادات والمعاملات والنكاح والجراح حتّى يصل إلى منزل العلم بعلم الشريعة؛ فالقدر المطلوب من علم الشريعة ما كان فرضاً واجباً ومن السنة والآداب ما يوصل السالك إلى مرحلة يمكن القول أنّ السالك وصل إلى منزل العلم بعلم الشريعة.

٢ - علم الطريقة

وأما علم الطريقة فهو معرفة منهج الأولياء ومعرفة طريق الأولياء وكيفية وصولهم إلى المقصود وكيفية تعاملهم في رياضة النفس بالقدر الذي لا يخرجهم عن أتباع سيّدنا المصطفى ﷺ فمن خرج في رياضته عن متابعة المصطفى فهو ليس على الطريقة.

وإجمالاً فإنّ علم رياضات الأولياء هو معرفة ثلاثة أشياء فمن علمها فإنّه يعدّ

في الواقع عالماً بالطريقة ويمكن القول أنّ السالك قد وصل إلى منزل العلم بعلم الطريقة .

الأول : علم النفس والحال في موافقة طريق الحق ومخالفته .

الثاني : علم الخواطر .

الثالث : معرفة معالجة النفس وكيفية ترويضها على سلوك طريق الحق .

الف - علم النفس

وهي كائن طويل عريض لا سقف لها ولها السيادة على البدن وكلّ ما في جسد الانسان يدور في فلكها كالأقمار تدور حول الكوكب؛ وهي طاهرة نقيّة ومستودع العلوم، كشعاع القمر في القمر، وبما أنّ القمر ليس له ضوء من ذاته وإنّما ينعكس عليه ضوء الشمس، كذلك العلوم في النفس إنّما هي شعاع من شمس ربوبيّة الحق لا من ذاتها.

ولها أوصاف عديدة، فتدعى الروح والعقل والقلب؛ فاذا وصفت بتدبير الكمال لذاتها فهو «الروح» أو وصفت بالتمييز بين ذاتها وأحوال ذاتها فهو «العقل» أو وصفت بأنّها دائمة في ادراك المعنى الجديد لحال من الأحوال فهو «القلب» فهي تظهر بكلّ صفة من هذه الصفات التي ذكرت، فتقوم بالفعل من خلال الآلة المناسبة للصفة والموجودة في البدن .

فمن أجل صفة التمييز تستخدم آلة الدماغ وللتقلّب من حال إلى حال تستخدم هذا الجزء الصنوبري الموجود في اليسار من القفص الصدري .

وإذا وصفت بأنّها تقوم بفعل السوء فهي «النفس الأمّارة» وإذا ظهرت بصفة اللوم على فعل الشرّ والدعوة إلى فعل الخير فهي «النفس اللوامة» وإذا ألقت فعل

الخير فهي «النفس المطمئنة» وهذه اشارات في علم النفس .

ب - علم الخاطر

وأما الخواطر فهي أربعة :

الأول : خاطر ملكي يراد قلب الانسان أن يفعل الخير وواسطته الملك الذي أصله من الحق تعالى .

والثاني : خاطر رباني يخطر على القلب أن يصدر عنه الخير من دون أن يتوقع من وراء ذلك نفعاً وهذا الخاطر من الحق تعالى دون واسطة .

الثالث : خاطر شيطاني يخطر على القلب أن يقوم بفعل السوء وواسطته الشيطان .

الرابع : خاطر نفساني يخطر على القلب وهو سرّ في جبلة النفس وهواها وأمانيتها .

ولا يخلو قلب الآدمي أبداً من خاطر من هذه الخواطر الرباعية ولو لطرفة عين إلا في حالة النوم والاعماء؛ وتحقيق ذلك ان هذه الخواطر تخطر في النوم والاعماء ولكن النفس لا تتشعل بها فلا يبدو عليها .

وأما الكلام في الموافقة والمخالفة فهو ؛ ان النفس الموافقة لطريق الحق نفس تختار الخاطر الرباني والباطن الملكي وفعل الخير ، والنفس المخالفة لطريق الحق نفس تختار الخاطر الشيطاني والنفساني وفي هذا سبب خطور الخواطر السيئة .

ومن هنا تتبين حالة موافقة النفس ومخالفتها في طريق الحق ويجب على السالك في حالة الموافقة للحق تعالى والمخالفة للنفس والشيطان أن يكون في جهاد دائم ؛ وأن يتغذى معنوياً بما ينفي الخاطر الشيطاني والنفساني ومنع النفس

من فعل السوء وتثبيت خاطر الربّاني والملكي واشغال النفس بفعل الخير إن شاء الله تعالى

ج - علم معالجة النفس

أما علم معالجة النفس فهو في مصاحبة أهل الله والعالم الربّاني والمرشد الملكوتي؛ أو إلهام من جانب الحق تعالى في قلب الطالب الذي يعرف كيف يمكن ترويضها، أو يقرأ حديث الأنبياء والأولياء ويتعلّم.

والخلاصة يمكن ترويض النفس على أن تزهد بما زاد على حظها في الدنيا وما لا ضرورة له وأن يسعى لتحصيل المنزلة الرفيعة في الآخرة فيعمل الخيرات ما وسعه ذلك؛ وبذلك يتضاءل انشغاله بالدنيا ويزيد انشغاله بالآخرة.

وعليه أن يسأل الحق الاخلاص في أعمال الخير وأن يتّهم نفسه في كلّ شيء ويعدّ نفسه مقصّراً فيلومها ولا يترك لهواه العنان لحظة واحدة فتنبعث الفتن.

ويمكن ترويضها بهذه الصفة التي ذكرت وحتى إذا روّضت فلا يجب الثقة بها والشعور بالأمن من مكرها ونزع لجام الشريعة عن رأسها؛ حتى تعبر قنطرة الشهوات الطبيعية بسلام وتكون أقدامها بأمان من صخورها النائية ويكون الانسان في الاستمتاع بلذات الجسد في مأمن من الشيطان لئلا يخطفه الشيطان ويجزّه إلى اللذائذ المحرّمة وإنّما يكون إيمانه زاده للوصول إلى عالم الآخرة، فهذا بيان لعالم الطريقة.

٣ - علم الحقيقة

وأما علم الحقيقة فمعرفة النفس ومعرفة خالقها وهو أشرف العلوم؛ إن الله

عزّ وجلّ وجود مطلق، بمعنى أنّه لا يمكن إدراك كنه حقيقته واذن فهو لا يقيّد بوصف ولا يحدّد بحدّ ولا بغاية؛ وكان ولم يزل ولا يزال؛ وكلّ ما هو موجود فأنّما بوجوده وكلّ حيّ قائم به وكلّ عالم فبعلمه وكلّ سميع فيه يسمع وكلّ بصير فيه يبصر وكلّ قادر فبقدرته يقدر وكلّ مرید فيه يريد وكلّ ناطق فيه ينطق.

له صفات الكمال؛ وصفاته عين ذاته وأفعاله عين ذاته وأسماءه عين ذاته، واحد فرد صمد نور السماوات والأرض.

لا جرم أنّ كلّ من لا يعرف نفسه لا يعرف ربّه؛ واذن فإنّ النفس لها جهتين: جهة مشرقة وهي من الرب وجهة مظلمة وهي من الذات، اشراقها من جهة وجودها نحو الوجود المطلق الذي هو النور المطلق وظلمتها من جهة العدم نحو العدم المطلق.

وعلى السالك أن ينظر إلى جهة عدميّة النفس ويقول بعدميّة النفس؛ ذلك أنّها ليست وجوداً مطلقاً، وينظر إلى جهة وجود النفس ويقول: إنّ الذي به وجود النفس هو حقيقة الوجود وهو الوجود المطلق.

والنفس وجود مجازي والوجود المجازي لا اعتبار له، واذن فإنّ الخالق حقيقة الوجود والمخلوق بالمجاز، وفي هذا المشهد يمكن القول: «لا موجود إلّا الله» وعليه ينبغي نسبة النفس إلى خالق النفس وعلى قدرها يصل إلى الحقيقة؛ وما لم تحصّل هذه العلوم: علم الشريعة وعلم الطريقة وعلم الحقيقة فإنّ السالك لا يصل إلى منزل العلم، والله أعلم.

الفصل الثاني: في منزل العمل

أيّها العزيز! إنّ العمل الصالح الذي هو في طريق كمال النفس هو المنقذ

للإنسان وشرط العمل الصالح هو ما كان مقترباً بالايان الصحيح وإلا فان ذلك العمل لا يوصل للمقصود ولا يوجب الفلاح وليس له ثمرة.

أما الايمان الصحيح فهو هداية الايمان والمعرفة ان الله يهبه توفيق الطاعة وهذه منة والمنة الاخرى هي القيام بالعمل الصالح استناداً إلى الايمان الخالص، والله لا يضيع سعي من أحسن عملاً ويجزيه كرامة منه وثواباً.

والعمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله من أداء لأركان الاسلام والعمل بسنة رسول الله وأداء الفرائض والسعي في اتباع السنن من الصلاة جماعة والصلاة على الميت والمشاركة في التشييع وعبادة المريض وتفقد أحوال المسلمين والمشاركة في أعمال الخير والاصلاح بين المسلمين واخماد الفتن وقول كلمة الحق والخير وافشاء السلام والاستجابة لدعوة الخير وصلة الرحم وحسن الجوار وأعمال الخير كثيرة لا يمكن تعدادها في هذا المجال.

الفصل الثالث : في منزل الخلق

اعلم - أعانك الله - ان أخلاق الانسان على نحوين: أخلاق حسنة وأخلاق سيئة؛ والأخلاق الحسنة صفات في الانسان يباركها الشرع ويستحسنها العقل وهي على قسمين: قسم له صلة بالدنيا وقسم له صلة بالآخرة وعالم المعاد؛ واجمالاً فان الاخلاق الحسنة أربع:

العدالة

وتعني عدم الافراط والتفريط في الشؤون الفردية والعائلية والاجتماعية وانتهاج الوسطية في سلوكه.

الحكمة

وهي وضع الشيء في موضعه المناسب له

العفة

وهي منع النفس من الحرام بكلّ مظهره يعني صون القلب من الحرام وغضّ البصر عن الحرام وصون السمع عن الحرام كسماع الغيبة والنميمة وصون اللسان عن الكلام الحرام وكفّ اليد عن الحرام وصون القدم عن الذهاب إلى الحرام وصون الجوف عن اللقمة الحرام وصون الفرج عن الحرام.

الشجاعة

وهي الاقدام للدفاع عن الشريعة حتّى لو احتمل هلاك النفس مثل الاستبسال في القتال والمعارك وقول كلمة الحقّ أمام السلطان الجائر. فالشجاعة ينبغي أن تكون في مواجهة الخصم ومواجهة العدو والاشتباك معه والشجاعة في كلّ هذه الأمور تكون داخل حدود الشريعة لا يتجاوزها. فإذا أحرز المرء هذه الخصال الأربع يكون قد اتّصف بالأخلاق الحسنة. والأخلاق الحسنة التي يدعوها العارفون بـ «المقامات» هي الصبر والشكر والرضا والتوكّل والتسليم والصدق والاخلاص وهي في العرف العام خلق طيب من قبيل التواضع والمبادرة بالسلام والرفق والمدارة والتسامح وستر العيوب والحلم والألفة والمحبة والتضامن والمحبة وغيرها من الأخلاق الحسنة التي لا يمكن ذكرها كلّها.

وينبغي اجتناب وطرح الأخلاق السيّئة من قبيل الظلم والبلاهة والحرص

والشره والتكبر والغضب في غير موقعه والانجذاب إلى الأمور المحرمة والحسد وأمثال ذلك من الأمور السيئة التي يضيق المجال بذكرها جميعاً.

واذن من الواجب القول ان كل صفة إذا ما أصبحت عادة للمرء وكانت سبباً في حصول الكمال له هي خلق حسن؛ لذا ينبغي عليه التزّين به، وكل صفة إذا ما أصبحت عادة للمرء وكانت سبباً في نقصانه فهي خلق سيئ فينبغي عليه اجتنابه وتركه والله المرشد»^(١).

وبمثل هذا ينبغي على الانسان أن يمضي سنوات عمره، فيحصل على خير الدنيا وخير الآخرة وفي غير هذه الحالة فلن يكون نصيبه إلا خزي في الدنيا وله في الآخرة عذاب أليم.

في ضوء الروايات

إنّ الشريعة الالهية لم تترك للانسان حجة يحتجّ بها أمام الله عزوجلّ فله سبحانه الحجة البالغة على عباده فلقد بلغ رسوله رسالاته وبيّن لهم ما لهم وما عليهم.

يقول النبي الأكرم ﷺ:

مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَها لِطالِبِ العِلْمِ رِضاً بِهِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لَطالِبِ العِلْمِ مَنْ فِي السَّماءِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْخُوتِ فِي الْبَحْرِ، وَ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ

١. شانزده رساله شاه داعي «الرسائل الستة عشر»: ٧ - ١٤.

الأنبياءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَاراً وَ لَا دِرْهَماً وَلَكِنْ وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ

بِحِظٍّ وَافِرٍ^(١)

ويقول ﷺ أيضاً:

أَرْبَعَةٌ تَلْزَمُ كُلَّ ذِي حِجْبٍ وَ عَقْلٍ مِنْ أُمَّتِي، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا هُنَّ؟ قَالَ:

إِسْتِمَاعُ الْعِلْمِ وَحِفْظُهُ وَنَشْرُهُ، وَالْعَمَلُ بِهِ^(٢).

مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِلتَّكَبُّرِ مَاتَ جَاهِلًا، وَ مَنْ تَعَلَّمَهُ لِلْقَوْلِ دُونَ الْعَمَلِ مَاتَ مُنَافِقًا،

وَ مَنْ تَعَلَّمَهُ لِلْمُنَازَرَةِ مَاتَ فَاسِقًا، وَ مَنْ تَعَلَّمَهُ لِكَثْرَةِ الْمَالِ مَاتَ زَنْدِيقًا، وَ مَنْ

تَعَلَّمَهُ لِلْعَمَلِ مَاتَ عَارِفًا^(٣).

لَا يَكُونُ الْعَبْدُ فِي السَّمَاءِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ مُؤْمِنًا حَتَّى يَكُونَ فَضُولًا، وَ لَا يَكُونُ

فَضُولًا حَتَّى يَكُونَ مُسْلِمًا، وَ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا حَتَّى يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَ

لِسَانِهِ، وَ لَا يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَ لِسَانِهِ حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا، وَ لَا يَكُونُ عَالِمًا

حَتَّى يَكُونَ عَامِلًا بِالْعِلْمِ، وَ لَا يَكُونُ عَامِلًا بِالْعِلْمِ حَتَّى يَكُونَ زَاهِدًا، وَ لَا يَكُونُ

زَاهِدًا حَتَّى يَكُونَ وَرِعًا وَ لَا يَكُونُ وَرِعًا حَتَّى يَكُونَ مُتَوَاضِعًا وَ لَا يَكُونُ

مُتَوَاضِعًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا بِنَفْسِهِ، وَ لَا يَكُونُ عَارِفًا بِنَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ

عَاقِلًا^(٤).

أَفْشُوا السَّلَامَ، وَ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَ صَلُّوا الْأَرْحَامَ وَ صَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ

نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِالسَّلَامِ^(٥).

١. بحار الأنوار: ١٦٤/١؛ الكافي: ٣٤/١.

٢. كلمة الرسول الأعظم: ٨٧ - ٨٨؛ بحار الأنوار: ١٦٢/٧٤؛ دعائم الاسلام: ٧٩/١.

٣. كلمة الرسول الأعظم: ٨٧ - ٨٨. ٤. كلمة الرسول الأعظم: ١٠٨.

٥. كلمة الرسول الأعظم: ١٠٩.

إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا أُمَّةَ بَعْدُكُمْ، أَلَا فَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا حَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَحُجُّوا بَيْتَ رَبِّكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُكُمْ، وَاطِيعُوا وُلَاةَ أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ.^(١)

مَنْ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا لُقْمَةً أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ سَقَاهُ شَرْبَةً مِنْ مَاءِ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَمَنْ كَسَاهُ ثَوْبًا كَسَاهُ اللَّهُ مِنَ الْإِسْتَبْرَقِ وَالْحَرِيرِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالْمَلَائِكَةُ مَا بَقِيَ فِي ذَلِكَ الثَّوْبِ سِلْكٌ.^(٢)

خَافُوا مِنَ اللَّهِ، وَصَلُّوا الرَّحِمَ، فَإِنَّهُمَا فِي الدُّنْيَا بَرَكَةٌ، وَفِي الْعُقْبَى مَغْفِرَةٌ. وَفِي صَلَاةِ الرَّحِمِ عَشْرُ خِصَالٍ: رِضَا الرَّبِّ، وَفَرَحُ الْقُلُوبِ، وَفَرَحُ الْمَلَائِكَةِ، وَثَنَاءُ النَّاسِ، وَتَرْغِيمُ الشَّيْطَانِ وَزِيَادَةُ الْعُمْرِ، وَزِيَادَةُ الرِّزْقِ، وَفَرَحُ الْأَمْوَاتِ، وَزِيَادَةُ الْمَرْوَةِ وَزِيَادَةُ الثَّوَابِ.^(٣)

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَمْ تَزَلْ قَدَمَا عَبْدٌ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَعَمَّا اكْتَسَبَهُ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ حُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.^(٤)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ثَوَّبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَلُوا، وَأَصْلِحُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ تَسْعُدُوا، وَكَثِّرُوا مِنَ الصَّدَقَةِ تَرْزُقُوا، وَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ تَحْصِنُوا، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ تَنْصُرُوا. إِنَّ أَكْسَكُمْ أَكْثَرُكُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَإِنْ أَحْزَمَكُمْ أَحْسَنُكُمْ اسْتِعْدَادًا لَهُ. أَلَا وَإِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ

١. بحار الأنوار: ٢٠٦/٧٩؛ الخصال: ٣٢٢/١؛ كلمة الرسول الأعظم: ١٠٩.

٢. بحار الأنوار: ٣٨٣/٧١؛ الأمالي، شيخ طوسي: ١٨٢؛ كلمة الرسول الأعظم: ١١٠.

٣. كلمة الرسول الأعظم: ١١٢.

٤. بحار الأنوار: ١٦٢/٧٤؛ تحف العقول: ٥٦؛ كلمة الرسول الأعظم: ١١٥.

الْعَقْلِ التَّجَافِي مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَ الْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَ التَّزَوُّدَ لِسُكْنَى

الْقُبُورِ، وَ التَّأَهُّبَ لِيَوْمِ النُّشُورِ.^(١)

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَهْلًا بِالنَّسَبِ	إِنَّمَا النَّاسُ لَأُمٌّ وَأَبٌ
هَلْ تَرَاهُمْ خَلَقُوا مِنْ فَضَّةٍ	أَمْ حَدِيدٍ أَمْ نَحَاسٍ أَمْ ذَهَبٍ؟
هَلْ تَرَاهُمْ خَلَقُوا مِنْ فَضْلِهِمْ	هَلْ سَوَى لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَعَصَبٍ
إِنَّمَا الْفَخْرُ لِعَقْلِ ثَابِتٍ	وَحَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَأَدَبٍ

١. بحار الأنوار: ١٧٨/٧٤؛ اعلام الدين: ٣٣٣؛ كلمة الرسول الأعظم: ١٢٧.

[قَبْضُهُ إِلَى مَا نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾. (١)]
 ﴿٧﴾ عَذْلًا مِنْهُ تَقْدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَتَظَاهَرَتْ آلَاؤُهُ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢)]

جزاء الأعمال

انعم الله عز وجل على عباده نعماً لا يمكن احصاؤها، رأفة منه ورحمة وحناناً من لدنه سبحانه وتعالى؛ نعماً ظاهرة وباطنة من قبيل العقل والضمير والفرقة والروح والقلب والنبوة والامامة والولاية والسيادة والخلافة والهداية والعلم والدراية والجسم والروح والسماء والأرض والبحار والصحاري والجبال والمعادن و... وأمر عباده بالشكر وذلك بالتصرف بهذه النعم على نحو مشروع فاذا فعلوا ذلك بلغوا السعادة في الدنيا والآخرة.

ان الذين يطيعون ربهم في سلوكهم وفي أخلاقهم وفي معاشرتهم لهم العقبي يوم القيامة والسكنى في جنّات النعيم.

والذين يمضون حياتهم في المعاصي والذنوب فلهم سوء العاقبة يوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب طاهر سليم.

١. سورة النجم : ٣١.

٢. سورة الأنبياء : ٢٣.

نعم الحق

علينا نحن البشر وفي مضمار النعم الإلهية أن نتنبه إلى أربع قضايا مهمة:
 ١- كمال النعم؛ ٢- مقدار النعم؛ ٣- الاهتمام بالنعم؛ ٤- تبدل النعم.

كمال النعم

١- إن الله عز وجل وهب نعمه الوافرة على عباده وسخر لهم كل ما يحتاجون ووفر لهم كل ما يلزمهم في حياتهم.
 يقول القرآن المجيد في هذا المضمار:
 ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾^(١)

مقدار النعم

٢- لا يمكن للبشر احصاء ما أنعم الله عز وجل عليهم ولو اجتمعوا جميعاً على
 تعدادها ما أحصوها.
 هذه خلايا الجسم كم يبلغ عددها أننا لو كانت لدينا سرعة في العد ألف خلية
 في الثانية لزمنا من الوقت لاحتصائها ثلاثمائة ألف سنة!!
 ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ
 الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٢)

١. سورة لقمان: ٢٠.

٢. سورة إبراهيم: ٣٤.

الاهتمام بالنعم

٣- انّ على الانسان أن يتأمل في كلّ ما آتاه الله من النعم ويساءل نفسه عن مصدرها ولمن ولماذا، من أجل أن يعرف صاحب النعمة أو المنعم ويعرف النعمة وقدرها ويعرف كيف يتصرّف بها على النحو المشروع والصحيح، من أجل اقامة العدل في حياته الفرديّة والعائليّة والاجتماعيّة.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾. (١)

تبدّل النعم

٤- هناك من البشر أناس يبدّلون نعمة الله إلى كفر وينفقون سنوات العمر في ممارسة الرذيلة وهؤلاء لا يقدرّون نعم الله ويتصرّفون بها في ما لا يرضي عزّ وجلّ، ويجنون ثمار أعمالهم مرّة يوم القيامة، يقول القرآن الكريم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. (٢)

وقال تعالى في آية أخرى:

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. (٣)

ومن يتأمل في حياة الأنبياء والأوصياء والأئمّة الطاهرين والصالحين والمحبّين العارفين لراهم يتصرّفون بما أنعم الله عليهم بالحسنى وبما يرضي الله عزّ وجلّ.

فهذا نوح عليه السلام عاش أكثر من ألف سنة لكنّه لم يتصرّف بنعمة من نعم الله إلّا بما

١. سورة البقرة: ٤٠.

٢. سورة إبراهيم: ٢٨.

٣. سورة البقرة: ٢١١.

يرضى الله سبحانه .

وهذا سليمان النبي ﷺ الذي آتاه الله ملكاً فريداً وهذا يوسف النبي ﷺ الذي مكّن الله له في حكم مصر وكانت له كلمة الفصل في البلاد، أنهم لم يتصرفوا بالنعمة الإلهية إلا بما يرضى الله سبحانه وتعالى .

حكاية

رحم الله أستاذي الكبير العارف «الهي قمشئي» إذ قال: خلاصة كل دوايين الشعر أربعة: ديوان حافظ، ديوان سعدي، مشوي مولانا جلال الدين، ديوان بابا طاهر .

وخلاصة ديوان بابا طاهر في هذه الرباعية :

طوبى لمن كان الله نصيراً لهم

يذكرون الله بالحمد وبقل هو الله أحد

«طوبى لهم في صلاة ودعاء دائم

طوبى لهم ونعيم الله آتاهم»

أيام كنا في خراسان تلاميذ ندرس لدى أساتذة كبار وحكماء عرفاء وفقهاء اتقيا .

مرة كنت في حلقة الدرس فخطر في بالي الوطن والديار، فخفق بالحنين ولما تشرفت بزيارة ضريح الامام الرضا ﷺ سمعت هاتفاً يقول :

طوبى لمن كان الله ينصرهم

و «توكلت على الله» ذكرهم

فانتبهت وأقبلت على دراستي باهتمام، مستثمراً وقتي بالمطالعة وطلب العلم

متوكلاً على الله سبحانه وتعالى حامداً نعمه وآلائه .

هي حالان شدة ورخاء
وسجالان نعمة وبلاء
إن ألمت ملامة بي فأنني
في الملمات صخرة صماء
عالم بالبلاء علماً بأن
ليس يدوم النعيم والأواء

حقيقة الموت

الموت حقيقة رهيبة تلوي أعناق الجبابرة وتنحني عند ذكر الموت وحلوله رؤوس الطغاة ويذل لدى رؤية علاماته المتكبرون ، فاذا نظراتهم زائغة ولمحاتهم منكسرة وإذا عيونهم قد غادرها شرر الغرور وبريق الغطرسة أدلة منكسرين .
ومن منّا لا يرهب ذكر الموت؟! ومن منّا لا ترتعد فرائضه وهو يقف على حافة المجهول حيث تغمر الظلمة الأفق الذي يحاول أن يستكشفه .

يقول الامام زين العابدين في دعائه المعروف بـ «دعاء أبي حمزة الثمالي»^(١) :
فَقَدْ أَفْنَيْتُ بِالتَّسْوِيفِ وَالْأَمَالَ عُمْرِي، وَقَدْ نَزَلْتُ مَنْزِلَةَ الْإِسْـمِـيْنَ مِنْ خَيْرِي،
فَمَنْ يَكُونُ أَسْوَأَ حَالاً مِنِّي إِنْ أَنَا نَقَلْتُ عَلَى مِثْلِ حَالِي إِلَى قَبْرِي لَمْ أَمْهَدْهُ
لِرَفْدَتِي، وَلَمْ أَفْرُشْهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ لِضَجْعَتِي. وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَلَا أَدْرِي إِلَى
مَا يَكُونُ مَصِيرِي، وَأَرَى نَفْسِي تُخَادِعُنِي، وَأَيَّامِي تُخَاتِلُنِي، وَقَدْ حَفَقْتُ عِنْدَ

١ . أحد أصحاب الامام زين العابدين وهو راوي الدعاء .

رَأْسِي أَجْنَحَةُ الْمَوْتِ، فَمَا لِي لَا أَبْكِي؟ أَبْكِي لِخُرُوجِ نَفْسِي، أَبْكِي لِظُلْمَةِ
قَبْرِي، أَبْكِي لِضِيقِ لَحْدِي، أَبْكِي لِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِنِّي، أَبْكِي لِخُرُوجِي مِنْ
قَبْرِي عُرْيَانًا ذَلِيلًا...^(١)

أجل سينتهي مسير الانسان إلى حفرة مظلمة، كل أولئك الذين يتربعون على
عروش السلطة سوف ينحدون إلى الهاوية؛ سيلوي القدر سواعدهم ويحطم
الموت جماجمهم، الموت ذلك المصير الغامض الرهيب...
سوف يصبح القبر ميداناً تتصارع فيه الديدان وسوف يمتص التراب الجسد
البارد وينهشه الدود.

جماجم الملوك عارية من التيجان والحدود المتوردة بالدماء، هي الآن جزء
من ذرات التراب الذي يلف الجماجم النخرة والعظام المهشمة؛ هذا الانسان الذي
يملاً الدنيا ضجيجاً وصخباً سوف يلتقي مع الموت ذات يوم وتستحيل الحركة
والضجة إلى سكون رهيب وتستحيل حرارة الحياة إلى برودة تصل في العظام؛
إنها برودة الموت تسري في الأجساد الهامدة وينطفئ فيها بريق الحياة!

يا مؤثر الدنيا على دينه	والتائه الحيران عن قصده
أصبحت ترجو الخلد فيها وقد	ابرز ناب الموت عن حده
هيئات أن الموت ذو أسهم	من يرمه يوماً بها يرده

أجل سهام الموت سوف تصيب كل حي وعندما تصيبه تكون الاصابة قاتله
فترديه صريعاً؛ فاذا هو ساكن بعد حراك وساكت بعد ضجيج وعراك.

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً هذا السبيل إلى أن لا ترى أحداً

١. مفاتيح الجنان: دعاء ابو حمزه ثمالی.

للموت فينا سهام غير خاطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

موت الأخيار

تشير بعض الآيات القرآنية إلى نهاية مصير الناس الأخيار الطيبين بعد أن عاشوا تجربتهم ونجحوا في امتحان الحياة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٢).

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣).

موت الأشرار

وفي المقابل تشير الآيات القرآنية إلى نهاية الأشرار ومصيرهم بعد أن أخفقوا في الامتحان الالهي.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٤).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا

٢. سورة الفجر: ٢٧ - ٣٠.

١. سورة فصلت: ٣٠.

٤. سورة الفرقان: ٢٢.

٣. يونس: ٦٢ - ٦٤.

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٤).

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم قبل القبور قبور
وإن امرء لم يحيى بالعلم ميّت وليس له حتّى النشور نشور

الموت في ضوء الروايات

وجاء في الروايات حول مسألة الموت روايات كثيرة هذه طائفة منها:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمَوْتُ الْمَوْتُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ بِالرُّوحِ وَالرَّاحَةِ وَالْكَرَةِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لِأَهْلِ دَارِ الْخُلُودِ، الَّذِينَ كَانَ لَهَا سَعْيُهُمْ، وَفِيهَا رَغَبَتُهُمْ^(٥).

وجاء رجل من الأنصار إلى النبي الأكرم ﷺ وقال له:

١. سورة النساء: ٩٧.

٢. سورة الأنعام: ٩٣.

٣. سورة النحل: ٢٨.

٤. سورة محمد: ٢٧ - ٢٨.

٥. بحار الأنوار: ١٢٦/٦؛ بحار الأنوار: ٢٦٦/٦٨.

- ما لي لا أحبّ الموت؟!

فقال ﷺ:

- ألك مال؟

قال: نعم يا رسول الله!

قال ﷺ:

- قدّم مالك فان قلب الرجل مع ماله؛ إن قدّمه أحب أن يلحقه، وإن خلفه أحب أن يتخلف معه». (١)

عَنِ الصَّادِقِ (ع)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ (ع) قَالَ: سَأَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع): بِمَاذَا

أَحْبَبْتُ لِقَاءَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ اخْتَارَ لِي دِينَ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ

عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِهَذَا لَيْسَ يَنْسَانِي، فَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ. (٢)

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ولو تمتعت بالحجاب والحرس

واعلم بأنّ سهام الموت نافذة في كلّ مدرّع منها ومترس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس

يقول النبي الأكرم ﷺ:

شَيْنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ،

وَيَكْرَهُ قَلَّةَ الْمَالِ، وَقَلَّةُ الْمَالِ أَقْلُ لِلْحِسَابِ. (٣)

وقال رجل للامام الصادق (ع):

١. روضة الواعظين: ٢/ ٤٣٠؛ مشكاة الأنوار: ٣٠٤؛ كنز العمال: ٥٥١/ ١٥.

٢. بحار الأنوار: ١٢٧/ ٦؛ الخصال: ٣٣/ ١؛ التوحيد: ٢٨٨.

٣. بحار الأنوار: ١٢٨/ ٦؛ الخصال: ٧٤/ ١.

شَيْءٌ يُرَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهَا النَّاسُ وَأَنَا أَحِبُّهَا أَحَبُّ الْمَوْتِ وَأَحَبُّ الْفَقْرِ وَأَحَبُّ الْبَلَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَيَسَّ عَلَى مَا تَرَوُونَ إِنَّمَا عَنِ الْمَوْتِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالْفَقْرُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالْبَلَاءُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ. (١)

سُئِلَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام: مَا الْمَوْتُ الَّذِي جَهَلُوهُ؟ فَقَالَ: أَعْظَمُ سُرُورٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ تُقْلَوْنَ عَنْ دَارِ النِّكَدِ إِلَى النِّعَمِ الْأَبَدِ؛ وَأَعْظَمُ تُبُورٍ يَرُدُّ عَلَى الْكَافِرِينَ، إِذْ تُقْلَوْنَ عَنْ جَنَّتِهِمْ إِلَى نَارٍ لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْقُذُ. (٢)

قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: مَا الْمَوْتُ؟ قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ كَنْزٌ ثِيَابٍ وَسِخَةٌ قَمَلَةٍ وَفَكَ قُبُودٍ وَأَعْلَالٍ ثَقِيلَةٍ وَالْإِسْتِئْذَالِ بِأَفْخَرِ الثِّيَابِ وَأَطْيَبِهَا رَوَائِحَ وَأَوْطَأِ الْمَرَاعِبِ وَآنَسِ الْمَنَازِلِ، وَلِلْكَافِرِ كَخْلَعٍ ثِيَابٍ فَآخِرَةٌ وَالنَّقْلِ عَنْ مَنَازِلِ أُنَيْسَةٍ وَالْإِسْتِئْذَالِ بِأَوْسَخِ الثِّيَابِ وَأَخْشَنَهَا وَأَوْحَشِ الْمَنَازِلِ وَأَعْظَمِ الْعَذَابِ. (٣)

وروى الامام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عن الامام موسى بن جعفر قال :

دَخَلَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام عَلَى رَجُلٍ قَدْ غَرِقَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَهُوَ لَا يُجِيبُ دَاعِيًا فَقَالُوا لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَدَنَا لَوْ عَرَفْنَا كَيْفَ الْمَوْتُ وَكَيْفَ حَالُ صَاحِبِنَا فَقَالَ الْمَوْتُ هُوَ الْمِصْفَاةُ تُصَفِّي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ فَيَكُونُ آخِرُ

١. بحار الأنوار: ١٢٩/٦.

٢. بحار الأنوار: ١٥٤/٦؛ معاني الأخبار: ٢٨٨؛ المحجة البيضاء: ٢٥٤/٨.

٣. بحار الأنوار: ١٥٥/٦.

أَلَمْ يُصِيبْهُمْ كَفَّارَةٌ آخِرٍ وَزُرٍ بَقِيَ عَلَيْهِمْ وَتُصَفَّى الْكَافِرِينَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ
فَيَكُونُ آخِرُ لَذَّةٍ أَوْ رَاحَةٍ تَلْحَقُهُمْ هُوَ آخِرُ ثَوَابٍ حَسَنَةٍ تَكُونُ لَهُمْ وَأَمَّا
صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ نَحَلَ مِنَ الذُّنُوبِ نَحْلًا وَصَفَّى مِنَ الْإِثْمِ تَصْفِيَةً وَخُلِّصَ
حَتَّى نَقَّى كَمَا يُنَقَّى الثُّوبُ مِنَ الْوَسَخِ وَصَلَحَ لِمُعَاشَرَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي دَارِنَا
دَارِ الْأَبَدِ. (١)

وجاء في الروايات عن محمد بن علي الجواد عليه السلام قال:

مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الرِّضَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: لَقِيتُ الْمَوْتَ
بَعْدَكَ يُرِيدُ مَا لَقِيَهُ مِنْ شِدَّةٍ مَرَضِهِ، فَقَالَ: كَيْفَ لَقِيتَهُ؟ قَالَ: أَلِيمًا شَدِيدًا، فَقَالَ:
مَا لَقِيتَهُ إِلَّا لَقِيتُ مَا يُنْذِرُكَ بِهِ وَيَعْرِفُكَ بَعْضُ حَالِهِ إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ
مُسْتَرِيحٌ بِالْمَوْتِ وَمُسْتَرَاخٌ بِهِ مِنْهُ فَجَدَّدَ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَبِالْوَلَايَةِ تَكُنْ
مُسْتَرِيحًا فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ. (٢)

وجاء أيضاً:

أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقِيَ مَلَكًا فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ
تُرِينِي الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبِضُ فِيهَا رُوحَ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: نَعَمْ أَعْرِضْ عَنِّي فَأَعْرِضْ عَنْهُ فَإِذَا
هُوَ شَابٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ حَسَنُ الثِّيَابِ حَسَنُ الشَّمَائِلِ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، فَقَالَ: يَا مَلَكُ الْمَوْتِ
لَوْ لَمْ يَلْقَ الْمُؤْمِنُ إِلَّا حَسَنَ صُورَتِكَ لَكَانَ حَسْبَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِينِي
الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبِضُ فِيهَا رُوحَ الْفَاجِرِ فَقَالَ لَا تُطِيقُ، فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: فَأَعْرِضْ عَنِّي
فَأَعْرِضْ عَنْهُ ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ أَسْوَدُ قَائِمُ الشَّعْرِ مُنْتِنُ الرَّائِحَةِ أَسْوَدُ الثِّيَابِ
يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمِنْ مَنَاخِرِهِ النَّيْرَانُ وَالْدُخَانُ فَعُشِّي عَلَى إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ أَفَاقَ وَقَدْ عَادَ مَلَكُ

١. بحار الأنوار: ٦/ ٢٩٣.

٢. بحار الأنوار: ٦/ ١٥٦.

الْمَوْتِ إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى فَقَالَ: يَا مَلِكَ الْمَوْتِ لَوْ لَمْ يَلْقَ الْفَاجِرُ إِلَّا صُورَتَكَ هَذِهِ لَكَفَنَتْهُ. ^(١)

منازل القبر والروح

بعد قبض الروح الذي هو المنزل الأول والموت يأتي المنزل الثاني وهو القبر، والقبر في الحقيقة هو عالم البرزخ كما تدلّ على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث والروايات، ويكون عالم البرزخ للانسان انعكاساً لعقائده وأعماله وأخلاقه.

فعالم البرزخ للانسان المؤمن روح وريحان وسعادة وبهجة، يجالس الأرواح الطيبة متنعمًا بالنعيم الالهية، أمّا الكافر ففي ألم وعذاب ومشقة يعيش مع الأرواح الخبيثة والشريرة وهكذا يكون البرزخ على الأشرار.

البرزخ في القرآن الكريم

قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. ^(٢)

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. ^(٣)

أمّا البرزخ للمؤمنين فهو عالم مليء بالمسرات والسعادة.

١. بحار الأنوار: ٧٤/١٢.

٢. سورة المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

٣. سورة غافر: ٤٦.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. (١)

أرواح الشهداء

جاء في تفسير نور الثقلين وهو في طليعة تفاسير الشيعة عن الامام الباقر عليه السلام ان الآية نزلت في شهداء بدر وقيل في شهداء أحد. وان قوله تعالى:

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾. (٢)

نزلت في حبيب النجار المعروف بـ «مؤمن آل ياسين». (٣)

القبر دار الغربه

قال الامام الصادق عليه السلام:

إِنَّ لِلْقَبْرِ كَلَامًا فِي كُلِّ يَوْمٍ يَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ، أَنَا بَيْتُ الْوَحْشَةِ، أَنَا بَيْتُ الدُّوْدِ، أَنَا الْقَبْرُ، أَنَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ. (٤)

انّ عالم البرزخ حقيقة لا يمكن انكارها ومآل الناس ومصيرهم أن يمرّوا بهذا العالم، فهو إمّا نعيم يتنعم به المؤمنون أو جحيم يتعذب به الكافرون والظالمون. هذا العالم الذي يمتدّ من القبر إلى يوم القيامة، حيث يصبح القبر إمّا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران!!

١. سورة آل عمران: ١٦٩. ٢. سورة يس: ٢٦ - ٢٧.

٣. نور الثقلين: ٤ / ٣٨٣ - ٣٨٤، ذيل آية ٢٦ من سورة يس.

٤. بحار الأنوار: ٦ / ٢٦٧؛ الكافي: ٣ / ٢٤٢.

مكاشفة

يروى الشهيد مرتضى المطهري في كتابه القيم «العدل الالهي» عن أستاذه المرحوم الحاج ميرزا علي آقا الشيرازي الذي كان من كبار الفقهاء في عصره قال: ذات يوم في درس «نهج البلاغة» في اصفهان قال والدموع تجري على خدّه: في الليلة الفائتة رأيت في عالم المكاشفة نفسي في البرزخ وأنّ كلباً أسود دخل القبر معي فكنت أصرخ بالناس ولا يسمعونني أحد؛ فلما أهيل التراب وذهب الجميع شعرت بالخوف والوحشة، فجأة سطع نور أضاء ظلمة القبر ففرحت أشدّ الفرح ورأيت الكلب الأسود ولّى هارباً؛ فسألت من ذلك النور من أنت؟ فقد بددت وحشتي وبيركتك فرّ الكلب عني؟

قال: أنا الحسين بن علي فاطمئن إلى يوم القيامة، وذلك الكلب بعض أخلاقك وأعمالك السيئة لم تسلط عليك. (١)

وجاء في الحديث الشريف عن النبي الأكرم ﷺ:

إِذَا حَمَلَ الْمَيِّتَ عَلَى نَعْشِهِ رَفَرَفَ رُوحُهُ فَوْقَ النَعْشِ وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَهْلِي وَيَا وَلَدِي لَا تَلْعَبَنَّ بِكُمْ الدُّنْيَا كَمَا لَعِبْتُ بِي، فَجَمَعْتُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ وَغَيْرِ حِلِّهِ ثُمَّ خَلَقْتُهُ لِيُغَيِّرِي، فَأَلَمَهُنَّ لَهُ وَالتَّبِعَةُ عَلَيَّ، فَاحْذَرُوا مِثْلَ مَا حَلَّ بِي. (٢)

وروى الأصبغ بن نباتة أنّه قال: كنت مع سلمان الفارسي رحمه الله وهو أمير المدائن في زمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك أنه قد ولاه المدائن عمر بن الخطاب فقام إلى أن ولي الأمر علي بن أبي طالب عليه السلام. قال الأصبغ: فأتيته يوماً وقد مرض مرضه الذي مات فيه.

١. العدل الالهي: ٢٥١.

٢. بحار الأنوار: ٦/١٦١؛ جامع الأخبار: ١٧٠.

قال: فلم أزل أعوده في مرضه حتى اشتد به الأمر وأيقن بالموت.
 قال: فالتفت إلي وقال لي يا أصبغ عهدي برسول الله ﷺ يقول يا سلمان
 سيكلمك ميت إذا دنت وفاتك وقد اشتهيت أن أدري وفاتي دنت أم لا.
 فقال الأصبغ: بما ذا تأمر يا سلمان يا أخي؟

قال له: تخرج وتأتيني بسرير وتفرش عليه ما يفرش للموتى ثم تحملني بين
 أربعة فتأتون بي إلى المقبرة فقال الأصبغ حبا وكرامة فخرجت مسرعا وغبت
 ساعة وأتيته بسرير وفرشت عليه ما يفرش للموتى ثم أتيت به بقوم حملوه حتى أتوا
 به إلى المقبرة فلما وضعوه فيها.

قال لهم: يا قوم استقبلوا بوجهي القبلة فلما استقبل القبلة بوجهه نادى بعلو
 صوته: السلام عليكم يا أهل عرصة البلاء السلام عليكم يا محتجبين عن الدنيا
 قال فلم يجبه أحد فنادى ثانية: السلام عليكم يا من جعلت المنيا لهم غداء
 السلام عليكم يا من جعلت الأرض عليكم غطاء السلام عليكم يا من لقوا أعمالهم
 في دار الدنيا السلام عليكم يا منتظرين النفخة الأولى سألتكم بالله العظيم والنبى
 الكريم إلا أجابني منكم مجيب فأنا سلمان الفارسي مولى رسول الله ﷺ فإنه قال
 لي: يا سلمان! إذا دنت وفاتك سيكلمك ميت وقد اشتهيت أن أدري دنت وفاتي أم
 لا فلما سكت سلمان من كلامه فإذا هو بميت قد نطق من قبره وهو يقول السلام
 عليك ورحمة الله وبركاته يا أهل البناء والفناء المشتغلون بعرصة الدنيا هانحن
 لكلامك مستمعون ولجوابك مسرعون فسل عما بدا لك يرحمك الله تعالى.

قال سلمان: أيها الناطق بعد الموت، المتكلم بعد حسرة الفوت، أمن أهل الجنة
 أم من أهل النار؟

فقال : يا سلمان أنا ممّن أنعم الله تعالى عليه بعفوه وكرمه وأدخله جنته برحمته .
فقال له سلمان الآن يا عبدالله صف لي الموت كيف وجدته وما ذالقيت منه وما
رأيت وما عاينت ؟

قال : مهلا يا سلمان ، فوالله إن قرضا بالمقاريض ونشرا بالمناشير لأهون علي
من غصة الموت ، اعلم أنني كنت في دار الدنيا ممن ألهمني الله تعالى الخير وكنت
أعمل به وأؤدي فرائضه وأتلو كتابه وأحرص في بر الوالدين وأجتنب المحارم
وأفرع عن المظالم وأكد الليل والنهار في طلب الحلال خوفا من وقفة السؤال فبينما
أنا في ألد عيش وغبطة وفرح وسرور إذ مرضت وبقيت في مرضي أياما حتى
انقضت من الدنيا مدتي فأتاني عند ذلك شخص عظيم الخلقة فطبع المنظر فوقف
مقابل وجهي لا إلى السماء صاعدا ولا إلى الأرض نازلا فأشار إلى بصري فأعماه
وإلى سمعي فأصمه وإلى لساني فعقره فصرت لا أبصر ولا أسمع فعند ذلك بكوا
أهلي وأعواني وظهر خبري إلى إخواني وجيرانني فقلت له عند ذلك : من أنت يا
هذا الذي أشغلتنني عن مالي وأهلي وولدي ؟ فقال : أنا ملك الموت أتيتك لأثقلك
من دار الدنيا إلى الآخرة فقد انقضت مدتك وجاءت منيتك فبينما هو كذلك
يخاطبني إذ أتاني شخصان وهما أحسن خلق رأيت فجلس أحدهما عن يميني
والآخر عن شمالي فقالا لي السلام عليك ورحمة الله وبركاته قد جئناك بكتابك
فخذ الآن وانظر ما فيه ، فقلت لهم : أي كتاب لي أقرؤه ؟ قالوا : نحن الملكان اللذان
كنا معك في دار الدنيا نكتب ما لك وما عليك فهذا كتاب عملك .

فنظرت في كتاب الحسنات وهو بيد الرقيب فسرني ما فيه وما رأيت من الخير
فضحكت عند ذلك وفرحت فرحاً شديداً ونظرت إلى كتاب السيئات وهو بيد

العتيد فساءني ما رأيت وأبكاني فقالا لي: أبشر فلك الخير.

ثم دنا مني الشخص الأول فجذب الروح فليس من جذبة يجذبها إلا وهي تقوم مقام كل شدة من السماء إلى الأرض فلم يزل كذلك حتى صارت الروح في صدري ثم أشار إلي بحربة لو أنها وضعت على الجبال لذابت فقبض روحي من عرينين أنفي فعلا عند ذلك الصراخ وليس من شيء يقال أو يفعل إلا وأنا به عالم فلما اشتد صراخ القوم وبكاؤهم جزعا علي فالتفت إليهم ملك الموت بغیظ وحنق وقال معاشر القوم مم بكاؤكم؟ فوالله ما ظلمناه فتشكوا ولا اعتدينا عليه فتصيحوا وتبكوا ولكن نحن وأنتم عند رب واحد ولو أمرتم فينا كما أمرنا فيكم لا متثلتم فينا كما امتثلنا فيكم والله ما أخذناه حتى فني رزقه وانقطعت مدته وصار إلى رب كريم يحكم فيه ما يشاء وهو على كل شيء قدير فإن صبرتم أجرتكم وإن جزعتم أثمتكم كم لي من رجعة إليكم أخذ البنين والبنات والآباء والأمهات.

ثم انصرف عند ذلك عني والروح معه فعند ذلك أتاه ملك آخر فأخذها منه وتركها في ثوب من حرير وصعد بها ووضعها بين يدي الله في أقل من طبقة جفن فلما حصلت الروح بين يدي ربي سبحانه وتعالى وسألها عن الصغيرة والكبيرة وعن الصلاة والصيام في شهر رمضان وحج بيت الله الحرام وقراءة القرآن والزكاة والصدقات وسائر الأوقات والأيام وطاعة الوالدين وعن قتل النفس بغير الحق وأكل مال اليتيم وعن مظالم العباد وعن التهجد بالليل والناس نيام وما يشاكل ذلك.

ثم من بعد ذلك ردت الروح إلى الأرض بإذن الله تعالى فعند ذلك أتاني غاسل فجردني من أثوابي وأخذ في تغسيل فنادته الروح يا عبد الله رفقا بالبدن الضعيف

فوالله ما خرجت من عرق إلا انقطع ولا عضو إلا انصدع فوالله لو سمع الغاسل ذلك القول لما غسل ميتاً أبداً.

ثم إنه أجرى علي الماء وغسلني ثلاثة أغسال وكفني في ثلاثة أثواب وحنطني في حنوط وهو الزاد الذي خرجت به إلى دار الآخرة.

ثم جذب الخاتم من يدي اليمنى بعد فراغه من الغسل ودفعه إلى الأكبر من ولدي وقال آجرك الله في أبيك وحسن لك الأجر والعزاء.

ثم أدرجني في الكفن ولقنني ونادى أهلي وجيراني وقال هلموا إليه بالوداع. فأقبلوا عند ذلك لوداعي فلما فرغوا من وداعي حملت على سرير من خشب والروح عند ذلك بين وجهي وكفني حتى وضعت للصلاة فصلوا علي فلما فرغوا من الصلاة وحملت إلى قبري ودليت فيه فعانيت هولاً عظيماً.

يا سلمان يا عبد الله اعلم أنني قد سقطت من السماء إلى الأرض في لحدي وشرح علي اللبن وحثا التراب علي فعند ذلك سلبت الروح من اللسان وانقلب السمع والبصر فلما نادى المنادي بالانصراف أخذت في الندم فقلت يا ليتني كنت من الراجعين فجأوبني مجيب من جانب القبر ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فقلت له: من أنت يا هذا الذي تكلمني وتحدثني؟ فقال: أنا منبه قال أنا ملك وكلفني الله عز وجل بجميع خلقه لأنبئهم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدي الله عز وجل ثم إنه جذبني وأجلسني وقال لي اكتب عملك، فقلت: إني لا أحصيه، فقال لي: أما سمعت قول ربك ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

ثم قال لي: اكتب، وأنا أملئ عليك، فقلت: أين البياض؟ فجذب جانبا من

كفني فإذا هو رق، فقال: هذه صحيفتك، فقلت: من أين القلم؟ قال: سبابتك، فقلت: من أين المداد؟ قال: ريقك.

ثم أملى علي ما فعلته في دار الدنيا فلم يبق من أعمالي صغيرة ولا كبيرة إلا أملاها كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

ثم إنه أخذ الكتاب وختمه بخاتم وطوقه في عنقي فخيل لي أن جبال الدنيا جميعا قد طوقوها في عنقي فقلت له: يا منبه ولم تفعل بي كذا قال ألم تسمع قول ربك ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ فهذا تخاطب به يوم القيامة ويؤتى بك وكتابك بين عينيك منشورا تشهد فيه على نفسك.

ثم انصرف عني فأتاني منكر بأعظم منظر وأوحش شخص وبيده عمود من الحديد لو اجتمعت عليه الثقلان ما حركوه، ثم إنه صاح بي صيحة لو سمعها أهل الأرض لماتوا جميعا، ثم قال لي: يا عبدالله أخبرني من ربك، وما دينك، ومن نبيك، وما عليه أنت، وما قولك في دار الدنيا؟

فاعتقل لساني من فزعه وتحيرت في أمري وما أدري ما أقول وليس في جسمي عضو إلا فارقني من الخوف فأتتني رحمة من ربي فأمسك قلبي وأطلق بها لساني فقلت له: يا عبدالله لما تفزعني وأنا أعلم أنني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، والكعبة قبلتي، وعلي إمامي، والمؤمنون إخواني، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فهذا قلبي واعتقادي وعليه ألقى ربي في

معادي فعند ذلك .

قال لي : الآن أبشر يا عبدالله بالسلامة ، فقد نجوت ومضى عني وأتاني نكير وصاح صيحة هائلة أعظم من الصيحة الأولى فاشتبك أعضائي بعضها في بعض كاشتباك الأصابع ، ثم قال لي : هات الآن عملك يا عبدالله .

فبقيت حائراً متفكراً في رد الجواب فعند ذلك صرف الله عني شدة الروع والفرع وألهمني حجتي وحسن اليقين والتوفيق ، فقلت عند ذلك : يا عبدالله رفقا بي فإني قد خرجت من الدنيا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، والصراط حق ، والميزان حق ، والحساب حق ، ومساءلة منكر ونكير حق ، والبعث حق ، وأن الجنة وما وعد الله فيها من النعيم حق ، وأن النار وما أوعده الله فيها من العذاب حق ، ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ .

ثم قال لي : يا عبدالله أبشر بالنعيم الدائم ، والخير المقيم ، ثم إنه أضجعني وقال :
نم نومة العروس .

ثم إنه فتح لي باباً من عند رأسي إلى الجنة وباباً من عند رجلي إلى النار ثم قال لي : يا عبدالله انظر إلى ما صرت إليه من الجنة والنعيم وإلى ما نجوت منه من نار الجحيم .

ثم سد الباب الذي من عند رجلي وأبقى الباب الذي من عند رأسي مفتوحاً إلى الجنة فجعل يدخل علي من روح الجنة ونعيمها وأوسع لحدي مد البصر ومضى عني .

فهذا صفتي وحديثي وما لقيته من شدة الأهوال وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ،

وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأشهد أن الموت حق على طرف لساني، فراقب الله أيها السائل خوفا من وقفة السائل.

قال: ثم انقطع عند ذلك كلامه قال سلمان رضي الله عنه عند ذلك: حطوني رحمكم الله فحطينا به إلى الأرض فقال: أسندوني فأسندناه، ثم رمق بطرفه إلى السماء وقال:

يا من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون وهو يجير ولا يجار عليه بك آمنت ولنبيك اتبعت وبكتابك صدقت وقد أتاني ما وعدتني.

يا من لا يخلف الميعاد أقبضني إلى رحمتك وأنزلني دار كرامتك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
فلما كمل شهادته قضى نحبه ولقي ربه رضي الله تعالى عنه.^(١)

قصة عن عالم البرزخ

قبل سنين وفي إحدى مدن إيران كان يعيش رجل صالح مؤمن وكان ولده البكر كأييه في صلاحه وتقواه، كانا يعيشان الكفاف في بيت بسيط، قانعين بما رزقهما الله تعالى فكانا يقتصدان ما أمكنهما ويتعففان عن سؤال الناس.
وقد بلغ من اقتصادهما أنهما لم يستخدموا شبكة أنابيب المياه إلا للشرب، أما سقي الأشجار وغسل الثياب فقد حفرا بئراً وصنعا حوضاً.

فكانا يتناوبان العمل في الاستقاء من البئر، وكان فوق البئر سقف صنعه من الطين والتبن وكان الوالد يقوم بالبناء والولد يحمل له الطين، وبعد الفراغ منه انتبه

فرأى أصبعه عارية عن الخاتم فبحث في كل مكان فلم يجده وبعد سنوات توفي الأب، فطاف على ابنه في المنام وقال له: انّ فلاناً في السوق له علي دين خمسمئة تومان فانتبه الابن ولم يحفل لما رأى في عالم المنام ظاناً أنه أضغاث أحلام.

فطاف عليه مرّة أخرى ولامه قائلاً: ألم أقل لك انّ فلاناً له عليّ دين؟ فقال له ابنه: أريد علامة على ذلك، فقال الأب: أتذكر ضياع الخاتم فإني قد فقدته في طين السقف، فان أردت علامة فهذه علامة.

وفي اليوم التالي قام الابن فنقض السقف وفتته فوجد الخاتم، فانطلق إلى السوق وسأل عن الرجل والتقاء فسأله: ألك دين علي والدي؟ قال: نعم، فقال الابن: فما منعك عن المطالبة به؟ قال: ما عندي عنه سند ولا امضاء! وخفت إن طالبت به فتكذّبتني!

وكان الابن قد أحضر المبلغ فسلمه إليه.^(١)

من ذكريات المؤلّف

وأذكر أنّه في عام ١٣٤٥ هـ. ش (١٩٦٨ م) وكانت ليلة أربعاء كنت عائداً من مسجد جمكران (٦ كم شرق قم) مع أحد الأصدقاء، وصلت المدينة (قم) في منتصف الليل وكانت غارقة في الليل وبدت مقفرة من العابرين تماماً، فجأة ظهرت سيّارة «تاكسي» فسألنا عن المكان الذي نقصده قلنا «مقبرة وادي السلام» فصعدنا.

١. باختصار عن كتاب «المعاد»: ١/ ٣٢٣، الشيخ محمّد تقي الفلسفي.

قال السائق أنه له علاقة صداقة مع الحارس، فطرق الباب على الحارس ففتح الباب، وذهب كلٌّ منّا إلى قبر خال، ليفكّر في أحواله؛ وفي الأثناء مرّ رجل يرتدي عباءة، عرفه السائق ونادى عليه قائلاً: أنت من رجال الله وطالما رأيته في هذا المكان وأحياناً تقوم بالحراسة أو أراك عند قبور الموتى تقرأ القرآن فحدّثنا عن هذا المكان لنعتبر.

أجاب الرجل: نعم رأيت أشياء كثيرة في هذا «الوادي».

ذات يوم جاءوا بجنازة من مدينة همدان (غرب إيران) وعرفت من خلال الأشخاص الذين شيّعوه أنه رجل مؤمن صالح، أولاده تحدّثوا معي وعرضوا عليّ أن أقرأ عند قبره في ليالي الجمعة بعض سور القرآن الكريم إلى أجل معيّن ونحن نرسل إليك حقوقك في رأس كلّ شهر.

وتمّ الاتفاق، فكنت آتي في ليالي الجمعة وأقرأ القرآن عند قبر المرحوم، وذات يوم من أيام الخميس انشغلت في عمل داخل البيت فلم أحضر ليلة الجمعة فغدوت إلى القبر يوم الجمعة، وبعد أسبوع جاء أحد أولاده وقال لي: انهم رأوا والده ليلة الجمعة وعاتبته على خلو مائدته! فاعتذرت إليه وشرحت له ما حصل لي ليلة الجمعة!

كرامة للمحدّث القميّ

المرحوم الحاج الشيخ عبّاس القميّ المحدّث والعالم الكبير له خمسون مؤلفاً قيماً (صاحب مفاتيح الجنان) كان من العباد والزهاد ومن أولياء الله وفي حياته الكثير من الكرامات والعبر.

حدّثني نجله وكان جاراً لي مدّة عشر سنوات، قال «الحاج ميرزا علي آقا

المحدث: «عاش والدي في مدينة النجف الأشرف وكان من هكماً في التأليف ومستغرقاً في العبادة حتى لزم فراش المرض وعجز الأطباء عن معرفة علته وذات يوم كائناً من الألم فقال لوالدتي: آتيني بماء (في إبريق الشاي) وكوب فأحضرت له ما أراد ثم قال: اسنديني، فتساند فأمسك بإبريق الشاي وقال: لقد مضى خمسون سنة وأنا أكتب الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة قال الله، قال الصادق عليه السلام: قال الباقر عليه السلام، فإذا لم يكن لهذه الأنامل من شأن معنوي؟ فهي تستحق القطع!

ثم أخذ يصب على أنامله في الاناء وبعدها شرب الماء فما مرت إلا ساعات معدودة حتى نهض من فراش المرض.

وأخبرني أيضاً أن والده المرحوم المحدث القمي أصيب بألم في عينه وعجز أطباء العراق عن علاجه فقال للوالدة: آتيني بكتاب الكافي فجاءت له بـ «أصول الكافي» فقال: هذا الكتاب مصدر الحقائق الإلهية وهو يموج بالحكمة والنور وفيه الشفاء من كل داء ومؤلفه المرحوم الشيخ الكليني وهو من أكبر الرواة الثقة ولا يمكن أن يكون هذا الكتاب دون أثر ثم مسح على عينيه بالكتاب مرتين فسكن الألم وزال الوجع.

وروى لي أيضاً قال: إن أبي أوصاني بالوعظ والارشاد فأصبحت مبلّغاً، وذات يوم كنت على المنبر ورويت حديثاً كان محور كلامي؛ فإذا بأحد العلماء ينهض (الحاج الشيخ مهدي پاين شهري) ويقول: يا ميرزا علي المحدث! من أين جئت بهذا الحديث؟ قلت: لا أعرف مصدره الآن لكنني قرأته في أحد كتب الحديث! فقال: لا ترو مثل هذا الحديث حتى تتأكد من مصدره!

فشعرت بالمرارة وواصلت المجلس ببرود.

عدت المنزل وما أزال أشعر بالخيبة وفكرت أن أعرض عن التبليغ فلما أويت إلى فراش النوم رأيت أبي في عالم الرؤيا يتبسّم قائلاً: لا تترك التبليغ يا بني لأنّ التبليغ عمل الأنبياء، أمّا الحديث فانك تجده في الكتاب الفلاني في الصفحة كذا، فأعد روايته وأخبر الشيخ بمصدره!

وروى لي أيضاً قال:

انّ والدي كان إلى جانب قبر أمير المؤمنين ومولى الموحّدين وإمام العارفين لما توفي وغادر الدنيا فحضر التشييع جمع غفير من الناس ودفن إلى جانب أستاذه الحاج ميرزا حسين النوري، وظلّ الناس يتوافدون على المنزل لقراءة الفاتحة حتّى منتصف الليل، ولما أويت للفراش ونمت، رأيت والدي في عالم الرؤيا وكان وجهه مشرقاً بالفرحة ويفيض بالسعادة فسألته عن حاله؟ فقال: لقد تشرفت بزيارة ولقاء سيّد الشهداء ثلاث مرّات منذ دخولي عالم البرزخ.

السيد جمال الدين الكلپايگاني في عالم البرزخ

روى هذا السيّد المبارك قال: كنت في مقبرة وادي السلام (في النجف الأشرف) لقراءة الفاتحة وكان الجو لاهباً فلجأت إلى ظلّ سقيفة فوق أحد القبور ووضعت العمامة جانباً والعباءة أيضاً فرأيت جمعاً من الموتى يرتدون ثياباً ممزقة قصدوني يطلبون منّي أن أشفع لهم وأقسموا عليّ فصحت في وجوههم قائلاً: لماذا لمّا كنتم في الحياة لم تصغوا إلى المواعظ وكنتم سادرين في ضلالكم مستكبرين؟!

قال كان هؤلاء الموتى شيوخاً عرباً عاشوا دنياهم طغاة متغترسين وقبورهم

قرب القبر الذي جلست في ظل سقيفته .

قال النبي الأكرم ﷺ في حديث له عن أحوال عالم ما بعد الموت :

إِذَا أُقْبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا مُنْكَرٌ وَلِلْآخَرِ نَكِيرٌ يَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَيَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُمْسَحُ فِي قَبْرِهِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ذِرَاعًا ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرْهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنُومَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ: مِثْلُهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ ائْتِنِي عَلَيْهِ فَتَلْتَنِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهِ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. ^(١)

نفخة الصور أو مقدمات القيامة

عندما تنتهي مدة عالم البرزخ تبدأ مقدمات يوم القيامة حيث يحشر المحسنون والمسيئون ليوم الحساب فيثاب الأخيار ويعاقب الأشرار وتكون البداية مع نفخة الصور .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ^(٢)
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ * فَمَنْ

١ . بحار الأنوار : ٢٧٦/٦ ؛ المحجة البيضاء : ٣٠٩/٨ .

٢ . سورة الزمر : ٦٨ .

ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ^(١).
 ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ^(٢).
 ﴿إِذَا نَفَخَ النَّاقُورَ * فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ^(٣).

وعندما ينفخ في الصور ينبعث الموتى من قبورهم أحياء يحشرون للحساب عند ربّ الأرباب؛ فيجزى الذين أحسنوا بالحسنى ويحلّ بالذين أساءوا العقاب. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْصِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ^(٤).

أسماء القيامة

القيامة يوم رهيب؛ يوم يجمع فيه الأولون والآخرون؛ يوم يحشر فيه الناس أجمعين منذ فجر الانسانية وإلى نهاية التاريخ البشري فوق هذا الكوكب، يوم الجزاء، يوم الحساب، يوم الثواب والعقاب، فمن يعمل مثقال ذرة من الخير سيرى عمله ومن يعمل مثقال ذرة من الشر سيراه هناك؛ في ذلك اليوم يسلك الناس أحد طريقين طريق يؤدي إلى الجنة وطريق يؤدي إلى الجحيم. أورد المرحوم الفيض الكاشاني في كتابه المحجة البيضاء عدداً من أسماء يوم القيامة فمن تأمل فيها أدرك معانيها وعرف أسرارها واعتبر بها:

يوم القيامة، يوم الحسرة، يوم الندامة، يوم المحاسبة، يوم المسألة، يوم المسابقة،

١. سورة المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣.

٢. سورة يس: ٥١ - ٥٢.

٤. سورة مريم: ٦٨.

٣. سورة المدثر: ٨ - ١٠.

يوم المُناقشة، يوم المُنافسة، يوم الزلزلة، يوم الدّممة، يوم الصّاعقة، يوم الواقعة،
يوم القارعة، يوم الرّاجفة، يوم الرّادفة، يوم الغاشية، يوم الدّاهية، يوم الأزفة، يوم
الحاقة، يوم الطّامة، يوم الصّاخة، يوم الطّلاق، يوم الفراق، يوم المساق، يوم القصاص،
يوم التّناد، يوم الحساب، يوم المآب، يوم العذاب، يوم الفرار، يوم القرار، يوم اللّقاء،
يوم البقاء، يوم القضاء، يوم الجزاء، يوم البلاء، يوم البكاء، يوم الحشر، يوم الوعيد،
يوم العرض، يوم الوزن، يوم الحقّ، يوم الحكم، يوم الفصل، يوم الجمع، يوم البعث،
يوم الفتح، يوم الخزى، يوم عظيم، يوم عقيم، يوم عسير، يوم الدين، يوم اليقين، يوم
النشور، يوم المصير، يوم النفخة، يوم الصّيحة، يوم الرّجفة، يوم الرّجة، يوم الرّجرة،
يوم السّكرة، يوم الفرع، يوم الجزع، يوم المنتهى، يوم المأوى، يوم الميقات، يوم
المعاد، يوم المرصاد، يوم القلق، يوم العرق، يوم الافتقار، يوم الإنكدار، يوم الانتشار،
يوم الانشقاق، يوم الوقوف، يوم الخروج، يوم الخلود، يوم الوعيد، يوم التّغابن، يوم
عبوس، يوم معلوم، يوم موعود، يوم مشهود، يوم لا ريب فيه، يوم تُبلى السّرائر، يوم
لا تُجزى نفس لنفس شيئا، يوم تشخص فيه الأبصار، يوم لا يُغنى مولى عن مولى
شيئا، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، يوم يُدعون إلى نار جهنّم دعا، يوم يُسحبون فى
النار على وجوههم، يوم تُقلب وجوههم فى النار، يوم لا يجزى والد عن ولده شيئا، يوم
يفر المرء من أخيه، يوم لا ينطقون و لا يؤذن لهم فيعتذرون، يوم لا مردّ له من الله، يوم
هم بارزون، يوم هم على النار يُفتنون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم لا ينفع الظّالمين
معدرتهم و لهم اللّعنة و لهم سوء الدار، يوم تُردّ فيه المعاذير، يوم تحشع فيه الأبصار
وتسكن الأصوات، و يقلّ فيه الالتفات، و تُبرز الحفّيات و تظهر الخطيئات و الخبيئات،
يوم يساق العباد و معهم الأشهاد، و يشيب الصّغير، و يسكر الكبير، فيؤمّن و ضيعت

الْمَوَازِينُ، وَنُشِرَتِ الدَّوَاوِينُ، وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ، وَأُغْلِيَ بِالْحَمِيمِ، وَزَفَرَتِ النَّارُ، وَيَسَّ
الْكَفَّارُ، وَسُعِرَتِ النَّيْرَانُ، وَتَغَيَّرَتِ الْأَلْوَانُ، وَخَرَسَ اللِّسَانُ وَنَطَقَتْ جَوَارِحُ الْإِنْسَانِ،
﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١)
وفي ذلك اليوم سيحاسب الانسان على أفعاله وأعماله وأخلاقه إن كان خيراً
فخيراً وإن كان شراً فشرراً.

طريق الخلاص

التوحيد الالهي

قال رسول الله ﷺ:

ثَمَنُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.^(٢)

انّ من يشهد بالوحدانية لله عزّ وجلّ عن وعي عميق فلا غرو أن يكون الثمن
الجنة؛ ذلك انّ اعلان هذه الحقيقة يعني الكفر بالطاغوت بكلّ أشكاله ومظاهره من
شيطان وهوى نفساني وغرائز حيوانية وشهوات باطلة.
لا إله إلا الله تعني الصلاة والصوم والحجّ والزكاة والخمس والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر والجهاد وعلان الولاء لأولياء الله والبراءة من أعدائه سبحانه
وتعالى ومن أجل ذلك جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ:
لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَلَهُ شَيْءٌ يَعْدِلُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ؛ وَلَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ؛ وَدَمْعَةٌ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهَا مِثْقَالُ، فَلَنْ

١. سورة الانفطار: ٦.

٢. ثواب الأعمال: ٢؛ مستدرک الوسائل: ٥ / ٣٦٤؛ وسائل الشيعة: ٧ / ٢١٠.

سَالَتْ عَلَى وَجْهِهِ لَمْ يَرْهَقَهُ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ بَعْدَهَا أَبَدًا^(١)

ومن مقتضيات هذه العبارة الايمان بالقرآن الكريم والنبوة والإمامة والتصديق بالأنبياء والرسل والتحلي بالأخلاق الحسنة والايمان بالعقائد الحقّة.

هذه هي مقولة «لا إله إلا الله» انها ايمان خالص بالله وحده لا شريك له ونبذ كلّ اشكال العبوديّة لغيره؛ انها شعور نافذ في أعماق الانسان وليست شعاراً أو مجرد لقلقة لسان وإلا فإن الشمر وعمر بن سعد ومعاوية ويزيد كانوا ينطقون بها. وفي مضمار الالتزام بمقتضيات التوحيد يقول النبي الأكرم ﷺ:

خَيْرُ الْعِبَادَةِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(٢)

وفي جانب من حديث طويل يقول ﷺ أيضاً:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً لَمْ يَخْلُطْ مَعَهَا غَيْرَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَكَيْفَ يَقُولُهَا مُخْلِصاً لَا يَخْلُطُ مَعَهَا غَيْرَهَا؟ فَسَرَّ لَنَا هَذَا حَتَّى نَعْرِفَهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا وَجَمْعاً لَهَا مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا وَرِضًى بِهَا وَأَقْوَامٌ يَقُولُونَ أَقَاوِيلَ الْأَخْيَارِ وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْجَبَابِرَةِ فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَإِنْ أَخَذَ الدُّنْيَا وَتَرَكَ الْآخِرَةَ فَلَهُ النَّارُ^(٣).

أجل ان الايمان والعمل يجب أن يتناغما مع اللسان، وإلا لا قيمة أبداً للنطق

١. ثواب الأعمال: ٣؛ وسائل الشيعة: ٢٢٥/١٥.

٢. ثواب الأعمال: ٤؛ مستدرک الوسائل: ٣٢١/٥.

٣. بحار الأنوار: ٣٦٠/٧٣.

بهذه الجملة ما لم تتبع من الأعماق وتتجسّد من خلال السلوك .

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام :

مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِخْلَاصُهُ بِهَا أَنْ يَخْجُزَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ. (١)

وقال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في الحديث الشهير بـ «حديث سلسلة الذهب» عن آبائه عن رسول الله ﷺ، عن الله عز وجل :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي. فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ
نَادَى: بِشُرُوطِهَا، وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا (٢)

وهذا الحديث الشهير أطلقه الامام الرضا لدى وصوله مدينة نيسابور في طريقه إلى مدينة «مرو» التي كانت العاصمة يومئذ في عهد الخليفة المأمون بن هارون (الرشيد).

وقوله عليه السلام: وأنا من شروطها يعني الاقرار بالامامة وأنه الامام المفترض الطاعة، فاعلان التوحيد واطلاق كلمة لا إله إلا الله لا تأخذ معناها إلا بالايان بأهل البيت أئمة اصطفاهم الله هداة لعباده؛ لا في ظلّ الخضوع لحكومة بني العباس. (٣)

١. ثواب الأعمال: ٥؛ وسائل الشيعة: ٢٥٦/ ١٥.

٢. ثواب الأعمال: ٦؛ بحار الأنوار: ٧/ ٣.

٣. وما أجمل ما قاله الشاعر البحري في الامام الرضا عليه السلام :

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا	لما طلعت من الصفوف و كبروا
حتى انتهيت إلى المصلى لابساً	نور الهدى يبدو عليك فيظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع	لله لا يـزـهو ولا يـتـكـبر

الله أكرمنا بنصر نبيّه وبنا أقم دعائم الاسلام
وبنا أعزّ نبيّه وكتابه وأعزنا بالنصر والاقدام
ويزورنا جبريل في أبياتنا بفرائض الاسلام والأحكام
نحن الخيار من البريّة كلّها ونظامها وزمام كلّ زمام

شروط التوحيد

روى أبو سعيد الخدري في حديث مهم قال :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام إِذْ قَالَ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ: فَتَحْنُ نَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا تَقْبَلُ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ هَذَا وَمِنْ شِيعَتِهِ الَّذِينَ أَخَذَ رَبُّنَا مِيثَاقَهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلَانِ: فَتَحْنُ نَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ عَلِيٍّ عليه السلام ثُمَّ قَالَ عَلَامَةُ ذَلِكَ أَنْ لَا تُحِلَّا عَقْدَهُ وَلَا تَجْلِسَا مَجْلِسَهُ وَلَا تُكَذِّبَا حَدِيثَهُ. ^(١)

عمل قليل وثواب عظيم

روى المفضل بن عمر عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَمِنَ لِلْمُؤْمِنِ ضَمَانًا، قَالَ: قُلْتُ: وَ مَا هُوَ ؟ قَالَ: ضَمِنَ لَهُ أَنْ هُوَ أَقَرُّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِمُحَمَّدٍ عليه السلام بِالنُّبُوَّةِ، وَلِعَلِيٍّ عليه السلام بِالإِمَامَةِ، وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ

في وسعه لمشى إليك المنبر

ولو أن مشتاقا تكلف غير ما

مناقب ابن شهر آشوب : ٣٧٢/ ٤ - المترجم .

١. بحار الأنوار : ٢٣ / ٨٤.

عَلَيْهِ، وَأَنْ يُسْكِنَهُ فِي جَوَارِهِ، وَلَمْ يَحْتَجِبْ عَنْهُ. قَالَ: قُلْتُ: فَهَذِهِ الْكَرَامَةُ
الَّتِي لَا يُشَبِّهُهَا كَرَامَةُ الْآدَمِيِّينَ! قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِعْمَلُوا قَلِيلًا
تَنْعَمُوا كَثِيرًا. ^(١)

ثواب الوضوء

قال الامام الصادق عليه السلام:

مَنْ تَوَضَّأَ وَتَمَنَّدَلْ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ تَوَضَّأَ وَلَمْ يَتَمَنَّدَلْ حَتَّى تَجِفَّ
وُضُوؤُهُ كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً ^(٢)

وقال أيضاً:

مَنْ تَطَهَّرَ ثُمَّ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ بَاتَ وَفِرَاشُهُ كَمَسْجِدِهِ. ^(٣)

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

مَنْ أَسْبَغَ وَضُوؤَهُ، وَ أَحَسَّنَ صَلَاتَهُ، وَ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ وَكَفَّ غَضَبَهُ، وَسَجَنَ
لِسَانَهُ، وَاسْتَغْفَرَ لِدُنْيَاهُ، وَأَدَّى النَّصِيحَةَ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ حَقَائِقَ
الْإِيمَانِ، وَأَنْبَوَابِ الْجَنَّةِ مَفْتُوحَةً لَهُ. ^(٤)

نعمة الشباب

وروى الامام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

١. ثواب الأعمال: ١٥؛ بحار الأنوار: ٣/٣.

٢. ثواب الأعمال: ١٦؛ بحار الأنوار: ٣٣٠/٧٧.

٣. ثواب الأعمال: ١٨؛ مفتاح الفلاح: ٢١٢؛ كشف اللثام: ١٢١.

٤. ثواب الأعمال: ٢٦؛ بحار الأنوار: ٢١٨/٧٩.

إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَوْجَبَ الْجَنَّةَ لَشَابٍّ كَانَ يُكْثِرُ النَّظَرَ فِي الْمِرْآةِ فَيُكْثِرُ حَمْدَ اللَّهِ
عَلَى ذَلِكَ.^(١)

الذهاب إلى المسجد

مَنْ مَشَى إِلَى الْمَسْجِدِ لَمْ يَضَعْ رِجْلَهُ عَلَى رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا سَبَّحَتْ لَهُ
الْأَرْضُ إِلَى الْأَرْضِينَ السَّابِعَةِ.^(٢)

وتوضيح ذلك أنه في ضوء الآيات القرآنية الكريمة ما من شيء إلا ويسبح الله،
فكل الكائنات تسبح الله عز وجل؛ وتبلغ قيمة المشي إلى المسجد أن كل شيء
يضع عليه المؤمن قدميه وهو في طريقه إلى المسجد يحسب له ثواب تسبيح كل
ذرات الأرض في امتدادها العميق وطبقاتها.

المحافظة على أوقات الصلاة

روى أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

يَا أَبَانُ، هَذِهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ الْمَفْرُوضَاتُ مَنْ أَقَامَهُنَّ وَخَافَظَ عَلَى
مَوَاقِيْتِهِنَّ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عِنْدَهُ عَهْدٌ يُدْخِلُهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ
يُصَلِّهُنَّ بِمَوَاقِيْتِهِنَّ فَذَلِكَ إِلَيْهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ.^(٣)

إضاءة المسجد

قال رسول الله ﷺ:

١. ثواب الأعمال: ٢٥؛ وسائل الشيعة: ١٧٣/٧.

٢. بحار الأنوار: ١٣/٨١؛ مكارم الأخلاق: ٢٩٧.

٣. ثواب الأعمال: ٢٨؛ بحار الأنوار: ١٧/٨٠.

مَنْ أَسْرَجَ فِي مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ سِرَاجاً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَا دَامَ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ ضَوْءٌ مِنَ السِّرَاجِ^(١)

ثواب الأذان

قال الامام محمد الباقر عليه السلام:

مَنْ أَدَّنَ سَبْعَ سِنِينَ مُحْتَسِباً، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا ذَنْبَ لَهُ.^(٢)

ثواب سجدة الشكر

قال الامام الصادق عليه السلام:

أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً لِشُكْرِ نِعْمَةٍ فِي غَيْرِ صَلَاةٍ، كَتَبَ اللَّهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ.^(٣)

ثواب المصلي

لِلْمُصَلِّي ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ يَتَنَائَرُ عَلَيْهِ الْبَرُّ مِنْ أَعْنَانِ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ، وَتَحَفُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ إِلَى أَعْنَانِ السَّمَاءِ، وَمَلَكٌ يُنَادِي: أَيُّهَا الْمُصَلِّي لَوْ تَعْلَمُ مَنْ تُنَاجِي مَا انْفَتَلَتْ.^(٤)

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

مَنْ أَتَى الْجَمَاعَةَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً اسْتَأْنَفَ الْعَمَلَ.^(٥)

١. ثواب الأعمال: ٢٩؛ بحار الأنوار: ١٥/٨١.

٢. ثواب الأعمال: ٣١؛ بحار الأنوار: ١٤٦/٨١.

٣. ثواب الأعمال: ٣٥؛ بحار الأنوار: ٢٠١/٨٣.

٤. ثواب الأعمال: ٣؛ بحار الأنوار: ٢١٥/٧٩.

٥. ثواب الأعمال: ٣٧.

وروى الأصمغ بن نباتة عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

ثواب الزكاة

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في آخر لحظات حياته في وصيته:
 اللَّهُ اللَّهُ فِي الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ رَبِّكُمْ. (١)

ثواب الحج

قال الامام الصادق عليه السلام:
 مَنْ حَجَّ يُرِيدُ بِهِ اللَّهَ وَلَا يُرِيدُ بِهِ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ الْبَنَّةُ. (٢)

ثواب الصوم

قال الامام الصادق عليه السلام:
 نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ، وَصَمْتُهُ تَسْبِيحٌ، وَعَمَلُهُ مُتَقَبَّلٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ. (٣)

ثواب البكاء على الشهداء

روى محمد بن مسلم عن الامام الباقر عليه السلام قوله:
 أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ، بَوَّأَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَسْكُنُهَا أَحْقَابًا. وَ أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى
 تَسِيلَ عَلَى خَدَّيْهِ فِيمَا مَسَّنَا مِنَ الْأَذَى مِنْ عَدُوِّنَا فِي الدُّنْيَا بَوَّأَهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ

١. ثواب الأعمال: ٤٦؛ بحار الأنوار: ٢٧/٩٣.

٢. ثواب الأعمال: ٤٦؛ بحار الأنوار: ٢٤/٩٦.

٣. ثواب الأعمال: ٥١؛ بحار الأنوار: ٢٥٣/٩٣.

مُبَوَّأ صِدْقٍ. وَ أَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَسَّهُ أَذَى فِينَا قَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى حَدِّهِ
مِنْ مَضَاضَةٍ مَا أُوذِيَ فِينَا، صَرَفَ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ الْأَذَى، وَآمَنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ
سَخَطِهِ وَالنَّارِ. ^(١)

ثواب حفظ القرآن والعمل به

قال الامام الصادق عليه السلام:

الْحَافِظُ لِلْقُرْآنِ وَالْعَامِلُ بِهِ مَعَ السَّفَرِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ. ^(٢)

ثواب التوبة

روى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام ان الله عز وجل أوحى إلى نبيه داود:
يَا دَاوُدُ إِنَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ ذَنْبًا ثُمَّ رَجَعَ وَ تَابَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ وَ
اسْتَحْيَى مِنِّي عِنْدَ ذِكْرِهِ، غُفِرَتْ لَهُ وَ أُسَيِّتُهُ الْحَفْظَةُ؛ وَأَبْدَلْتُهُ الْحَسَنَةَ وَ لَا
أُبَالِي، وَ أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. ^(٣)

ثواب المعلم

قال الامام الباقر عليه السلام:

مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ دَوَابُّ الْأَرْضِ وَ حَيَاتَانُ الْبُحُورِ وَ كُلُّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ
فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ سَمَائِهِ. ^(٤)

١. ثواب الأعمال: ٨٣؛ بحار الأنوار: ٢٨١/ ٤٤.

٢. ثواب الأعمال: ١٠١؛ وسائل الشيعة: ١٧٦/ ٦؛ الأمالي، شيخ صدوق: ٥٩.

٣. وسائل الشيعة: ٧٤/ ١٦؛ بحار الأنوار: ٢٨/ ٦.

٤. ثواب الأعمال: ١٣١؛ بحار الأنوار: ١٧/ ٢.

مجالسة المؤمن

قال رسول الله ﷺ:

مُجَالَسَةُ أَهْلِ الدِّينِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ^(١)

اليتامى و ...

قال الامام الباقر عليه السلام:

أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ: مَنْ آوَى الْيَتِيمَ، وَرَحِمَ الضَّعِيفَ،
وَأَشْفَقَ عَلَى الْوَالِدِيَّهِ، وَرَفَقَ بِمَمْلُوكِهِ. ^(٢)

احترام الآخر

روى أبو حمزة الثمالي قال: سمعت الامام الباقر عليه السلام يقول:

مَنْ كَفَّ نَفْسَهُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ مَنْ كَفَّ
غَضَبَهُ عَنِ النَّاسِ أَقَالَهُ اللَّهُ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ^(٣)

دخول الجنة بغير حساب

قال الامام الصادق عليه السلام:

ثَلَاثَةٌ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَتَاجِرٌ صَدُوقٌ، وَ شَيْخٌ
أَفْنَى عُمْرَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. ^(٤)

-
١. ثواب الأعمال: ١٣٢؛ بحار الأنوار: ١/١٩٩.
 ٢. ثواب الأعمال: ١٣٣؛ بحار الأنوار: ٧٢/٢٠.
 ٣. ثواب الأعمال: ١٣٣؛ بحار الأنوار: ٧٢/٥٤.
 ٤. ثواب الأعمال: ١٣٣؛ بحار الأنوار: ١٠٠/٩٨.

الشعب

قال الامام الصادق عليه السلام:

مَنْ أَشْبَعَ جُوعَةَ مُؤْمِنٍ وَضَعَ اللَّهُ لَهُ مَائِدَةً فِي الْجَنَّةِ يَصْدُرُ عَنْهَا الثَّقَلَانِ
جَمِيعاً.^(١)

ثواب القرض

قال الامام الصادق عليه السلام:

مَا مِنْ مُسْلِمٍ أَقْرَضَ مُسْلِمًا قَرْضًا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا اخْتَسَبَ لَهُ أَجْرَهَا
بِحَسَابِ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ.^(٢)

وروى الامام الصادق عليه السلام عن آبائه الكرام عن جدّه الأكرم صلى الله عليه وآله قوله:

أَرْضُ الْقِيَامَةِ نَارٌ مَا خَلَا ظِلُّ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ صَدَقَتَهُ تَظِلُّهُ.^(٣)

وهكذا ترسم الأحاديث والروايات الواردة عن أهل البيت عليه السلام مدى الثواب
الذي يترتب على أعمال الخير التي يقوم بها المؤمن.

جزاء الأعمال السيئة

أما العقوبات التي تترتب على ما يقوم به الانسان من أعمال سيئة، فقد ورد في
الروايات ما يسلط الضوء على هذا الموضوع وفيما يلي طائفة من الأحاديث
الشريفة:

١. ثواب الأعمال: ١٣٧؛ بحار الأنوار: ٣٨٥/٧١.

٢. ثواب الأعمال: ١٣٨؛ بحار الأنوار: ١٣٩/١٠٠.

٣. ثواب الاعمال: ١٤٠؛ بحار الأنوار: ١٢٤/٩٣.

الغفلة

قال الامام الصادق عليه السلام:

إِيَّاكُمْ وَالْغَفْلَةَ، فَإِنَّهُ مَنْ غَفَلَ فَإِنَّمَا يَغْفُلُ عَلَى نَفْسِهِ، إِيَّاكُمْ وَالتَّهَاؤْنَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَنْ تَهَاوَنَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (١)

اللعين

قال الامام الكاظم عليه السلام:

مَلْعُونٌ مِّنْ أَتَّهَمَ أَخَاهُ، مَلْعُونٌ مِّنْ غَشَّ أَخَاهُ، مَلْعُونٌ مِّنْ لَمَّ يَنْصَحْ أَخَاهُ، مَلْعُونٌ مِّنْ اِعْتَابَ أَخَاهُ. (٢)

انكار الامامة

روى الحسين بن علاء قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقول:

لَوْ جَحَدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعُ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ. (٣)

أي أن الناس جميعاً إذا أنكروا ولاية الامام علي عليه السلام لعذبهم وأدخلهم النار. وقال الإمام الصادق عليه السلام:

مَنْ ادَّعَى الْإِمَامَةَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا فَهُوَ كَافِرٌ. (٤)

١. ثواب الأعمال: ٢٠٣؛ بحار الأنوار: ٢٢٧/٦٩؛ المحاسن: ٩٦/١.

٢. بحار الأنوار: ٣٣٣/٧٥؛ مستدرک الوسائل: ١٢٢/٩.

٣. ثواب الأعمال: ٢٠٩؛ بحار الأنوار: ١٣٤/٦٩؛ المحاسن: ٨٩/١.

٤. ثواب الأعمال: ٣١٤؛ بحار الأنوار: ١١٢/٢٥؛ مستدرک الوسائل: ٢٩/١١.

الجزاء في دار الدنيا

روى الامام الباقر عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

ثَلَاثُ خَصَالٍ لَا يَمُوتُ صَاحِبُهُنَّ أَبَدًا حَتَّى يَرَى و بَالِهِنَّ: الْبَغْيُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَ الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ يُبَارِزُ اللَّهُ بِهَا. ^(١)

المكر والخداع

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله :

الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ. ^(٢)

ثلاثة لا يدخلون الجنة

قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام :

تَحْرُمُ الْجَنَّةُ عَلَى ثَلَاثَةٍ: النَّمَامِ، وَالْقَتَالِ، وَ عَلَى مُدْمِنِ الْخَمْرِ. ^(٣)

التعصّب

قال الامام الصادق عليه السلام :

مَنْ تَعَصَّبَ عَصَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِصَابَةٍ مِنَ النَّارِ. ^(٤)

الحرمان من رحمة الله

قال الامام الصادق عليه السلام :

١. ثواب الأعمال: ٢٢٠؛ بحار الأنوار: ١٧٤/٧٥؛ الخصال: ١٢٤/١.

٢. ثواب الأعمال: ٢٧٠؛ بحار الأنوار: ٢٨٥/٧٢؛ وسائل الشيعة: ٢٤١/١٢.

٣. ثواب الأعمال: ٢٧٠؛ بحار الأنوار: ٣٧٦/١٠١.

٤. بحار الأنوار: ٢٩١/٧٠؛ الكافي: ٣١٨/٢.

ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِمْ: ثَانِي عِطْفِهِ، وَمُسْبِلُ إِزَارِهِ خِيَلَاءَ، وَالْمُنْفِقُ
سِلْعَتُهُ بِالْأَيْمَانِ، إِنَّ الْكِبْرِيَاءَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.^(١)

التكبر

قال الامام الباقر والصادق عليهما السلام:

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ.^(٢)

انحسار الرزق

قال الامام الصادق عليه السلام:

أَيُّمَا نَاشٍ نَشَأَ فِي قَوْمِهِ ثُمَّ لَمْ يُؤَدِّبْ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَوَّلُ مَا
يُعَاقِبُهُمْ فِيهِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ رِزْقِهِمْ.^(٣)

ضحك وبكاء

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَهُوَ ضَاكِرٌ دَخَلَ النَّارَ وَهُوَ بَاكِ.^(٤)

شهادة الزور

قال الامام الصادق عليه السلام:

١. ثواب الأعمال: ٢٢١؛ بحار الأنوار: ٩٩/١٠٠؛ مستدرک الوسائل: ٢٧١/١٣.

٢. ثواب الأعمال: ٢٢١؛ بحار الأنوار: ٢١٥/٧٠.

٣. ثواب الأعمال: ٢٢٣؛ بحار الأنوار: ٧٨/٩٧.

٤. ثواب الأعمال: ٢٢٣؛ بحار الأنوار: ٣٥٦/٧٠؛ وسائل الشيعة: ٣٣٨/١٥.

شَاهِدُ الزُّورِ لَا تَزُولُ قَدَمَاهُ حَتَّى تَجِبَ لَهُ النَّارُ.^(١)

القسم كذباً

قال الامام الصادق عليه السلام:

مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ.^(٢)

الكبائر

عَنْ عَبَادِ بْنِ كَثِيرٍ النَّوَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الْكِبَائِرِ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ أَوْعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ.^(٣)

أداء الحق الالهي

قال الامام الباقر عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاساً مِنْ قُبُورِهِمْ مَشْدُودَةً أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَنَاولُوا بِهَا قَيْسَ أَنْفُسِهِمْ، مَعَهُمْ مَلَائِكَةٌ يُعَيِّرُونَهُمْ تَغْيِيراً شَدِيداً يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَنَعُوا خَيْراً قَلِيلاً مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَمَنَعُوا حَقَّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي أَمْوَالِهِمْ.^(٤)

الافطار دون عذر شرعي

روى حماد الرازي عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

١. ثواب الأعمال: ٢٢٥؛ مجموعة ورام: ٢٦٧/٢؛ الأمالي، شيخ صدوق: ٤٨٢.

٢. ثواب الأعمال: ٢٢٦؛ بحار الأنوار: ٣١١/١٠١؛ وسائل الشيعة: ٢٣/٢٠٣.

٣. ثواب الأعمال: ٢٣٣؛ وسائل الشيعة: ٣١٧/١٥؛ بحار الأنوار: ١٣/٧٦.

٤. بحار الأنوار: ٢١/٩٣.

مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَرَجَ رُوحُ الْإِيمَانِ مِنْهُ. ^(١)

إذلال المؤمن

روى المعلى بن خنيس عن الامام الصادق عليه السلام قوله :

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: لِيَأْذُنَ بِحَرْبٍ مَتَى مَنْ أَذَلَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ، وَلِيَأْمَنَ غَضَبِي مَنْ أَكْرَمَ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ. ^(٢)

الافتراء

قال الامام الصادق عليه السلام :

مَنْ بَهَتْ مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً مِمَّا لَيْسَ فِيهِمَا بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي طِينَةِ خَبَالٍ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ: قُلْتُ: وَ مَا طِينَةُ خَبَالٍ؟ قَالَ: صَدِيدُ يَخْرُجُ مِنْ فُرُوجِ الْمُؤْمِنَاتِ. ^(٣)

انهيار الحياة

قال رسول الله ﷺ :

أَرْبَعَةٌ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا وَاحِدَةً مِنْهُمْ إِلَّا خَرِبَ وَلَمْ يُعْمَرْ بِالْبَرَكَةِ: الْخِيَانَةُ، وَالسَّرِقَةُ، وَشَرْبُ الْخَمْرِ، وَالزَّانَا. ^(٤)

١ . ثواب الأعمال: ٢٣٦؛ بحار الأنوار: ٣٧٢/٩٣؛ مستدرک الوسائل: ٤٠٢/٧.

٢ . ثواب الأعمال: ٢٣٨؛ بحار الأنوار: ١٤٥/٧٢؛ وسائل الشيعة: ٢٦٩/١٢.

٣ . ثواب الأعمال: ٢٤٠؛ بحار الأنوار: ٢٤٤/٧٢؛ وسائل الشيعة: ٢٨٧/١٢.

٤ . ثواب الأعمال: ٢٤٢؛ عوالي اللآلي: ٣٦٣/١.

الوثني

قال الامام الصادق عليه السلام:

مُذْمَنُ الزَّنا وَ السَّرَقِ وَ الشُّرْبِ كَعَابِدِ وَثْنٍ. ^(١)

الخنوع

قال الامام الصادق عليه السلام:

صُونُوا دِينَكُمْ بِالْوَرَعِ وَقُوُّوهُ بِالتَّقِيَّةِ وَالِاسْتِغْنَاءِ بِاللهِ عَنْ طَلَبِ الْخَوَائِجِ مِنَ السُّلْطَانِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ أَيُّمَا مُؤْمِنٍ خَضَعَ لِصَاحِبِ سُلْطَانٍ أَوْ مَنْ يُخَالِطُهُ عَلَى دِينِهِ طَلَبًا لِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ دُنْيَاةٍ أَحْمَلَهُ اللهُ وَمَقَّتَهُ عَلَيْهِ وَوَكَّلَهُ إِلَيْهِ فَإِنْ هُوَ غَلَبَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاةٍ وَصَارَ فِي يَدِهِ مِنْهُ شَيْءٌ نَزَعَ اللهُ الْبَرَكَةَ مِنْهُ وَلَمْ يَأْجِزْهُ عَلَى شَيْءٍ يُنْفِقُهُ فِي حَجٍّ وَلَا عُمْرَةٍ وَلَا عِنَقٍ. ^(٢)

الخيانة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَخَاوُنُوا، وَأَدُّوا الْأَمَانَةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ؛ وَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ابْتَلُوا بِالْقَحْطِ وَالسَّنِينِ. ^(٣)

طاحونة جهنم

روى الامام الصادق عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

١. ثواب الأعمال: ٢٤٤؛ بحار الأنوار: ١٤٠/٧٦.

٢. بحار الأنوار: ٣٧١/٧٢ - ٣٧٢.

٣. ثواب الأعمال: ٢٥١؛ بحار الأنوار: ١٧٢/٧٢.

إِنَّ فِي جَهَنَّمَ رَحَى تَطْحَنُ، أَفَلَا تَسْأَلُونِي مَا طَحَنُهَا؟ فَقِيلَ لَهُ: فَمَا طَحَنُهَا يَا
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: الْعُلَمَاءُ الْفَجَرَةُ وَالْقُرَاءُ الْفَسَقَةُ وَالْجَبَابِرَةُ الظَّلَمَةُ
 وَالْوُزَرَاءُ الْخَوَنَةُ وَالْعُرَفَاءُ الْكَذِبَةُ، وَإِنَّ فِي النَّارِ لَمَدِينَةً يُقَالُ لَهَا الْحَصِينَةُ،
 أَفَلَا تَسْأَلُونِي مَا فِيهَا؟ فَقِيلَ: وَمَا فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: فِيهَا أَيْدِي
 النَّاكِثِينَ. ^(١)

البدعة

قال الامام الصادق عليه السلام:

كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ سَبِيلُهَا إِلَى النَّارِ. ^(٢)

الاهمال

قال الامام الصادق عليه السلام:

مَنْ وَلِيَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَضَيَّعَهُمْ ضَيَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى. ^(٣)

الذين يساندون الظلم

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّنَ الظَّالِمَةِ وَأَعْوَانُهُمْ وَمَنْ لاقَ لَهُمْ دَوَاءً أَوْ
 رَبَطَ لَهُمْ كَيْساً أَوْ مَدَّ لَهُمْ مَدَّةَ قَلَمٍ، فَاحْشُرُوهُمْ مَعَهُمْ. ^(٤)

١. بحار الأنوار: ٣٣٨/٧٢ - ٣٣٩.

٢. الكافي: ٥٦/١، باب البدع والرأى، حديث ٨؛ وسائل الشيعة: ٢٧٢/١٦.

٣. ثواب الأعمال: ٢٦٠؛ عوالي اللآلي: ٣٦٦/١.

٤. ثواب الأعمال: ٢٦٠؛ بحار الأنوار: ٣٧٢/٧٢.

عقوبة الزنا

قال الامام الصادق عليه السلام:

لِلزَّانِي سِتُّ خِصَالٍ: ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا، ثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ. أَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا
فَيُذْهِبُ بِنُورِ الْوَجْهِ، وَيُورِثُ الْفَقْرَ، وَيُعَجِّلُ الْفَنَاءَ. وَأَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ
فَسَخَطُ الرَّبِّ، وَسُوءُ الْحِسَابِ، وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ.^(١)

صن النفس واحملها على ما يزينها	تعش سالماً والقول فيك جميل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد	عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غني النفس إن قل ماله	ويغني غني المال وهو ذليل
ولا خير في ودّ امرئ متلونٍ	إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواداً إذا استغنيت عن أخذ ماله	وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدّهم	ولكنّهم في النائبات قليل

١. ثواب الأعمال: ٢٦٢؛ الكافي: ٥ / ٥٤١، باب الزّاني، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ٢٢ / ٧٦.

[﴿٨﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مَنِّهِ الْمُتَتَابِعَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَنَظَّاهِرَةِ لَتَصَرَّفُوا فِي مَنِّهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ.

[﴿٩﴾ وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَيْهِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١)

مقام الحمد

ومن خلال هذا النص البليغ العميق الغور ندرك ان معرفة النعم وشكر المنعم هو الضمان الأكيد لحفظ الحدود الانسانية والتجسيد لآدمية الانسان واختلافه عن الحيوان.

أما الوسائل التي يمكن من خلالها معرفة النعم والمنعم وأداء الشكر والحمد له فهي العقل والفطرة والضمير اضافة إلى النبوة والقرآن الكريم والامامة. وأما الأدوات في تحقيق ذلك فهي أعضاء الانسان وجوارحه. ويا لبؤس الانسان الذي لا يعرف من الحياة إلا النوم والتهام الطعام واللهات وراء اشباع الغرائز الحيوانية.

انّ هكذا انسان ليس له من الانسانية إلا أهابها وظاهرها الماديّ وإلا فهو يتصرّف كحيوان ويعيش حياة بهيمية.

وبالمجد الانسان الذي يتصرّف كانسان؛ فكّر في حياته ومصيره وغاية حياته واصغى إلى نداء فطرته وصوت ضميره وحكم عقله وعرف مكنون نفسه؛ فهده الله الذي أنعم عليه، واتبع النور الذي أنزله وأصغى بروحه ووجدانه وعقله إلى آيات القرآن الكريم واتبع سنة رسول الله ﷺ والأوصياء من بعده.

العلم والمعرفة الالهية

فيما يلي طائفة من الأحاديث الشريفة في موضوع المعرفة وشأن أهل المعرفة ومن يجسدون الانسانية والادمية بأبعادها الحقيقية.

قال رسول الله ﷺ:

جُلُوسُ سَاعَةٍ عِنْدَ مُذَاكِرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ قِيَامِ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُصَلِّي فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ، وَأَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَلْفِ غَزْوَةٍ، وَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ صَامَ نَهَارُهَا، وَقَامَ لَيْلُهَا.^(١)

وقال ﷺ أيضاً:

وَمَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِيَتَمَسَّ بِأَبَا مِنَ الْعِلْمِ كَتَبَ اللَّهُ غَزْوَةً لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ ثَوَابَ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ ثَوَابَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ، وَأَعْطَاهُ بِكُلِّ حَرْفٍ يَسْتَمِعُ أَوْ يَكْتُبُ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ.

وَطَالِبُ الْعِلْمِ أَحَبُّهُ اللَّهُ وَأَحَبُّهُ الْمَلَائِكَةُ وَأَحَبُّهُ النَّبِيُّونَ، وَلَا يُحِبُّ الْعِلْمَ إِلَّا

١. بحار الأنوار: ٢٠٣/١؛ جامع الأخبار: ٣٧؛ مستدرک الوسائل: ٣٩٦/٥.

السَّعِيدُ، وَطُوبَى لِطَالِبِ الْعِلْمِ.

وَالنَّظَرُ فِي وَجْهِ الْعَالِمِ خَيْرٌ مِنْ عِتْقِ أَلْفِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعِلْمَ وَجَبَتْ لَهُ
الْجَنَّةُ، وَيُصْبِحُ وَيُمْسِي فِي رِضَى اللَّهِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَشْرَبَ مِنْ
الْكُوْثِرِ وَيَأْكُلَ مِنْ ثَمَرَةِ الْجَنَّةِ، وَلَا يَأْكُلُ الدُّوْدُ جَسَدَهُ، وَيَكُونُ فِي الْجَنَّةِ رَفِيقٌ
خَضِرٌ.^(١)

وقال الامام الصادق عليه السلام:

لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَا مَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا مَتَعَ اللَّهُ
بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، وَكَانَتْ دُنْيَا هُمْ أَقَلَّ عِنْدَهُمْ مِمَّا
يَطُؤُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَلَنُعَمِّمُوا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَتَلَذُّوْا بِهَا تَلَذُّدٌ مَنْ لَمْ يَزَلْ
فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّةِ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْسَ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ، وَصَاحِبٌ مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ، وَنُورٌ مِنْ
كُلِّ ظُلْمَةٍ، وَقُوَّةٌ مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ، وَشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُقْمٍ.

قَدْ كَانَ قَوْمٌ قَبْلَكُمْ يُقْتَلُونَ وَيُحْرَقُونَ وَيُنْشَرُونَ وَتَضِيقُ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِرُحْبِهَا، فَمَا يَزُدُّهُمْ عَمَاهُمْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ غَيْرِ تَرَةٍ وَتَرٍ مَنْ فَعَلَ
ذَلِكَ بِهِمْ وَلَا أَدَّى ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٢)

فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ دَرَجَاتِهِمْ، وَاصْبِرُوا عَلَى نَوَائِبِ دَهْرِكُمْ تُذَرِّكُوا سَعْيَهُمْ.^(٣)

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عَبِيداً إِلَيْكَ مُلْجَاهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي عَلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

١. جامع الأخبار: ٣٧؛ بحار الأنوار: ١/ ١٧٨، مع اختلاف يسير.

٢. سورة البروج: ٨. ٣. الكافي: ٨/ ٢٤٧؛ جامع السعادات: ١/ ١١٢.

طوبى لمن كان نادماً أرقاً يشكو إلى ذي الجلال بلواه
إذا خلا في الظلام مبتهلاً أجابه الله ثم لبّاه

المقام الرفيع لأهل المعرفة

كلّ انسان ينطوي بالقوّة على كلّ ما يجعله أفضل من سائر الكائنات؛ ولذا ينبغي له بل عليه أن يحوّل ما يمتلكه بالقوّة إلى فعل ويحقّق ما لديه على أرض الواقع.

إنّ الروح الأعظم هي الروح الانساني باعتبار جوهريّتها هي النفس الواحدة وباعتبار نورانيّتها هي العقل الأوّل.

والروح القدس أيضاً هو الانسان الحقيقي وحقيقة الانسان الذي خلقه الله في عالم اللاهوت ثمّ أرسله إلى عالم الجبروت والملكوت والناسوت حيث يرتدي الحلة المناسبة لكلّ عالم.

هذا الروح الأعظم وروح القدس الذي هو يعتبر هنا النفس الواحدة والانسان الحقيقي وحقيقة الانسان هو نفسه العقل الفعّال الذي هو منشأ النفوس الناطقة. والعقل الفعّال هو الذي يفيض على النفوس الناطقة وينمّيها ويكمّلها وهو مخزن الحقائق المجرّدة وذروة وغاية درجات الكمال، التي يمكن أن تشرق على النفوس الناطقة، فتتحوّل القوى الكامنة بالقوّة إلى قوى تظهر بالفعل.

وتبدو هذه الصفات هي نفسها صفات الروح الانساني الجامع، ومن هنا يمكن اعتبار الروح والعقل الفعّال أمراً واحداً، وهذا ما تراه واضحاً لدى بعض العرفاء في استخدام العقل الفعّال للتعبير عن الروح.

من جهة أخرى أنّه من المعلوم أنّ العقل الفعّال بلغة الشرع هو جبرئيل الذي

يدعى بـ «الروح الأمين» و «روح القدس» حيث تطلق الكتب العرفانية عليه بـ «الروح الأعظم» والانسان الحقيقي وحقيقة الانسان .

وإذن يمكن القول ان روح القدس أو جبرئيل والروح الأعظم ومن خلال اعلان الوحي هو مربّي النفوس البشرية الناطقة وان هذه النفوس أشعة وسناء منبعث من نوره .

ويتجلّى هذا العقل الفعّال أو الروح القدس في النفوس حسب درجة استعدادها وقابليّتها؛ كما حصل ذلك في نفوس الأنبياء والأولياء والعرفاء في مختلف الأوقات؛ وفي صور وكيفيّات مختلفة؛ واذن فان ما ورد في القرآن الكريم في ان الله نفخ من روحه في جسد آدم وكذا ما حصل لمريم البتول؛ ان ذلك الروح عبارة عن نور أو شعلة الروح القدس أو الروح الأعظم أو العقل الفعّال وبهذه المناسبة جاءت كلمة الروح بصيغة المفرد في آيات القرآن الكريم كما ان جبرئيل يعني العقل الفعّال الذي يدعى بالروح .

انّ هذا الروح أو العقل الفعّال هو مثل جميع العقول الاخرى يرتبط على نحو مباشر وغير مباشر، وذلك من خلال انعكاس أنوار العقول العليا بذات الله الذي هو مصدر جميع الأنوار والعقول؛ وبهذا يصدر من عالم الأمر يعني مقام الربوبية واللاهوت وبحسب ترتيب المراتب^(١).

وهذا الروح وبحسب تعبير القرآن الكريم جبرئيل كما هو الانسان جعل محلاً لتجلّي الاشراقات الالهية، حيث تصل قوى الانسان بهذه الاشراقات المملوكة إلى مقام الفعلية، حيث يتجاوز حتّى جبرئيل نفسه وجميع الملائكة المقربين .

١. اصول اساسى روانشناسى: ١٧٨.

ولذا جاء في رحلة الاسراء والمعراج ان جبرئيل توقّف وهو يرافق الرسول الأكرم في معراج قائلاً للنبي ﷺ: **لَوْ دَنَوْتُ أَنْفُلَةً لَأَحْتَرَقْتُ**.^(١)

الحقيقة المحمدية

ويتجلّى هذا الاسم بذاته وباعتبار تجلّيه في صورة حقيقة الانسانية الكلية التي هي صورة ومعنى جمع العوالم وكلية العوالم وهو تجلّي ومظهر ومربوب هذا الاسم الحقيقة المحمدية بحسب مقام جمع وكيونة القرآن عين هذا الاسم الجامع وباعتبار مقام التفصيل مظهر هذا الاسم الأعظم. وجاء في الحديث الشريف: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي»^(٢) الذي هو العقل الأوّل يقول ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ»^(٣).

المقام الحقيقي للانسان

انّ الانسان الذي يحوّل ما لديه بالقوّة من قوى إلى فعل واقع، هو الانسان الكامل، وإذا ما أردنا أن نعرف مقام الانسان ومنزلته في الوجود يتعيّن علينا التأمّل في شخصيّة النبي الأكرم ﷺ ومن خلال الغوص في أعماق هذه الشخصيّة وسبر مكنونها واكتشاف أبعادها الواسعة يمكن أن تتصوّر المنزلة الرفيعة لحقيقة الانسان.

دواؤك فيك وما تشعر ودأؤك منك وما تنظر

١. بحار الأنوار: ٣٨٢/١٨؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١٧٩/١.

٢. بحار الأنوار: ٩٧/١. ٣. بحار الأنوار: ٩٧/١.

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر
لما خلق الله آدم وسوّاه نفخ فيه من روحه وأمر الملائكة أن تسجد له .
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ .^(١)
وجاء في الحديث القدسي :

خَمَزْتُ طِينَةَ آدَمَ بِيَدَيَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً .^(٢)

وجاء في الحديث الشريف :

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي .^(٣)

أمّا من حيث النشأة الروحانية الجزئية التي في العالم المثالي فهي أيضاً قبل
جميع المبدعات ، حيث كيفية ظهورها في هذه الصورة الانسانية الحادثة الزمانية
فهي من الأسرار التي لا يعرفها إلا من أحاط بها .
﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ .^(٤)

وخلاصة القول ان شكر المنعم واجب عقلاً وفي غير ذلك ينحدر الانسان إلى
ما دون الحيوانية .

وبوابة المعرفة و بدايتها في الايمان ومعرفة أن لا مؤثّر في الوجود إلا الله الذي
يعني توحيد الأفعال ؛ فالتوحيد لا يتم إلا بنفي الشرك في الأفعال .

١ . سورة الحجر : ٢٩ .

٢ . عوالي اللآلي : ٤ / ٩٨ ؛ شرح الاسماء الحسنی : ١ / ٨١ .

٣ . بحار الأنوار : ١ / ٩٧ ؛ عوالي اللآلي : ٤ / ٩٩ .

٤ . سورة نوح : ١٤ .

تجلي الحق

قيل أن للحق نوعين من التجلي :

التجلي الأول الأقدس حبي ذاتي موجب وجود الأشياء .

التجلي الثاني المقدس وهذا الفيض عبارة عن التجليات الاسماوية الموجبة لظهور ما يقتضي ظهوره من استعدادات هذه الأعيان في الخارج والفيض المقدس يترتب على الأقدس .

واذن فان آدم بمعنى الانسان الكامل هو عين جلاء هذه المرآة وروح هذه الصورة حيث العالم تم بوجوده وبه ظهرت أسرارته وحقائقه .

وثابت لدى أرباب التحقيق أنه ليس في العالم موجود غير الانسان تظهر فيه حقيقته وحقيقته غيره :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١)

والأمانة معرفة الحقيقة حملها الانسان لأنه يطبق حملها .

ولما خلق الله آدم علمه الأسماء كلها وما كانت الملائكة تعلم ذلك فقالوا :

﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ (٢)

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ (٣)

فلكل منهم منزلة ومقام وحد واضح ومعلوم؛ ومن أجل ذلك توقف جبرئيل

عن مرافقة النبي ﷺ قائلاً :

لَوْ دَنَوْتُ أَنْفَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ. (٤)

١. سورة الأحزاب : ٧٢ .

٢. سورة البقرة : ٣٢ .

٣. سورة الصافات : ١٦٤ .

٤. بحار الأنوار : ٣٨٢ / ١٨ ؛ المناقب لابن شهر آشوب : ١ / ١٧٩ .

مقام الخلافة الإلهية

أجل انّ الانسان ينطوي على قدرات وقوى كبرى وقابليات عميقة وإذا ما استثار الانسان طاقاته العقلية والأسرار الإلهية المودعة في فطرته كأدبي والقانون الأخلاقي المتمثل في ضميره وإذا ما استرشد بالقرآن الكريم وبالنبي ﷺ وأوصيائه الأطهار ﷺ فإنه سيحقق رقياً رفيعاً وسوف يبلغ الذرى في مقامات الوجود.

أجل عندما يتسلّح الانسان بالحجج الظاهرة وبالحجج الباطنة؛ فإنه سوف يبلغ درجة رفيعة من القرب الإلهي ويحصل على مقام الخلافة الإلهية؛ لأنه يكون قد وصل إلى ذروة الكمال وحقّق كلّ ما هو موجود في أعماقه من قابليات واستعداد للرقى الأخلاقي والانساني إلى درجة الكمال المنشود.

انّ أبواب الهداية مشرعة ونوافذ النور مفتوحة وما على الانسان إلّا أن يصغي إلى صوت الفطرة ومنطق العقل وقانون الضمير.

وفي غير هذه الحالة عندما يصمّ أذنيه عن سماع النداء وعندما يغلق نوافذ قلبه، فإنه سوف ينحدر عن مستوى الانسانية إلى حضيض البهيمية وكما قال الامام زين العابدين عليه السلام:

وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

يا نفس قومي فقد قام الوري إن ينم الناس فذو العرش يرى

وأنت يا عين دعي عني الكرى عند الصباح يحمد القوم السرى

[﴿١٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَفْنَا مِنْ نَفْسِهِ وَالْهَمْنَا مِنْ شُكْرِهِ وَفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ وَجَنَّبَنَا مِنَ الْإِلْحَادِ وَالشَّكِّ فِي أَمْرِهِ

[﴿١١﴾ حَمْدًا نَعْمَرُ بِهِ فَيَمُنْ حَمْدُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَنَسْبِقُ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلَى رِضَاهُ وَعَفْوِهِ]

يشتمل النص أعلاه على عدد من القضايا المهمة:

- ١ - تعريف الله نفسه؛
- ٢ - الهام شكره لعباده؛
- ٣ - فتح أبواب العلم بالربوبية؛
- ٤ - الدلالة على الإخلاص في التوحيد؛
- ٥ - تجنب الإنسان الإلحاد.

١ - تعريف الله نفسه

أجل أنه لا طريق لمعرفة الله إلا الله نفسه وذلك عن طريق التفكير في خلق الكائنات ومن خلال ارسال الرسل وبعث الأنبياء؛ حيث نجد حصيلة ذلك في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت (عليه السلام).

ان التفكير العقلي لا يقودنا إلا إلى ان لهذا الكون والوجود خالق؛ ولكن ما هي أسماؤه الحسنی وصفاته العليا وما هي الغاية من الخلق وما هو واجب الانسان؟!

ان كل هذا لا يتأتى من خلال التفكير البشري فقط .

سوف يبقى الانسان حائراً أمام أسئلة كبرى ومصيرية، إذ لا يوجد طريق إلا من خلال القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليه السلام الذين يحملون ميرات الرسالات الالهية .

وكما قال الامام زين العابدين وأسوة العارفين عليه السلام: «بك عرفتك وأنت دلتني عليك». (١)

ان الله عز وجل سبحانه يلهم عباده معرفته، ثمّة اشارات تصل إلى الانسان من وراء أستار الغيب تدله على خالقه الذي يغمره برحمته ليل نهار. (٢)

يقول القرآن الكريم:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. (٣)

تكامل النفوس وتسامي الأرواح

النفس مبدأ حركتها من هذا الالهام الذي يأتي من أجل تعريف الذات المقدسة للعبد وغاية تحرّكها ومسارها مقام القرب والوصل والرضوان الالهي والجنة .

١. بحار الأنوار: ٨٢/٩٥؛ المصباح، للكفعمي: ٥٨٨؛ البلد الأمين: ٢٠٥.

٢. بحار الأنوار: ٢٤٠/٨٩.

قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى اللَّهِ مَا هُوَ فَقَدْ أَكْثَرَ عَلَيَّ الْمُجَادِلُونَ وَحَيَّرُونِي، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ كُسِرَتْ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةٌ تُنْجِيكَ وَلَا سَبَاحَةٌ تُغْنِيكَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَاكَ أَنْ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرْطَتِكَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنِّجَاءِ حِينَ لَا مُنْجَى وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حَيْثُ لَا مُغِيثٌ - المترجم .

٣. سورة الشمس: ٧ - ٨.

وما بين هذا المبدأ والغاية يتعين السير في الطريق الصحيح والمرور بمنازله من خلال العقائد الصحيحة والأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة وعلى قول العرفاء المنازل بدايات وأبواب ومعاملات ونهايات .

وتكامل النفوس يتم من خلال تنقيتها من شوائب الشيطان كالإلحاد والشرك والشك وبدون ذلك لا يتيسر بلوغ الغاية فمن ادعى غير ذلك فقد ضلّ الطريق ووقع في شرك الجهل .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١).

يقول سعيد الفرغاني في مضممار التكامل النفسي ومراحله :

«الإنسان وبعد تنزّله من مقام الواحدية ومرتبة الأعيان الثابتة وفي منازل العقول الطولية والدرجات البرزخية والوقوع في عالم العناصر والتعيين بالصورة المزاجية والعبور من الدرجات النباتية والحيوانية، قبل الورود في عالم الانسانية هو حيوان بالفعل وإنسان بالقوة ومحجوب عن فطرة «الذرية» ووجود مثالي جسماني، محجوب أيضاً عن الوجود الروحاني العقلاني، بمقتضى بعده عن فطرته المشعة .

ان النفس وبحكم أحكام المعوقات وخاصية التنزلات والتطورات (التكامل التدريجي) وغلبة أحكام خواص الطبيعة والانغماس في أوصاف ولوازم العادات الجسمانية غافلة عن أصل الفطرة معرضة عنها، مقبلة مستغرقة ومنهمكة في الحظوظ النفسانية وحكم الغفلة استوعب سرّ وجودها الالهي وحقيقة أثرها الروحاني وحقيقتها الانسانية .

١ . سورة التوبة : ٣١ .

والنفس المتنزلة في هذا المقام بواسطة غلبة أحكام الكثرة على مراتب وجودها المبتلاة بالانحراف عن أخلاقها وأوصافها الذاتية؛ وأثر القلب المتّصف بالوحدة والاعتدال يختفي بسبب غلبة الكثرة لفقد أثره؛ وتتغلب هكذا أخلاق وهكذا عادات حيوانية لدى بعض الأشخاص فتجعلهم في زمرة الممسوخين من النفوس المنعمرة في الطبع والواقعة في هاوية المادّة والأشخاص المتزلون في مقام ومواطن الطبائع والأجسام مختلفون.

بعض الأشخاص تتأثر قلوبهم بسرعة فيفيض عليها سرّ الوجود على حقيقتها بحكم:

قَبْلَ مَنْ قَبْلَ لَا لِعِلَّةٍ، وَرَدَّ مَنْ رَدَّ لَا لِعِلَّةٍ.

وبموجب:

جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ يُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ.^(١)

ومصدق الآية الكريمة:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.^(٢)

يلتحقون بصفوف أولياء الله وهذه الجماعة مختلفة بلحاظ القرب والبعد عن مقام الذات.

بعض من النفوس كما هي المجموعة الأولى لا تشمل بجذبات الحق من دون سعي وعمل، بمقتضى تجلّي الحق باسم الهادي؛ حيث يظهر نور الايمان من باطن وجودها، ذاتها ومظهر روحانيّتها ونفسانيّتها في سجن الطبيعة حبيسة في عالم

١. مشارق الدراري، شرح تائية ابن فارض: ٣٣.

٢. سورة البقرة: ٢٥٧.

المادة ومحجوبة عن أصل الفطرة، يأتي الخطاب إليها من باطن الذات ومظهر الروحانية والنفسانية:

﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرْيَا بَابَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. (١)

ولهذا فإن هذا النوع من النفوس التي يصلها الخطاب من الباطن تنتبه من نومتها وتخجل من غفلتها وتضييع الوقت في القصور والتقصير وتقول:

﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾. (٢)

مراحل التكامل النفسي

وهؤلاء الذين انتبهوا من غفلتهم يدركون أهمية ثلاث مراحل إذا غفلوا عنها فإن مصيرهم الهلاك والخسران العظيم:

الأولى: أن يبدأوا حركتهم من المكان الذي كانوا مستغرقين فيه فيتركوا اللذائذ الجسمانية الفانية؛ والالتزام بالأوامر والنواهي في كتاب الله وسنة رسوله في جميع الأحوال.

المرحلة الثانية: أن تصير النفس بحسب الباطن في مقام الغربة من باب إبعاد النفس عن مقارر أحكام العادات ومن خلال كسب الملكات الروحانية والأخلاق الملكوتية، وهذا الأمر متعلق بمقام الإيمان.

المرحلة الثالثة: وهي متعلقة بمقام الاحسان من باب أن النفس تعبر بحسب سر وجودها من ناحية الفناء من أحكام القيود العارضة على الروح والدخول في باب المشاهدة؛ منجذبة إلى عين التوحيد؛ فتصل عن طريق الفناء من كثرة الأغيار إلى

١. سورة يوسف: ٣٩.

٢. سورة الزمر: ٥٦.

مقام مشاهدة عين الوحدة.

وعلينا أن ندرك أن للاحسان مراتب، لأن النفس بعد الانتباه والصحوّة تعبر من مقام الطبع وعالم الحيوان وتتدرج بحسب التكامل في مراتب عالم المعنى؛ ولذا فان كتاب التكوين مثل كتاب التشريع له سبعة بطون ظاهرها عالم الطبع والمنازل بعد الطبع تعدّ بواطن الوجود.

لِأَنَّ لِلنَّفْسِ مِنْ حَيْثُ قُوَّتِهَا الْعَامِلَةِ فِي ضَبْطِ الْأُمُورِ الدُّنْيَاوِيَّةِ بَطْنًا أَوَّلًا،

وَلِسَانُهُ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. (١)

وَطَلَبُ صَاحِبِهِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾. (٢)

وَلِلنَّفْسِ مِنْ حَيْثُ عُيُورِهَا إِلَى طَلَبِ الْأُمُورِ الْآخِرَوِيَّةِ مِنْ جَهَةِ قُوَّتِهَا الْعَاقِلَةِ

الْمُنَوَّرَةِ بِنُورِ الشَّرْعِ بَطْنًا ثَانِيًا.

وهذه المرتبة مختصة بعموم المسلمين والمؤمنين ويعتبرها الشيخ الكبير صدرالدين الرومي أول مراتب الاحسان.

وقد قيل في هذا المضمار:

الْإِحْسَانُ فِعْلٌ مَا يَنْبَغِي لِمَا يَنْبَغِي كَمَا يَنْبَغِي. (٣)

أَعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. (٤)

وهذه المرتبة تعدّ من أواسط مراتب الاحسان ويعتبرون مقام العبادة بدون «كأن» في درجات الاحسائيّة.

١. سورة الروم: ٧. ٢. سورة البقرة: ٢٠٠.

٣. مشارق الدراري، شرح تائية ابن فارض: ٣٥.

٤. بحار الأنوار: ٢٩/٤؛ الأمالي، شيخ طوسي: ٥٢٦؛ عوالي اللآلي: ٤٠٥/١.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

لَوْ كُثِفَ الْغِطَاءُ مَا أَرْدَدْتُ يَقِينًا^(١)

مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ^(٢)

وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ^(٣)

وَالآنَ قِيَامَتِي قَائِمٌ^(٤)

وَكُنْتُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ...^(٥)

أوجه النفس

للنفس ثلاثة أوجه:

وجه على تدبير البدن من ناحية القوى الوسيطة بين النفس والبدن.

وجه «توجه النفس بقواها إلى تدبير البدن والعمل على وفق الشرع»^(٦).

وهذه بداية الاستعداد للسير والحركة نحو منازل الحق.

وللنفس علاوة على النظر إلى قواها باتجاه تسيط القوى؛ فان لها نظر إلى

نفسها من ناحية تعدد الصفات وتسكين الحدة؛ وهذا من باب دخول النفس من

الظاهر إلى الباطن وباب مدخل الروح من شهادة النفس إلى مقام غيبها، ولأن هذا

الأمر له مراتب فقد عبر عنها علماء الأخلاق بـ «الأبواب».

١. بحار الأنوار: ١٥٣/٤٠؛ غرر الحكم: ١١٩.

٢. الكافي: ٩٨/١، باب في ابطال الرؤية... حديث ٦؛ بحار الأنوار: ٣٠٤/٤.

٣. بحار الأنوار: ١٩٣/٧٩؛ وسائل الشيعة: ١٤٤/٢.

٤. مشارق الدراري، شرح تائبة ابن فارض: ٣٦.

٥. بحار الأنوار: ١٤٩/٥٨؛ بحار الأنوار: ٢٦٩/٧١.

٦. مشارق الدراري، شرح تائبة ابن الفارض: ٣٢ - ٣٦.

القسم الثالث عبارة عن وجه تتوجّه به النفس إلى باطنها حيث مرتبة الروح وسرّ بهدف الاستمداد من الباطن وقبول المدد الالهي وقد دعوا هذا القسم بـ «قسم المعاملات»^(١).

هذه حقائق تشرق على قلب الانسان الطاهر من جانب الحق؛ وهذا الالهام هو الباعث على الحركة نحو البدايات والأبواب والمعاملات وهي في مجموعها ألف منزل وقد بيّنها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ومثال ذلك ما قال الامام السجاد عليه السلام:

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَّفْنَا مِنْ نَفْسِهِ».

ان صحوة الانسان واشراق الوعي على قلبه وتوجّهه إلى ما يحيطه من عناصر الوجود والانطلاق من تأملاته في طريق معرفة الخالق ومن ثمّ عرفان النعمة وشكر المنعم؛ إنّما هو في الحقيقة إلهام إلهي وتوفيق ربّاني من أجل هداية الانسان إلى طريق الكمال.

وعندما يصغي الانسان إلى رسول الله ورسالاته ويتبع أوليائه فان هذا نعمة كبرى ينعمها الخالق تبارك وتعالى على عبده.

«فيضي الهندي» الذي يعدّ من أبرز شعراء القرن العاشر في شبه القارة الهندية يقول في أشعار له عرفانية:

يا ازلي الظهور يا أبدي الخفاء

نورك فوق النظر حسنك فوق الثناء

ويسترسل الشاعر في تمجيد الحق تبارك وتعالى.

١. مشارق الدراري، شرح تائيّة ابن الفارض: ٣٢ - ٣٦.

التعقل في الخلق

إنّ التأمّل في الخلق والغوص في أسرار الوجود وألغاز الكون ويسبر تشابك وشائجه والقوانين التي تسيّره؛ فانه ولا بدّ أن يدعن إلى أن وراء هذا العالم المثير خالق عظيم قادر حكيم بديع عليم.

هذا الوجود كتاب عظيم يتصفّح الانسان أوراقه ويتعمّق في كلماته كلمة كلمة وسطراً سطراً ولسوف يذهل عن نفسه لو حاول أن يرصد مواقع النجوم والمجرات والسدم في أعماق الفضاء السحيقة!

وهذا القرآن الكريم ما انفك يدعو الانسان إلى أن يفكّر ويتعقّل ويتأمّل ويتدبّر ذلك ان معرفة الله يجب أن تنهض على أساس عقلي متين فالتقليد في الايمان بالله والتوحيد واسس العقيدة الدينيّة حرام؛ وقد ذمّ القرآن الانسان الذي يقلّد في عقيدته فالعقيدة يجب أن تنهض على اسس عقليّة.

﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾. (١)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. (٢)

ذلك ان مبني العلم ينهض على الاستدلال والبرهان والقرآن ينتقد الذين يجادلون من دون دليل أيا كانت عقائدهم وأفكارهم و«الكافي» وهو في طليعة الكتب الحديثيّة و«من لا يحضره الفقيه» و«التوحيد» و«بحار الأنوار» تزخر بمئات الأحاديث حول العقل والدليل العقلي.

يقول ابن سينا الفيلسوف الكبير:

مَنْ قَالَ أَوْ سَمِعَ بَغَيْرِ دَلِيلٍ فَلْيُخْرِجْ عَنْ رِبْقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

١. سورة النحل : ١٢٥.

٢. سورة الحج : ٨.

فكلّ بناء لا ينهض على أسس صلبه سوف ينهار لأقل نسمة فما بالك بعواصف الشكّ.

وهل يمكن بناء عمارة من عشرين طابق على أساس من طين؟! هذه هي الحقيقة في كلّ حقول العلم والمعرفة الماديّة فكيف بالعلوم والمعارف الالهية؟

أجل لا يمكن بناء عقيدة على أساس تصوّرات سطحيّة أو تقليد ساذج بسيط.

الطريق إلى معرفة الله

أقرأ نهج البلاغة! وأقرأ «توحيد المفضل»! وأقرأ تراث أهل البيت عليهم السلام هل تجد سوى الدعوة إلى الايمان على أساس العقل؟ هل تجد سوى الدعوة إلى التأمل في خلق الله لادراك عظمة الخالق؟

وانه لمن بديهيات العقل ان الأثر يدلّ على وجود المؤثر وعلى صفاته وخصائصه أيضاً إلى حدّ كبير.

نحن البشر لا يعرف أحدنا عن الآخر عن ضميره ونواياه شيئاً وكيف لي أن أعرف انساناً هكذا دون أن أعرف فكره وأخلاقه وصفاته؟ اننا نعتقد بعلميّة شخص ما ونقول عنه انه عالم فما هو الدليل على ذلك؟! أليس من مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته؟!!

ان آثاره العلميّة التي اطلعنا عليه هي التي جعلتنا نكون عنه هذه الفكرة. إنّنا اليوم لا نشكّ مثلاً في علميّة وعبقرية مؤلف «جواهر الكلام» المعروف بـ «صاحب الجواهر» ومع اننا لم نره غير أن أثره الكبير «جواهر الكلام» دليل قاطع على أنّه مؤلّف كبير وفقه كبير.

فهل خطر في بالنا يوماً أن نقول العكس وأن نتصور أن هذا الكتاب القيم قد ظهر صدفة من دون أن يكون وراءه مؤلف أو فقيه.

يقول «كورسى موريسون» في كتابه «أسرار خلق الانسان»:

«ضع في جيبك عشر مسكوكات مرقمة من واحد إلى عشرة ثم بعثرها في داخل الجيب وبعد ذلك استخرجها الواحدة بعد الأخرى ان احتمال استخراج المسكوكة رقم (١) يعادل في حساب الاحتمالات $\frac{1}{10}$ ، أما احتمال استخراج المسكوكة رقم (١) ثم المسكوكة رقم (٢) فسيكون $\frac{1}{100}$ واحتمال استخراج المسكوكة (١) ثم (٢) ثم (٣) بهذا الترتيب سيكون $\frac{1}{1000}$ وهكذا يتضاءل الاحتمال على نحو المتواليّة الهندسيّة بحيث يصل احتمال استخراج المسكوكات من (١) إلى (١٠) بالترتيب هو (١) إلى عشر مليارات، وهذا مثال بسيط لحساب الاحتمالات في الصدفة».^(١)

إن مجموع الظروف والعوامل التي تجمعت وتوافرت لظهور الحياة على سطح الأرض لا يمكن أن تكون قد حصلت هكذا صدفة؛ إذ أنه في حساب الاحتمالات تبلغ النسبة صفرًا ولا بدّ من الازدعان إلى وجود القوّة الذكيّة التي أوجدت الحياة ومن قبل أوجدت جميع الكائنات.

عالم الأحياء

هذا العالم الزاخر بالعجائب، العالم المدهش بظواهره وأسراره، هذا العالم الذي يستند إلى نظام الزوجيّة «ذكر وأنثى» ثم يبدأ مسلسل التكاثر، هل يمكن القول أنّه وجد دون هدفية أو غاية!

١. أسرار خلق الانسان: ٩.

حصيلة الالهام الالهي

كلّ هذه العلوم وكلّ هذه الأفكار والفلسفات وكلّ هذا التاريخ من الحكمة من أجل معرفة الحقّ؛ كلّ هذه الاشعار العرفانيّة في معرفة المحبوب؛ كلّ هذا السعي من أجل تحصيل الحقيقة، إنّما هو حصيلة الالهام الالهي للبشر؛ فهو سبحانه الذي يلهم عباده ويعرّفهم نفسه، ولو لا هو ما اهتدى إليه المؤمنون.

الالهام الالهي هو من وراء الكشوفات العلميّة والعقائد الحقّة وهو من وراء قيام الحضارات المشرقة وهو من وراء ما يشرق من الوعي على القلوب الصافية.

البروتوبلازم سرّ الحياة المكنون !

يقول علماء البيولوجيا: «إنّ أساس الحياة في البروتوبلازم هي مادّة الحياة ذاتها والبروتوبلازم بالتالي مرتّب في وحدات صغيرة تسمّى الخلايا وهو الجزء الأساسي في كلّ خلية، والخلية هي التي تنظم جميع عمليّات الحياة من قبيل امتصاص الماء والكيماويّات وصناعة الغذاء وعمليّات التنفّس والنمو والهضم والتجديد وباختصار جميع الوظائف التي تكوّن الحياة.

ولقد قام علماء البيولوجيا بدراسات كثيرة على الخواص الطبيعيّة والتركيب الكيماوي للبروتوبلازم وهم يعرفونه على أنّه سائل لزج ومطاط إلى حدّ ما وهو يشبه زلال البيض في خواصّه المرئيّة ويختلف اختلافاً كبيراً باختلاف الكائنات، كما أنّه يختلف باختلاف الأجزاء في الكائن الواحد.

وعندما يرى تحت مكروسكوب قوي أنّه يظهر كأنّه سائل صاف «هيالوبلازم» يحتوي على جسيمات دقيقة عالقة مختلفة الحجم والشكل والكميّة.

والمعتقد ان هذا المزيج من السوائل والجسيمات يملأ الفراغ بين جزيئات

البروتين السلسلية المتصلة في تشكيل شبكي؛ ويكون الماء معظم وزن هذه المادة الحية وغالباً ما تصل النسبة إلى ٩٥٪ من المجموع الكلي كما أنها تحتوي أيضاً على الدهون والسكر والمعادن بكميات متفاوتة.

وأهم مركبات «البروتوبلازم» البروتينات التي تتكون من الكربون والهيدروجين والاكسجين وانترجين والكبريت والفسفور وهذه المركبات هي المواد الأساسية للحياة».

ويقف العلماء حائرين أمام طبيعة البروتوبلازم «الحيّة» ترى ما السبب في أنها «حيّة»؟! وما هو الشيء «الحي» فيها؟!

أهو الماء أم جزيئات البروتين؟ أم أنها حبيبات (جسيمات) المادة العالقة؟! وهنا يصابون بالخيبة عندما يقومون بتحليل كل مركب من هذه المركبات؛ اذ انه يظهر خالياً من الحياة تماماً خارج الخلية!!!

واتضح لهم ان اجتماعها وتفاعلها بعضها مع بعض هما اللذان يهبان الحياة للجميع!!!

ولا تزال طبيعة هذا «الاقتران» أو «نظام الحياة» سرّاً خفياً!!
والحقيقة الكبرى الساطعة هي أن «البروتوبلازم» لا يمكن انتاجه إلا من بروتوبلازم سابق الوجود!! ذلك أنه لا ينشأ من نفسه من عناصر خالية من الحياة!!!

ولا تزال طبيعة البروتوبلازم الحيّة محيرة ومثيرة متحدّية علم البيولوجيا^(١)

١. أورد العلامة الأستاذ أنصاريان فصلاً عن أسرار الخلق في عالم النباتات، وبسبب تعقيدات

➤ الموضوع وعدم التوفر على مصادر عربية وضرورة ترجمة الاصطلاحات العلمية رأى المترجم أن يورد فصلاً في أسرار خلق الانسان تحت عنوان «أطوار خلق الانسان»:

مقدمة

بقدر ما في مسألة خلق الإنسان من الأسرار والألغاز التي تتطلب البحث، وبقدر ما وقع عليه العلم في هذه المسألة الشيقة من بدائع وروائع، نجد في كتاب الحق تبارك وتعالى اهتماماً كبيراً وتذكيراً مستمراً بها، كما نجد حثاً للنظر فيها، وذلك لما تنطوي عليه من آيات للموقنين الذين يفكرون بعقولهم لا بأهوائهم، وللناظرين بأبصارهم وبصيرتهم، وللباحثين عن الحقيقة بصدق وجدان ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥].

والناظر في مشاهد تخلق الانسان المتتابعة، والتي تبتدئ بتلك النطفة الضعيفة، لتنتهي بخروج مخلوق سوي، حسن الخلقة، يحمل بين جنبيه قلباً نابضاً بالحب والأشواق والعواطف، ويملك عقلاً مفكراً ومبدعاً، ونفساً تواقفة للبحث والكشف وسبر أغوار المجهول... هذا المخلوق الذي يكبر وينمو ليكون عضواً فعالاً على سطح الأرض، وقد يترك في تاريخ البشرية ما لا تنساه الأجيال... أجل إن الناظر في هذه الرحلة الشيقة لا يملك إلا أن يسجد خاشعاً لله في محراب هذه الحياة، وهو مشدود ومشدود إلى هذا الخالق المبدع العظيم، الذي أحسن كل شيء خلقه... ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥].

ويضع الله تبارك وتعالى هذه الآيات البيّنات بين يدي المتشكّكين بالبعث ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرُّوا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥].

وبمقارنة الحقائق التي تُظهرها هذه الآية وحدها مع النظريات التي تكلمت عن تخلق الانسان ونشأته والتي كان أولها نظرية التخلق السبقي، والتي تقول بأن الانسان يكون

➤ بكامل أعضائه في النطفة التي يضعها الرجل في المرأة، ومهمة المرأة هي فقط حضن هذه النطفة لتكبر وتنمو بالحجم فقط، بهذه المقارنة نلمس الإعجاز الطبي الكبير الذي تقدّم به القرآن للبشر.

وفي بحثنا هذا سنتعرّض للمشاهد التي أشار إليها القرآن حول رحلة الانسان الطويلة، من التراب إلى التراب، بكلّ ما تحويه هذه الرحلة من الروعة والجمال، وبما تنطوي عليه من الأسرار والحكم، وبما تحويه أيضاً من الترتيب والتعقيد، وبما تشير إليه من سنن الكون التي لا تتبدّل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

أوليات الخلق: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] ففي الآية الأولى إشارة إلى خلق الانسان من التراب، وفي الثانية من الماء، ثم نجد في آية ثالثة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] وما الطين سوى مزيج من التراب والماء. وهكذا ففي الآيات السابقة إشارة إلى أن أصل الانسان ومعدنه الأساسي هو من طينة هذه الأرض ومن معدنها، وبشكل أدق: خلاصة من هذه الأرض (سلالة من طين)... فماذا يقول لنا المخبر عن ذلك؟

- يقول التحليل المخبري: إنه لو أرجعنا الانسان إلى عناصر الأوليّة لوجدناه أشبه بمنجم صغير، يشترك في تركيبه حوالي (٢٢) عنصراً، تتوزّع بشكل رئيسي على:

١ - أكسجين (O)، وهيدروجين (H) على شكل ماء بنسبة ٦٥ - ٧٠٪ من وزن الجسم.

٢ - كربون (C)، وهيدروجين (H) وأكسجين (O) وتشكل أساس المركّبات العضويّة من سكريات ودسم وبروتينات وفيتامينات، وهرمونات أو خمائر.

٣ - مواد جافّة يمكن تقسيمها إلى:

أ - سبع مواد هي: الكلور (CL)، والكبريت (S)، والفسفور (P)، والمغنزيوم (MG) والكلس (Ca)، والبوتاسيوم (K) (Na)، وهي تشكّل ٦٠ - ٨٠٪ من المواد الجافّة.

ب - سبع مواد أخرى بنسبة أقل هي: الحديد (Fe)، والنحاس (Cu)، واليود (I)، والمغنيز (Mn)، والكوبالت (Co)، والتوتياء (Zn)، والمولبيديوم (Mo).



جـ- ستة عناصر بشكل زهيد هي: الفلو (F)، والالمنيوم (Al)، والبور (B)، والسيليونيوم (Se)، والكادميوم (Cd)، والكروم (Cr).

وما نلاحظه من هذا الاستعراض الموجز لأوليات الكائن أنها:

أولاً: تتركب أساساً من الماء ونسبة عالية حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يستمر حياً أكثر من أربعة أيام بدون ماء، رغم ما يمتلكه من إمكانيات التأقلم مع الجفاف، وينطبق ذلك على جميع الكائنات الحية فتبارك الله إذ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ثانياً: كل هذه العناصر موجودة في تراب الأرض، ولا يشترط أن تكون كل مكونات التراب داخلة في تركيب جسم الإنسان، فهناك أكثر من مئة عنصر في الأرض بينما لم يكتشف سوى (٢٢) عنصراً في تركيب جسم الإنسان، وقد أشار لذلك القرآن حيث قال: (من سلالة من طين) وفي ذلك إعجاز علمي بليغ.

مصانع الأعراس: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] منذ أن يكون الإنسان مضغة في بطن أمه، ينشأ ارتفاعان صغيران من الحبل الظهري Notocord (الذي سيشكل فيما بعد العمود الفقري) يستميان الشامختين التناسليتين Genital tilge ومن هاتين الشامختين يبدأ التمايز الجنسي للجنين. فإذا كان مقدراً له أن يكون ذكراً، تبدأ هاتين الشامختين في الأسبوع السادس من عمر المضغة بتشكيل نسيج مشابه لنسيج الخصيتين يفرز الهرمونات الذكورية Androgen التي تحت على تشكّل الجهاز التناسلي الذكري أثناء الحياة الجنينية وتقوم هاتين الخصيتين عند البلوغ بإنتاج النطاف أو ما يسمى بالأعراس الذكورية، ويستمر إنتاج النطاف إلى سن متقدمة.

أما إذا كان مقدراً للجنين أن يكون أنثى، فإن هاتين الشامختين تتمايزان لتشكّلا نسيجاً يشبه نسيج المبيض، وذلك في الأسبوع العاشر، ويتطور الجهاز التناسلي الانثوي بسبب غياب الهرمونات الذكورية، وليس بسبب وجود الهرمونات الأنثوية، وهكذا يتشكل المبيضين، هذان المبيضان هما مصانع الأعراس الأنثوية «البويضات Ovum» حيث يحويان منذ نشأتهم حوالي (٤٠٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠٠) جريب ابتدائي يبقى منها حوالي (٣٥٠٠٠ -

➤ (٤٠٠٠٠) جريب، ولكن ما ينضج منها خلال فترة الإخصاب عند المرأة هو حوالي ٤٥٠ - ٥٠٠ فقط، بحيث يقدم كل مبيض، بيضة أو (عروساً أنثوية) كل شهرين وذلك بالتبادل مع المبيض الآخر، وهكذا يكون هناك كل شهر عروس جاهزة للإلقاح، وتظل المرأة بذلك أرضاً مخصصة للزرع والعطاء لمدة خمس وثلاثين سنة تقريباً... وهكذا فكل شيء محسوب ومقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وهكذا تقوم كل من الخصيتين والمبيضين اللذين نشأ أصلاً من ظهر الإنسان بتقديم الأعراس التي تلتقي في عرس الحياة لتعطي نسل الإنسان، وبذلك نفهم كيف تؤخذ ذرية الإنسان من صلبه، وندرك الإعجاز الكبير الذي جاء به القرآن منذ أربعة عشر قرناً.

من أسرار الهجرة: قلنا إن الخصيتين تكونان على جانبي العمود الفقري في الحياة الجنينية، وعند ما يولد الطفل تكونان في كيس الصفن، فمن دفعهما لهذه الهجرة الشاقة التي تستمر حوالي ستة أشهر، تجتازان خلالها جوف البطن بكامله.؟ ولماذا هذه الهجرة؟... إنها أسرار الهجرة التي هي بعض أسرار الحياة التي ما إن يكتشفها الإنسان حتى يعلم فضل الله عليه.

ومما وقع عليه الطب من الحقائق حول هجرة الخصيتين يجعلنا نتلمس بعض جوانب هذه الأسرار بخشوع وذهول، ومن هذه الحقائق:

أولاً: الخصية التي لا تهاجر ضعيفة، ولا تستطيع إنتاج الأعراس الذكرية، لأنها لا تقدر على النمو والعمل في جو البطن، حيث درجة الحرارة حوالي ٣٧/٥ م، ولكنها تستطيع ذلك في كيس الصفن حيث درجة الحرارة حوالي ٣٣ - ٣٤ م.

ثانياً: الخصية التي لا تهاجر معرضة بنسبة كبيرة جداً لأن تصاب بسرطان الخصية، إذاً، فالهجرة خصب ونماء، والقعود جَدْب وفناء.

عرس الحياة

إذا كانت أعراسنا الاجتماعية لا تخلو من شيء من الفوضى أو التناقضات، وإذا كانت احتفالاتنا لا تخلو من نقص في الترتيب، أو خطأ في اختيار الوقت المناسب لها، فليس شيء من ذلك في عرس الحياة، العرس الذي يحفظ النسل، ويدفع بالحياة إلى الأمام



➤ باستمرار، فلنقف على بعض أحداث هذا العرس المهيّب .

- من مراسيم العرس : مع مطلع الشهر، ويأمر من ملكة الغدد الصماء (الفص الأمامي للغدة النخامية) وتحت إشراف مركز المراقبة العليا في قشرة الدماغ Cortex، تبدأ إحدى فتيات المبيض (إحدى الجريبات الابتدائية) بالاستعداد لأن تكون عروس الشهر، فتكبر بالحجم بشكل ملحوظ، وتتكاثر من حولها الخلايا الجريبية المحيطة بها، وتقرز هذه الخلايا هرمون الجريبين *Ostrogen*، فيتجمع قسم من هذا الهرمون في السائل الجريبي داخل الجريب نفسه، ويمتص الدم القسم الآخر منه، وتحت تأثير هذا الهرمون تحصل تغيرات عديدة في مخاطبة الجهاز التناسلي، وخاصة في المهبل والرحم والبوقين، فتتمو غدد هذا الغشاء، وتزداد عناصره الخلوية، وتنمو أوعيته الدموية وتحتقن، وبذلك تزداد سماكته حوالي ٤ - ٥ أضعاف، حتى إذا حصلت الإباضة في اليوم الرابع عشر من الشهر، كان هذا الجهاز على أتم استعداد لإستقبال وفد العريس الضيف . ومما يلفت الإنتباه هو ذلك السائل الشفاف اللزج، والقلوي التفاعل الذي يلاحظ على عنق الرحم في وقت الإباضة تماماً، ويستمر ليومين فقط، هذه المادة تجذب النطاف، وتزودهم بمقدرة على اجتياز جوف الرحم والبوق بشكل جيد في سباقها المثير نحو العروس « البويضة » .

أما البويضة، فعند ما تطل من حجرتها « المبيض » بواسطة عملية الإباضة، *Ovulation* تكون محاطة بتاج شعاعي من الخلايا الجريبية، كأحلى ما تكون العروس في يوم زفافها فهي ناضجة تماماً، وتكون قد كبرت بالحجم حوالي ٥ - ٦ مرات، وتعرضت لانقسامين : أولهما خيطي، والثاني مُنَصَّف يتم فيه اختزال العدد الصبغي إلى النصف، فيصبح ($2n + X$) بعد أن كان ($4n + 2X$) في الجريب الابتدائي . وهكذا تصبح البويضة جاهزة لتضم النطفة إليها، ولتشيد معها ذلك البناء العظيم، الا وهو الإنسان، قال تعالى في سورة الدهر : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الدهر : ٢ - ٣] .

ولكي تكتمل المراسيم، وتتم عملية الإلقاح في أحسن جو، فإن تلك القرية من السائل الجريبي التي تجمعت خلال تطور الجريب، تنسكب مع البويضة في جوف البطن أثناء عملية الإباضة، وبسبب غناء هذا السائل بهرمون الجريبين *Ostrogen*، فإن امتصاصه للدم



➤ بسرعة يؤدي لتغير مزاج المرأة بشكل يتلائم مع غريزة الإلقاح، حيث يزيد من توترها الجنسي، وميلها النفسي، وميلها النفسي للجماع، وفي ذلك حكمة مدبرة، حيث إن هذه الفترة هي أكثر أيام الشهر إخصاباً.

موكب العريس: قال تعالى في سورة الطارق: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَاقٍ﴾ [الطارق: ٥ - ٦]

موكب العريس سباق جبار بين نصف مليار نطفة، يبدأ هذا السباق من مهبل الأنثى، وينتهي ليس بالوصول إلى العروس فقط، وإنما ينتهي بقفزة النصر ألا وهي اجتياز جدار البيضة الشفاف، فما يصل إلى البيضة عشرات النطاف، لكنها لا تستطيع الدخول إليها كلها، «وتجذب البيضة من هذه النطاف الكثيرة واحدة فقط، وذلك بالإنجذاب الإيجابي الذي تتحلى به Positive chimotoxie، فيظهر على سطحها بمحاذاة هذه النطفة نساء هيولي، يدعى مخروط الجذب Attraction cone: وهي البقعة التي سيجتاز منها الحيوان المنوي الغشاء الشفاف» وبعدها تحدث أحداث خلوية دقيقة وغريبة، تنتهي بالتحام نواتي النطفة والبيضة، فيكتمل العدد الصبغي، ويطلق عندئذ على البيضة الملقحة اسم البيضة Zygote، وتكتسب البيضة باللقاح قوة حيوية جديدة على الحياة والإنقسام والنمو لتكوين الجنين، وبذلك يشترك الوالد والوالدة في إراث صفاتهما لوليدهما.

وهكذا نجد أن من بين مئات الملايين من النطاف التي بدأت السباق، لا يصل سوى العشرات إلى البيضة، وتموت النطاف الباقية صرعى على الطريق، ومن تلك العشرات التي وصلت، تدخل البيضة نطفة واحدة فقط، لتشاركها في عملية الإلتحام المصيري، ويمكن استشفاف ذلك من قوله تعالى وهو يذكر الإنسان حيث كان نطفة من نصف مليار، كلها متجه إلى البيضة فقال في سورة القيامة: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى﴾ [القيامة: ٣٧]: وقوله في سورة السجدة: ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]، فحرف «من» في هاتين الآيتين تبعية كما يسميها النحاة، وتعني هنا أنه شيء قليل من شيء كثير. وكذلك لفظة «سلالة» والطريف في هذا السباق أن النطاف بعد أن تجتاز جوف الرحم لا تدخل إلا إلى البوق الذي يحوي البيضة، ولا تدخل في البوق الآخر، فتبارك الله الذي قدر فهدى، والذي علم النطاف أين تسير.

➤ وفوق ذلك كله تشترط الببيضة على الفائز الأول أن يلاقيها في الثلث الأخير - البعيد - من البوق، وهو شرط أساسي لا يتم الإلقاح إلا بتحقيقه والحكمة في ذلك بالغة جداً، فلنكي يتم العلوق أو التعشيش Implanatoin يلزم أن يتحقق شرطان وهما:

١ - تطور الببيضة الملقحة لمرحلة تصبح معها قادرة على العلوق في جدار الرحم بواسطة الخلايا المغذية.

٢ - أن يكون غشاء الرحم المخاطي قد تهيأ لاستقبال الببيضة الملقحة تلك، وذلك بتكاثر غدده، وزيادة مفرزاته، وبإدخال مولد السكر «الجليكوجين» والكالسيوم والبروتين في خلاياه. وهذا يتحقق بتأثير هرمون البروجسترون الذي يفرزه الجسم الأصفر، الذي هو محور الخلايا الجريبية التي بقيت في المبيض بعد الإباضة.

وهذان الشرطان يتحققان خلال الفترة التي تقضيها الببيضة الملقحة في مسيرها من الثلث البعيد للبوق إلى جوف الرحم، وتقدر هذه المدة بـ (٧ - ١٠) أيام، وهكذا نجد وباستمرار أن كل شيء يسير نحو هدف واحد، بتعاون وتقدير محكم، وصدق الله إذ يقول في سورة الرعد: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] وفي سورة القمر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ظاهرة غريبة في آليات المناعة الحيوية:

ونحن نقف أمام هذا المشهد الرائع من علاقة التعاون والحب بين النطفة والببيضة في عرس الحياة، حيث تعطي عملية الإلقاح للعروسين قوة حيوية جديدة للحياة والتكاثر، وإذا لم تتم عملية الإلقاح فالموت مصيرهما، ونحن نرى هذا الاستعداد العام والخاص عند الفتاة، فتبدي استعداداً نفسياً وعصبياً كما بينا سابقاً، ويظهر الجهاز التناسلي عندها حفاوةً بالغة للضيف العزيز، فيقدم له الفرش والغذاء رغم أنه في حقيقته جسم غريب تماماً... وإذا ما تذكرنا خاصية المناعة التي يتميز بها الجسم الحي أمام العناصر الغريبة التي تحاول دخوله، حيث تتحرك كل آليات المناعة وكل وسائل المقاومة التي يمتلكها للقضاء عليه... نشعر فعلاً أننا أمام ظاهرة غريبة في آليات المناعة الحيوية، رغم أنها تكرر في كل ثانية مئات المرات، وهكذا ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]



أطوار التخلق الإنساني

قال تعالى في سورة نوح: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ [نوح: ١٣ - ١٤]. يبين تبارك وتعالى أن تخلق الإنسان إنما يتم على أطوار متتالية، ثم يشير في سورة المؤمنین إلى أهم هذه الأطوار حيث يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

إن الناظر اليوم، في هذه الآيات البيّنات وهو يضع في جعبته حقائق القرن العشرين عن علم الاجنة Embryology يشعر بأن الله تبارك وتعالى إنما خصه هو بهذه الآيات، وإن كانت قد نزلت منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، لأنها تخاطبه باللغة التي يتباهي بها اليوم!! فهذه الآيات تحوي على إيجازها أهم أطوار تخلق الجنين في بطن أمه وهي (النطفة، والعلقة، والمضغة، ومرحلة تخلق الأجهزة، ثم الخلق الآخر) هذه الأطوار التي استخدم لها القرآن ألفاظاً لم يستطع العلم الحديث إلا أن يستخدمها، وبذلك نجد أن الآيات القرآنية قد جاءت إضافة لإعجازها العلمي بإعجاز بلاغي فريد ومدّ هش. والآن لنسر مع آيات القرآن في تلك الأطوار التي أشارت إليها:

- من النطفة إلى العلقّة: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ [المؤمنون: ١٤]: ما إن يتم التحام النطفة بالبيضة، حتى تباشر البيضة الملحقة بالانقسام إلى خليتين، فأربع، فثمان، وهكذا... دون زيادة في حجم مجموع هذه الخلايا عن حجم البيضة الملقحة، وتتم عملية الانقسام هذه والبيضة في طريقها إلى الرحم، تدفعها حركة أهداب البوق، والتقلصات العضلية المنتظمة لعضلات جدار البوق. حتى إذا وصلت إلى الرحم كانت كتلة من الخلايا الصغيرة الضلعة، يطلق عليها اسم التوتة Marula حيث تشبه ثمرة التوت بتقسيمها الخارجي، ثم لا تلبث الخلايا السطحية، لهذه الكتلة ان تفترق عن الخلايا الداخلية، وتصبح بشكل خلايا أسطوانية، ومهمة هذه الخلايا تأمين الغذاء وتسمى بالخلايا المغذية - Troph blast وبذلك يصبح محصول الحمل قابلاً للتعشيش، فتغرس الخلايا المغذية



➤ استطالاتها في مخاضة الرحم ، وتستمر عملية العلق مدة (٢٤) أربع وعشرين ساعة ، وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقه . وقد لا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة بالعلقه إلا من شاهد تلك الكتلة الخلوية وهي عالقة علوقاً - وليس التصاقاً - بواسطة تلك الاستطالات التي تذكر الإنسان بتلك اللحظات التي كان فيها مجموعة خلوية عالقة بجدار رحم الأم ، تستمد منها الدفء والغذاء والسكن ، فيقول في أول سورة نزلت من القرآن ، وأسماها الحق تبارك وتعالى بالعلق : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١ - ٢] .

- من العلقه إلى المضغة : ﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

بعد عملية العلق تبدأ مرحلة المضغة في الأسبوع الثالث ، بتشكيل اللوحة المضغية ، وذلك ابتداءً من الخلايا المضغية Ectoderm ، وهي الخلايا التي بقيت بعد انفصال الخلايا المغذية . واللوحة المضغية هي عبارة عن قرص مؤلف في البدء من وريقتين : خارجية Embryoblast ، وداخلية Endoderm ، ثم تتشكل بينهما وريقة ثالثة هي الريقة المتوسطة Mesoderm ، وحتى نهاية الأسبوع الرابع لا يكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز ، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة بالمضغة غير المخلقة . ثم يمر الحمل في أدق مراحلها وأصعبها ، حيث يطراً على اللوحة المضغية المؤلفة . ثم يمر الحمل في أدق مراحلها وأصعبها ، حيث يطراً على اللوحة المضغية المؤلفة من الوريقات الثلاث جملة تغيرات نسيجية هادفة ومدهشة ابتداءً من الأسبوع الخامس ، وتسمى بعملية التمايز Defferentiation ، أو كما أسماها القرآن « التَّخَلُّق » ، فكل زمرة من خلايا هذه الوريقات تأخذ على عاتقها تشكيل واحدٍ من أجهزة الجسم أو أعضائه ، وذلك في إطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة ، وهي تنمو وتتطور ، ليكون الإنسان في أحسن تقويم ، وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريباً ، ويكون طول الجنين عندها (١٠) سم ، ويزن حوالي (٥٥) غ . ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة المضغة المخلقة . فطور المضغة يمر إذاً بمرحلتين : المرحلة الأولى حيث لم يتشكل فيها أي عضو أو جهاز وأسميناها مرحلة المضغة غير المخلقة ، والمرحلة الثانية حيث تم فيها تمييز الأجهزة المختلفة وأسميناها مرحلة المضغة المخلقة ، وهكذا يتضح جلياً إعجاز القرآن الكريم في وصفه لطور المضغة بقوله : ﴿ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ ﴾



❖ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ ﴿[الحج: ٥].

اللغز المُحِير: لابد أن يستوقفنا ونحن نتكلم عن عملية التخلق سؤال هام، وهو: كيف يمكن للخلايا المضغية Embryoblast المتماثلة تماماً في بنائها أن تعطي هذه الوريقات الثلاث «الداخلية والخارجية والمتوسطة» المختلفة عن بعضها البعض؟ ثم كيف يمكن للخلايا المتماثلة في كل وريقة على حدة أن تعطي الأجهزة المختلفة في بنائها ووظائفها وخصائصها؟... فالوريقة الخارجية مثلاً يتشكل منها: الدماغ، والاعصاب، وبشرة الجلد ولواحقه من الغدد والأشعار والأغشية المخاطية بالفم والأنف. والوريقة المتوسطة يتشكل منها: القلب والأوعية الدموية، والدم، والعظام، والعضلات، والكليتين، وأدمة الجلد، وقسم من الغدد الصماء. أما الوريقة الداخلية، فيتشكل منها: مخاطية الجهاز التنفسي، والطريق الهضمي، والغدة الدرقية، والغدة جار الدرقية، والكبد، والبنكرياس... وهكذا. أجل، كيف تم ذلك؟ ومن الذي دفع هذه الخلايا المتماثلة الضعيفة لتعطي كل هذا من مراكز التفكير والشعور والإبداع؟ وكل هذا من مصانع الدم والسكاكر والبروتين؟ وكل هذا من أجهزة التكيف والراحة ومن وسائل الوقاية والحماية والأمن في الجسم؟ إنه اللغز الذي حير وما زال يحير كل علماء الدنيا حتى يعلموا أن المبدع والموجه في هذه الحياة، هو الله... ويوم يصلون الى حل هذا اللغز فسيوقعون أكثر أنه ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]. ويتمالكننا العجب ونحن نرى أن القرآن قد أشار لهذا اللغز، في آيات تعد منارات هداية على طريق العلم، وبواعث تدفع للبحث والتحليل باستمرار، قال تعالى في سورة الحج: ﴿ثُمَّ مِنْ مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ﴾، ثم يؤكد على هذه الناحية حيث يقول في سورة المؤمنون: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ فهذه الآية لا تشير فقط إلى بدء تشكل العظام قبل تشكل اللحم «العضلات»، كما لا تقتصر على الإبداع التعبيري الواقعي في تصوير علاقة العضلات بالعظام على أنها علاقة كساء، ومن يدرس التشريح يعلم تماماً كيف تحيط العضلات بالعظام كأنها كساؤها... أجل لا تقتصر الآية على ذلك فقط، وإنما تشير في تقديرنا الى عملية التمايز والتخلق، التي تبتدىء من تلك المضغة الصغيرة: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾.

◀ ثم أنشأناه خلقاً آخر « طور الجنين »

يميل محصول الحمل نحو الزيادة في الوزن بعد الشهر الثالث، وتسعى الأجهزة التي تشكلت نحو التكامل، حتى أن بعض الأجهزة تبدأ عملها أثناء الحياة الجنينية، كالقلب وجهاز الهضم، ويقوم نقي العظم بتكوين عناصر الدم... ويشكل عام فإن أهم ما يطرأ على الجنين بعد الشهر الثالث هو: الحركة، ونبضان القلب، واستقلال إفراز المشيمة الغدي، والنمو المتسارع في حجم الجنين، وتكامل شكله الخارجي.

أما الحركة، فتبدأ في آخر الشهر الثالث وابتداء الرابع حيث تتم عملية إتصال الجهاز العصبي بالأجهزة، والعضلات، وتشعر الحامل بحركات جنينها الفاعلة في الشهر الرابع، أو قبل ذلك في المولودات. أما نبضات القلب، فتبدأ بعد بداية الشهر الرابع، ويمكن سماعها أيضاً، وتكون واضحة في الشهر الخامس تذكر الدكتور فلك الجعفري: «أن أحد الأساتذة المصريين أراد تسجيل أول دقة للقلب، وعند ما ابتداء مشعر المسجل بالحركة، قال: هنا الله، أي: هنا قدرة الله».

وبالنسبة لاستقلال المشيمة الغدي، فهو مباشرتها بإفراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد أن أصبحت الكميات التي يفرزها المبيض غير كافية، ولأن متطلبات الحمل من هذه الهرمونات تصبح أكبر بكثير من كفاءة المبيض.

أما نمو الجنين فيكون سريعاً في هذه المرحلة، فبعد أن كان وزنه في نهاية الشهر الثالث (٥٥) غ، وطوله (١٠) سم، يصبح وزنه عند تمام الحمل حوالي (٣٢٥٠) غ، وطوله (٥٠) سم، وخلال هذه الفترة، يتكامل شكله الخارجي، فيصبح لون الجلد أحمر، وتنسبط تجعدياته، وتسقط عنه الأوبار، وتنفث الجفون، وتتكامل الأظافر...

وبهذا الاستعراض السريع لأهم ميزات هذه المرحلة نجد أن تلك المضغة قد أخذت بعداً آخر، اكتسبت فيه قدرة على الحركة، وابتدأ بها القلب بالنبضان بلا توقف، ولهذا البعد أشار القرآن بعد عرضه لسلسلة أطوار تخلق الجنين، حيث قال: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. ولعل أكثر الناس شعوراً بهذا البعد ليس الطبيب وإنما الأم الحامل التي ما إن تشعر بحركات جنينها حتى تحس بشيء لم تعهده من قبل، إنها تحس أن روحاً أخرى تدب في أعماقها، فتظهر علامات الارتياح على ملامحها، وتعلو البسمة محياها، وإذا ما غابت عنها تلك الحركات



➤ مدة بسيطة ، فقلت وتأرقت .

وأبعد من هذا فقد وجد العلماء أن الجنين يبدأ في آخر الحمل بالسماع ، ومما يسترعي سمعه وهو في بطن أمه ، ذلك الصوت الحنون الخالد الذي لا يعرف إلا الحب والحنان والعطاء... إنه صوت خفقان القلب الكبير... قلب أمه ، وهكذا تنشأ صلات الحب والمسؤولية بين الأم ووليدها ، في الوقت الذي تعاني فيه الأم من الوهن والعذاب ما لا يحتمله غيرها ، ولذلك قال تعالى في سورة لقمان : ﴿ وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] . وبعد أن وقفنا على أطوار خلقنا البديعة المدهشة ، هل لنا أن نقدر الله حق قدره ؟ ، هل لنا أن نرجو الله وقاراً ؟ ... ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿ [نوح : ١٣ - ١٤] .

- تشخيص الحمل اليقيني والعده :

إن الشعور بحركة الجنين ، وسماع نبضات القلب ، هما علامتان اليقينيتان لتشخيص الحمل ، وكل العلامات التي تسبقهما كانقطاع الطمث ، وأعراض الوحام ، وحتى إيجابية تفاعل الحمل الحيوي ، لا تعتبر علامات يقينية نستطيع على أساسها القطع بحصول الحمل ، فهناك حالات مرضية ، يمكن أن تعطي نفس الأعراض ، كالرحى العدارية ، والورم الكوريوني البشري ، والحمل الهيستريائي .

وكما لاحظنا أن هاتين علامتين : شعور الحامل بحركة جنينها ، وسماع الطبيب لدقات قلب الجنين ، يحصلان بعد الشهر الرابع ، وهذا ما بينه القرآن الكريم منذ ألف وأربع مئة عام ، حيث قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

إن وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة ظاهر بلا شك ، وهي تقرر ما يسمى بعدة المرأة التي توفي زوجها ، حيث حددت وبالضبط المدة التي يصبح عندها أو بعدها تشخيص الحمل يقيناً .

أما عن الحكمة في هذه العدة فيعلمها الأطباء الشرعيون ، إذ يجب أن يعرف ما إذا كان



➤ الحمل من الزوج المتوفى أم لا، وحتى لا تنسب المرأة حملاً حملته سفاحاً لزوجها المتوفى، وحتى لا ينكر أهل الزوج المتوفى بنوّة الجنين الجديد لأبيه بغية التخلص من ميراثه، ويتهمون الأم البريئة بأن حملها هذا سفاحاً أو من زوجها الجديد... وإلى آخر ما هنالك من المشاكل أو المظالم التي قد تقع.

- البعد الإنساني «الروح»:

البعد الإنساني، هو البعد الذي جعل من الطين الرخيص، بشراً كريماً تسجد له الملائكة المكرمون، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَاذْأَسَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٢]. وهو بعد الحياة الإنسانية - وليس الخلوية - الذي يمنحه الحق تبارك وتعالى للإنسان، وهو ما يزال في بطن أمه، عند ما يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح. وقد بين ذلك أيضاً حديث الرسول ﷺ: «ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح» وذلك بعد (١٢٠) يوماً، أي بعد أربعة أشهر، وهذا ما يطابق معطيات العلم الحديث.

وهكذا نفهم ذلك البعد الذي خص الله به الإنسان، فلم يعد مجرد عناصر أولية لا تساوي في قيمتها سوى بضع ليرات في ميزان البيع والشراء، كما لم يعد مجرد مجموعة خلوية حية، بل ميزه عن باقي مخلوقاته يوم جمع بين المادة والروح في خلقه، وبذلك كان الإنسان خليفة الله في أرضه، ومهبط وحيه ورسالاته، وحامل أمانته، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الظلمات الثلاث:

قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٦].

في الوقت الذي تتعرض فيه الخلايا المضغية للأطوار التي ذكرناها، يكون هناك ما يسمى بالخلايا المغذية التي تأخذ على عاتقها تأمين الغذاء والهواء لحصول الحمل، ثم يتشكل



➤ منها ملحقات الجنين والتي منها ، هذه الأغشية الثلاثة التي تحيط ببعضها وهي من الداخل الى الخارج :

١ - الغشاء الأمنيوسي Amniotic membrane : وهو يحيط بالجوف الأمنيوسي المملوء بالسائل الأمنيوسي ، الذي يسمح فيه الجنين بشكل حر .

٢ - الغشاء الكوريوني Chorionic membrane ، الذي تصدر عنه الزغابات الكوريونية التي تنغرس في مخاطية الرحم .

٣ - الغشاء الساقط Disidua memb ، وهو عبارة عن مخاطية الرحم السطحية بعد عملية التعشيش ونمو محصول الحمل ، وسمي بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة .
وبالنظر إلى الآية السابقة : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، واستناداً إلى المعطيات العلمية التي ذكرناها حول الأغشية الثلاثة ، نجد انفسنا مرة أخرى امام إعجاز قرآني جديد ، إذ أشارت الآية الكريمة لأغشية الجنين الثلاثة بتصوير واقعي لجو الظلمة المحيطة بالجنين ، فما أسميناه بالغشاء أسماء القرآن بالظلمة : ظلمة الغشاء الأمنيوسي ، وظلمة الغشاء الكوريوني ، وظلمة الغشاء الساقط . وشيء آخر في الآية الكريمة هو تبيانها أن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة داخل هذه الظلمات الثلاث : ﴿ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ .

قرار مكين وقدر معلوم

قال تعالى في سورة المرسلات : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٤] .

بهذا الأسلوب المعجز يشير تعالى إلى حقيقتين علميتين ثابتتين ليس في علم الاجنة فقط ، وإنما في علم التشريح والغريزة أيضاً . الحقيقة الأولى : هي وصف الآيات للرحم بالقرار المكين . والحقيقة الثانية : إشارتها إلى عمر الحمل الثابت تقريباً ، أو ما أسماه القرآن : القدر المعلوم ، وكأنني بالقرآن الكريم عند ما أشار لهاتين النقطتين ، إنما يستحدي علماء الأرض على مدار التاريخ ، ويدعوهم للبحث والتأمل بهما لما تحتويان من الأسرار كما



☞ سنرى في تفصيلنا لهما، إن شاء الله .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾
[المؤمنون: ١٢ - ١٣].

نطفة... نطفة ضعيفة لا ترى إلا بعد تكبيرها مئات المرات، جعلها الله في هذا القرار، فتكاثر وتخلقت حتى أعطت هذا البناء العظيم، وخلال هذه المرحلة كانت تنعم بكل ما تتطلبه من الغذاء والماء والأكسجين، في مسكن أمين ومنيع ومريح، وتحت حماية مشددة من أي طارئ داخلي وخارجي. حقاً إن هذا الرحم القرار مكين. ولكن كيف ذلك؟!
القصة شيقة وممتعة لا يملك من يطالعها إلا أن يسبح الخالق العظيم، وهو يرى تعاضد الآليات المختلفة: التشريحية، والهرمونية، والميكانيكية، وتبادلها في كل مرحلة من مراحل تطور الجنين، لتجعل من الرحم دائماً قراراً مكيناً.
فتشريحيّاً: ١ - تقع الرحم في الحوض بين المثانة من الأمام والمستقيم من الخلف، وتتألف من ثلاثة أقسام تشريحية هي: الجسم والعنق والمنطقة الواصلة بينهما وتسمى المضيق.

٢ - يحيط بالرحم جدار عظمي قوي جداً، يسمى الحوض، ويتألف الحوض من مجموعة عظام سميكة هي العجز والعصعص من الخلف، والعظمين الحرقفيين من الجانبين ويمتدان ليلتحميا في الأمام على شكل عظم العانة، هذا البناء العظمي المتين لا يقوم بحماية الرحم من الرضوض والضغوط الخارجية من الجوانب كافة فحسب، وإنما يطلب منه أن يكون بيناه وترتيب تشريحي يرضى عنه الجنين، بحيث يكون ملائماً لنموه، متناسباً مع حجمه وشكله، وأن يسمح له عند ما يكتمل نموه ويكبر آلاف المرات بالخروج والمرور عبر فتحة السفلية الى عالم النور، وبشكل سهل. فأى اضطراب في شكل الحوض أو حجمه قد يجعل الولادة صعبة أو مستحيلة، وعندها يلزم شق البطن لاستخراج الوليد بعملية جراحية تسمى القيصرية.

٣ - أربطة الرحم: هناك أربطة تمتد من أجزاء الرحم المختلفة لترتبط بعظام الحوض أو جدار البطن تسمى الأربطة الرحمية تقوم بحمل الرحم، وتحافظ على وضعيته الخاصة الملائمة للحمل والوضع، حيث يكون كَهَرَم مقلوب، قاعدته في الأعلى وقمته في الأسفل،

☞

➤ ويثني جسمه على عنقه بزاوية خفيفة إلى الأمام، كما تمنع الرحم من الانقلاب إلى الخلف أو الأمام، ومن الهبوط للأسفل بعد أن يزداد وزنه آلاف المرات. هذه الأربطة هي: الرباطان المدوران، والرباطان العريضان، وأربطة العنق الامامية والخلفية. ولندرك أهمية هذه الأربطة، يكفي أن نعلم أنها تحمل الرحم التي يزداد وزنها من (٥٠) غ قبل الحمل إلى (٥٣٢٥) غ مع ما تحويه من محصول الحمل. وأن انقلاب الرحم إلى الخلف قبل الحمل قد يؤدي للعقم لعدم إمكان النطاف المرور إلى الرحم، وإذا حصل الانقلاب بعد بدء الحمل فقد يؤدي للإسقاط.

- وهرمونياً: يكون الجنين في حماية من تقلصات الرحم القوية، التي يمكن أن تؤدي لموته، أو لفظه خارجاً، وذلك بارتفاع التقلص لألياف العضلة الرحمية بسبب ارتفاع نسبة هرمون البروجسترون الذي هو أحد أعضاء لجنة التوازن الهرموني أثناء الحمل، والتي تتألف من:

١ - المنميات التناسلية Gonadotrophin كمشرف.

٢ - هرمون الجريبين ostro gen كعضو يقوم بالعمل بشكل مباشر.

٣ - هرمون البروجسترون Progesteron كعضو يقوم بالعمل مباشرة. تتعاون هذه اللجنة وتتشاور لتؤمن للجنين الأمن والاستقرار في حصنه المنيع، فلتستمع إلى قصتها بإيجاز.

ما إن تعشش الببضة في الرحم حتى ترسل الزغابات الكورونية إلى الجسم الأصغر في المبيض رسولاً يدعى المنميات التناسلية تخبره بأن الببضة بدأت التعشيش، وتطلب منه أن يوعز للرحم أن تقوم بما عليها من حسن الضيافة.

وفعلاً يقوم الجسم الأصغر بإفراز هرموني الجريبين واللوئين بشكل متزايد، ولهذين الهرمونين التأثير المباشر على الرحم لتقوم بتأمين متطلبات محصول الحمل، كما أن الهرمون واللوئين (البروجسترون)، كما ذكرنا، الفضل في رفع عتبة تقلص العضلات الرحمية، فلا تتقلص إلاّ تقلصات خفيفة تفيد في تعديل وضعية الجنين داخل الرحم. وفي الشهر الثالث يبدأ الجسم الأصغر يعلن عن اعتذاره من الإستمرار في تقديم هذه الهرمونات، ويميل للضمور، وفي هذا الوقت تأخذ المشيمة - التي تكون قد تكونت - على



➤ عاتقها أمر تزويد الحمل بمتطلباته المتزايدة من الهرمونات حتى نهاية الحمل . وهكذا نجد لغة التفاهم والتعاون ظاهرة في هذه اللجنة الهرمونية والجهات التي تصدر عنها .
-وميكانيكياً: بعد الشهر الثالث يبدأ الرحم بالارتفاع بشكل واضح إلى البطن ، وفي هذه الحالة يصبح خارج الحماية العظمية الحوضية ، فمن يحمي الجنين عندها من الصدمات الخارجية ؟

إن العناية الإلهية فاقت كل تصور ، فمنذ الأشهر الأولى للحمل يكون هناك ما يسمى بالسائل الأمنيوسي ، الذي يفرزه الغشاء الأمنيوسي ، هذا السائل يحيط بالجنين من كل جهات ، وتزداد كميته بشكل واضح حتى تصبح حوالي (١٠٠٠) سم في الشهر السادس ، ثم تميل إلى النقصان تدريجياً ، وتقدر وسطياً بـ (٥٠٠ - ٦٠٠) سم في نهاية الحمل . هذا السائل يقوم إضافة لوظائفه الكثيرة بوظيفة هامة ، هي حماية الجنين من الصدمات الخارجية ، حيث يمتص قوة الصدمات بتوزيعها على سطح أوسع ، كما يشارك في الحماية جدار البطن والأغشية الثلاثة ، وجدار الرحم ذاته . إضافة إلى أن الجنين بعد الشهر الثالث يكون قد تجاوز المرحلة الدقيقة والخطرة ، ويصبح أكثر تحملاً للطوارئ والرضوض ، بل كثيراً ما يباشر هو ببعض المناورات من الداخل بحركاته الفاعلة التي تثبت وجوده ومهارته .
وبعد كل هذا... الا يمكن أن نقول عن الرحم : إنه قرار مكين ؟!!! وماذا سيكون جوابنا إذا سألنا رب العزة ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ ... إنه سيكون بلاشك : بلي ، لقد صدقنا وأيقنا يا رب .

القدر المعلوم : قال تعالى في سورة المرسلات : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّغْلُومٍ ﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٢] .

الرحم قرار مكين لمحصول الحمل ، ولكن ذلك لمدة محددة وثابتة تقريباً ، تعرف بمدة الحمل ، وهي تقدر بـ (٢٧٠ - ٢٨٠) يوماً ، أو بـ (٤٠) أسبوعاً ، أي ما يعادل تقريباً عشرة أشهر قمرية ، أو تسعة أشهر شمسية ، يصبح بعدها الجنين قادراً على الحياة في العالم الجديد ، ولهذه المدة أشار القرآن الكريم بالقدر المعلوم ، ففي سورة الحج : ﴿ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الحج : ٥] . فهنا يسمى القرآن هذه المدة بالأجل المسمى أي الأمد المحدد .

➤ على أن إعجاز هذه الآيات ليس في إشارتها لمدة الحمل ، إنما في تقريرها أن ذلك القدر من مدة الحمل هو أفضل ما يمكن أن يكون حيث قال تعالى : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٢٣] وإذا ما زاد أو نقص لأي سبب ، فإن الضرر لاحق بالوليد أو بأمه ، فإذا استمر الحمل لأكثر من (٤٢) أسبوعاً اعتباراً من بداية آخر طمث ، سمي بالحمل المديد ، وإذا استمر أقل من (٣٨) أسبوعاً ، أعتبر الوليد خديجاً بالخاصة ولكي نتبين الحكمة من مدة الحمل الطبيعية والتي هي بين الأسبوع (٣٨) ، والأسبوع (٤٢) أو ما أسماها القرآن ، بالقدر المعلوم ، فسوف نوجز أهم أخطار الحمل المديد والخداجة :

- أخطار الحمل المديد :

أولاً - على الجنين :

- ١ - يتعرض أثناء الحمل لنقص الأكسجين بسبب قلة المبادلة الغازية وخاصة إذا كانت الأم مصابة بالإنسمام الحملي ، أو ارتفاع التوتر الشرياني .
- ٢ - صعوبة الولادة بسبب كبر حجم رأس الجنين .
- ٣ - يعاني الجنين أثناء المخاض من نقص أكسجين ، قد يكون شديداً فيلبد ميتاً ، أو يموت بعد الولادة بقليل .

ثانياً على الأم :

- ١ - اضطراب طبيعة التقلصات الرحمية أثناء المخاض ، وما ينتج عنه من أخطار على الأم كالإعياء الشديد ، والتعرض للإنتان والتجفاف ، والتعرض للنزف بسبب سوء إنقباض الرحم .

٢ - الحمل المديد ضد مصلحة الأم الحامل المصابة بالإنسمام الحملي « التوكسيميا » .

- أخطار الخداج : الخديج هو وليد ناقص الوزن وتزداد الأخطار التي يتعرض لها كلما كان نقص الوزن شديداً . وأهم هذه الأخطار التي تجعل من وفيات الخدج تشكل (٥٠ ٪) من وفيات المولودين حديثاً ، الإنتان لقله مقاومته ونقص مناعته وكذلك يتعرض الخديج لخطر : الرضوض الولدانية ، ونوب الإزرقاق (نوب توقف التنفس) ، وتناذر الشدة التنفسية ، والإستعداد للتزوف ، واليرقان النووي ، وفقر الدم الخداجي ، والوذمات ، وإصابات الشبكية



➤ في العين .

على أن ما يحير العلماء هو كيف يستمر الحمل مدة (٢٨٠) يوماً تقريباً، فلا زيادة ولا نقصان بشكل عام. «إن السؤال الذي يحير هو كيف يحتفظ الرحم بالحمل حتى المثلثين والثمانين يوماً؟ ولماذا لا يطرح الرحم محصوله قبل ذلك بكثير خاصة وأن محصول الحمل يعتبر جسماً غريباً بالنسبة للمرأة من الناحية المناعية» ولتعليل بدء المخاض بعد مدة من الحمل استمرت (٢٨٠) يوماً، وضعت نظريات عدة، منها نظرية شيخوخة المشيمة، ونظرية مُفَزَّز الغدة النخامية Oxytocin، ونظرية فرط التمدد، والنظرية المناعية، وأحدث النظريات التي وضعت نظرية هرون الجنين البروستاغلاندين Prostaglandin.

والقول الذي قد يكون أقرب إلى الحقيقة، هو أن مفرز الغدة النخامية Oxytocin يسبب تقلصات خفيفة للرحم أثناء الحمل، لأن هناك توازناً بين هرمون البروجسترون الذي تفرزه المشيمة، وهرمون آخر اكتشف حديثاً في السائل الأمنيوسي ويفرزه الجنين، وعند ما ينخفض مستوى البروجسترون بسبب شيخوخة المشيمة، ويرتفع مستوى البروستاغلاندين، يزداد ارتكاس عضلة الرحم لمفرز الغدة النخامية ويبدأ المخاض وهنا يردُّ سؤال آخر لا جواب عليه الآن، هو: كيف يتم هذا الانخفاض المفاجيء في مستوى البروجسترون بعد أن كان مستواه عالياً جداً في آخر الحمل؟... انه تدبير العزيز الحكيم .

— ثم السبيل يسره «الولادة»

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * نَفْثَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٠] أي سهّل عليه الخروج من بطن أمه .

بعد رحلة بديعة دامت أربعين أسبوعاً، تجلت فيها كل صور الروعة الأخاذة، يعلن الجنين عن مقدرته على مواجهة الحياة، ويرى الرحم أنه لا بد من الفراق، وتبدأ عملية الولادة بتقلصات الرحم الدورية، التي تبتدىء خفيفة وقصيره وبفواصل متباعدة تقدر بـ (١٥ - ٢٠) دقيقة، ثم تصبح التقلصات قوية وبفواصل أقل فأقل، كما تزداد شدة التقلصات وتستمر مدة أطول تفصل للدقيقة. تعاني الماخض أثناء ذلك آلاماً شديدة، تلك الآلام التي جاءت بسيدتنا مريم إلى جذع النخلة عند ولادتها بالسيد المسيح ﷺ، قال تعالى في سورة

➤

هذا خلق الله

ترك اعتراف عالم الفضاء المعروف «جان غالن» حول القوّة الذكيّة التي خلفت العالم فبعد عودته من رحلته الفضائيّة أصداءً كبيرة فقد نشر مقالة علميّة جاء فيها: أنني لا أستطيع إلا أن أصغي خاشعاً إلى سمفونيّة الوجود! يكفي أن

❖ مريم: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِياً مَّسِيّاً ﴾ [مريم: ٢٣]. وعند ما تتم الولادة ويخرج الجنين الى الوجود ثم تتبعه المشيمة والأغشيه، تتقلص الرحم تقلصاً واحداً مستمراً وقوياً، يخفف النزف الحاصل. وإن تقلصات العضلة الرحمية وميزانها وتطورها أثناء المخاض وبعده، تجعل من عملية الولادة التي تتكرر في حياتنا باستمرار، عملية خارقة بالفعل، فلو تصورنا أن الرحم قامت بتقلص واحد وشديد، لتُخرج الجنين بشكل سريع، فماذا سيحصل؟، إن النتيجة ستكون موت الجنين بسبب الضغط القوي الحاصل عليه، أو بسبب نقص ورود الدم إليه عبر المشيمة.

ولو تصورنا أن الرحم استمرت بعد خروج الجنين والملحقات بتقلصات الدورية، فسيؤدي ذلك لنزيف هائل من ذلك الجرح الكبير الذي تركته المشيمة مكان ارتكازها، وبالتالي موت المرأة بالصدمة حتماً، وهنا تتدخل يد العناية المدبرة لتتدارك الأمر مباشرة، وتصدر النخامة أمرها للرحم بأن تتقلص تقلصاً واحداً وشديداً ومستمراً، يجعل من الرحم كتلة منكمشة على كليمها وتسمى كرة الأمان، لأنها جعلت الولود في مأمن من خطر النزيف. وعنق الرحم يكون قبل بدء المخاض مغلقاً، وإذا به يتوسع ويتمدد تدريجياً بفعل تلك التقلصات الدورية حتى درجة الانمحاء وبشكل يسمح للجنين الكامل أن يمر عبره، فتبارك الخالق الذي رعى الجنين بكل عناية حتى اكتمل خلقه ثم يسر له سبيل الخروج الى الدنيا ليبدأ مرحلة المكابدة والامتحان.

وما أجمل أن نختم بحثنا: «القرآن وتخلق الإنسان» بهذه الآية المعجزة التي تلخص حياة الإنسان بكاملها، ؟!!! قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُغْ أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ سَنِائاً ﴾ [الحج: ٥].

نعرف ان سرعة الضوء تبلغ ٣٠٠ / ٠٠٠ كم في الثانية يعني ان الضوء يلف الأرض سبع مرّات في الثانية الواحدة.

يعني ان الضوء يقطع في سنة واحدة ٩ / ٥ مليون مليون كيلومتر .

فهل تعلم ان قطر مجرّتنا يبلغ مئة ألف سنة ضوئية ؟!

ومجرّتنا «درب التبانة» واحدة من ملايين المجرّات في هذا الفضاء الواسع الغارق في المجهول!

انّا نستطيع أن نرى مبدع الوجود في كلّ جزء من أجزائه فلماذا نشكّ في وجوده؟! (١)

﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . (٣)

انّ الايمان بالله والتوكّل عليه هو الذي ينقذ الانسان من الأمراض النفسية التي تنهش في روحه وجسده .

الايمان بالله وحده لا شريك له هو الذي يضيء الطريق أمام البشر ويقودهم إلى السعادة والمستقبل المشرق ومن أجل ذلك كان آباؤنا يكتبون على أبواب منازلهم هذه الآية :

١ . دانستنني های جهان علم (عالم العلم) : ٨ .

٢ . سورة إبراهيم : ١٠ . ٣ . سورة الصف : ١٠ - ١١ .

﴿وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١).

أمراض العصر التي تعصف بالبشر اليوم من قلق واضطرابات نفسية وسكري وقروح المعدة والاثنا عشري وارتفاع ضغط الدم كلها ناجمة عن ضياع الانسان وافتقاره إلى المعرفة الالهية.

نبكي لهزات الفرح وتعصف بنا أمواج الحزن، وتطوح بنا عواصف الدهر وتدفعنا إلى اليأس نواب الزمن! لماذا لأننا نجهل غائبة الحياة لأننا نسير في طريق يغمره الظلام لأننا بعيدون عن النور الانسان المؤمن هو وحده الذي يحافظ على توازنه في حياته لأن شخصيته متوازنة، لأنه يؤمن بالله ويؤمن بهدية الحياة وأن الانسان خلق للبقاء لا للفناء وأن الموت قنطرة إلى العالم الآخر لأنه يؤمن بالله واليوم الآخر.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٢).

من أجل ذلك ترى الانسان المؤمن مطمئناً يسطع النور في قلبه ويشرق على

نفسه:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣).

يا ضياءً أزلياً غمر الكون بنوره
يا كريماً تنهل الأفلاك من فيض بحوره
يا قوياً نبعت منه القوى

٢. سورة الحديد: ٢٣.

١. سورة غافر: ٤٤.

٣. سورة الرعد: ٢٨.

يا معينَ الحبِّ يا عينَ الحياة
نحن غرقى عالمِ جمِّ الأسى
خذ بأيدينا إلى شاطئ النجاة

أنت يا من ملأ العالم حباً ونماء
وخلقت الطير صداحاً بأرجاء الفضاء
ووهبت النبع ماء هاك روعي يا الهي
انها حيرى وترجوك الصفاء

تغسل الأمطار وجه الأرض فالأزهار تهتزّ جلالة
وأريج من شذاها يملأ الدنيا جمالا
وأنا أغسل روعي بدموعي علّها تشهد أفراح الربيع
وتغني في صفوف الكائنات أنت يا خالقنا أدرى بنا
اهدنا يا ربنا درب النجاة
أجل يتعين على الانسان أن يدرك هدفية الحياة وغائية الوجود.

انّ الانسان أن يدرك هدفية الحياة وغائية الوجود.

انّ الانسان المؤمن هو من اهتدى إلى معرفة الله فأشرق الوعي على قلبه
واكتشف الطريق إلى الله فاتّجه إليه بشوق وحبّ، فهو مع الله بروحه ومع المجتمع
الانساني بأخلاقه النبيلة وانسانيته، ومع الطبيعة بعقله وتأملاته التي تعزز من
ايمانه وتزيد من انسانيته وآدميته؛ لهذا تراه في رحيل دائم وتكامل مستمر

ليحظى بالقرب الالهي^(١).

١. ومن خلال هذا العجز البشري الشجاع يكتشف الانسان المعرفة الحقيقية، فلا يصيبه الغرور الفارغ، وبولس هنا يقف إلى جانب « كانت » وهو من أعلام الفكر الانساني عندما يقول: « أن لا زورق لدينا ولا شراع لخوض هذا العباب ».

ويقول بولس (سلامة) مستطرداً: « أجل لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي القرآن عظات في الصبر وآيات: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٥] ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٥٦ - ١٥٧] ويقول اغسطينوس: لا راحة إلا بالله؛ شاعراً بضعف الانسان وقلقه، وإثماً القلق ركن الفلسفة الوجودية سواء في ذلك « هيدجر » و « سائر » و « مارسل ». أجل لا حول ولا قوة إلا بالله؛ ولا يغرنك ما بك من قوة جسدية أيها الضارب الأرض بقدمه كأنك تنذرنا بنمرود جديد! ولقد كنت في مطلع شبابي مثلك مزهواً بنفسي وطوح بي الغرور فقلت في قصيدة لي:

وكان ربك قد برى عمداً السما لما براني

استغفرك اللهم وأتوب إليك توبة نصوحاً، فهذا هو العود المسكين يصبح أوهى من سنبله عجفاء في ريح صرصر.

تالله ما أضعف الانسان! هذا فردريك نيتشه القائل بالقوة والانسان الأعلى « السوبرمان » نيتشه الذي يغار من « يسوع » فيريد أن يستقوي بموت مريضاً بين « المجاذيب ».

وهذا نابليون الأول الذي لعب بالقارة الاوربية لعب الرياضي بكرة القدم يموت يائساً في جزيرة بائسة.

ولا تغرنك فلسفة الملحدين، فهؤلاء الملحدون أنفسهم كانوا في أعماق أعماقهم مؤمنين؛ ولكنّها الشهوات أعمت قلوبهم... فراحوا يبحثون عن فردوس أرضي، فكان مثلهم مثل الظمآن يدير ظهره للنبع السخي ويضرب في الببداء فلا يرد إلا السراب. وقد اكتشف بولس سلامة طريق العودة إلى الله في غمرة ذلك البحر الهائج من المعاناة وأمواج الألم.

بولس سلامة، شاعر الغدير وكربلاء - كمال السيد

أَيُّهَا الرُّوحُ الَّذِي بَدَدَ مَسْرَاهُ اللَّيَالِي
وَتَخَطَّيْ دَرْبَهُ اللَّاحِبَ آلَافِ النُّجُومِ
وَعَفَفْتُ بَيْنَ حَنَائِيهِ الْغُيُومِ
فَإِذَا الصَّحْرَاءُ وَاحِدَةٌ وَإِذَا الْأُمُوجُ فِي الْبَحْرِ اللَّالِي

أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي ضَمَّ جَنَاحَاهُ الْقُلُوبَ
وَاحْتَوَتْ أَسْرَارَهُ حَزْنَ الشُّمُوعِ
فَإِذَا الْجَرْحُ عَطَاءٌ وَإِذَا النَّزْفُ أَنَاشِيدُ حَيَاةٍ وَرَبِيعِ

أَيُّهَا الرَّاحِلُ نَحْوَ الْحَقِّ فِي مَوْكَبِ نُورٍ
تَغْبِطُ الْأَفْلَاقَ مَسْرَاهُ وَتُرْعَاهُ الْبُدُورُ
وَهَتَافٌ خَالِدٌ مِنْ فَوْقِ نَادَى
افْتَحُوا أَبْوَابَ جَنَّاتِ الْخُلُودِ وَادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ

ولقد ألهم الله سبحانه نفوس عباده طريقين: طريق الخير وطريق الشر؛ طريق
السعادة وطريق الشقاء: ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(١).
وأودع في أعماقهم حب الخير والحق والهمهم معرفته وعرفتهم نفسه ودلهم
عليه.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٢).
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

١. سورة الشمس: ٨.

٢. سورة البقرة: ١٥٢.

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١﴾.

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (٢)

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (٣)

ومن هنا يتضح ان شكر المنعم واجب وما شكره إلا في التصرف بنعمه على نحو مشروع، كما ان هذا الشكر يعود بالنفع على الانسان نفسه فقط.

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. (٤)

ويا حسرة على العباد فان الشاكرين فيهم أقلية ضئيلة.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. (٥)

مع ان الشكر تعقبه زيادة النعم في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة:

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي

الشَّاكِرِينَ﴾. (٦)

انفتاح نوافذ العلم على الربوبية

تعني كلمة «الرب» المباركة المالك والمربي، الله سبحانه هو الرب والمربي والمالك الحقيقي وهو الذي دلّ عباده على معرفته لهذا علينا أن نحمد الله على الهدى ونعرف ان الله هو الذي هدانا، لأن الله هو الذي وهبنا العقل الذي نفكر به ومنحنا الحواس التي من خلالها نتعرف على الأشياء التي تدلنا على الله سبحانه،

٢. سورة الأنفال: ٢٦.

٤. سورة لقمان: ١٢.

٦. سورة آل عمران: ١٤٥.

١. سورة البقرة: ١٧٢.

٣. سورة النحل: ٧٨.

٥. سورة سبأ: ١٣.

وما الهداية إلا السير التكاملي للنفس واكتسابها الفضائل والتطهر من الرذائل .
 إنّ مراحل تربية النفس وتنمية الشخصية السويّة التي تنهض على الروح
 والأخلاق والعقل تمرّ بثلاث مراحل :
 ١ - الطاعة ٢ - ضبط النفس ٣ - اخلافة الالهية .

وعندما يطيع الانسان ربّه ويلتزم بأوامره ونواهيه، وعندما يقوم بالسيطرة
 على نفسه وضبطها وعدم ترك العنان للأهواء النفسية؛ يكون الانسان قد وصل إلى
 مرحلة الاخلافة الالهية؛ يعني تبلور شخصية الانسان الالهي .
 ولو تأمل الانسان في ميراث أهل البيت وهو ميراث الرسالات الالهية وغاص
 في مكنونات نصوص الدعاء لرأى مدرسة متكاملة تضمن للانسان الوصول إلى
 الهدف المنشود: «الانسان الالهي» .
 الانسان الذي لا ينفك يردد: هو الله أحد^(١) .

الطريق إلى الله

إنّ بوابة الطريق إلى معرفة الله هي النبوة والامامة فالنبي ﷺ ومن بعده
 الأوصياء عليهم السلام هم معالم الطريق والهداة إلى السبيل وهم من حمل الامانة في
 هداية البشر إلى النور .
 يقول الامام علي عليه السلام:

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَ عَلَى تَبْلِيغِ

١ . أمّا الانسان الذي ينتهج طريقاً آخر حتّى لو ادّعى التصوّف فإنّه يصل في النهاية إلى
 «الانسان الاله» ولهذا ينبغي أن نحذر من الذي يهتف : أنا الحقّ؛ وزعمه الفناء في الذات
 الالهية - المترجم .

الرَّسَالَةُ أَمَانَتُهُمْ^(١)ويقول عليه السلام:

فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيَذْكُرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشٍ تُحْيِيهِمْ وَأَجَالٍ تُقْنِيهِمْ وَأَوْصَابٍ تُهَرِّمُهُمْ وَأَحْدَاثٍ تَتَنَابَعُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَا يَقْصُرُ بِهِمْ قَلَّةُ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقِ سَمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتْ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ وَتَمَامِ نُبُوتِهِ مَأْخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ مَشْهُورَةً سِمَانُهُ كَرِيمًا مِيلَادُهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَرَائِقُ مُنْتَشِنَةٌ بَيْنَ مُشَبَّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ فَهَذَا هُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ^(٢)

أهداف الرسالة

يبين القرآن الكريم أهداف الرسالة الإلهية في قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)

٢. المصدر نفسه .

١. نهج البلاغة: الخطبة رقم ١.

٣. سورة الأعراف: ١٥٧.

١ - إقامة العدالة .

٢ - تعليم الكتاب الذي يشتمل على حقائق الوجود .

٣ - تعليم الحكمة التي تؤلف الطريق التكاملي للإنسان .

٤ - تنمية المظاهر الايجابية البناء ومكافحة المظاهر السلبية التي تهدم الحياة .

٥ - إطلاق الإنسان من كل الأغلال والسلاسل التي تكبل حركته نحو الحق المطلق .

٦ - بناء حياة انسانية تزدهر بالقيم الأخلاقية العليا .

٧ - اتباع النور الالهي المتمثل بالنبي الاكرم ﷺ ووصيه المرتضى باب مدينة علمه؛ حيث يمثل نهج البلاغة انعكاساً متآلفاً للقرآن الكريم زاخراً بالمعارف الالهية .

وطالما أكد الرسول الأكرم ﷺ على اتباع الامام علي عليه السلام فهو خليفته والأمين على ابلاغ رسالة الله من بعده، يقول ﷺ:

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَعَلِيًّا مِنْ شَجَرَةٍ أَنَا أَصْلُهَا، وَعَلِيٌّ فَرْعُهَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَمَرَتُهَا، وَالشَّيْعَةُ وَرَقُّهَا، فَهَلْ يَخْرُجُ مِنَ الطَّيِّبِ إِلَّا الطَّيِّبُ؟ وَأَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا.

وَفِي لَفْظٍ حَدِيثُهُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا.

وَفِي لَفْظٍ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَأَنْتَ بَابُهَا، كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ بِغَيْرِ الْبَابِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(١).

١ . الغدير: ٧٩/٦؛ الكافي: ٢/٢٣٩، باب المؤمن وعلاماته، ذيل حديث ٢٧؛ وسائل الشيعة:

٢٧/٢٩، باب ١٤، حديث ٣٣٦١٧.

وقد أحصى العلامة الشيخ الاميني أسماء ١٢٣ من كبار رواة الحديث من أهل السنة نقلوا هذا الحديث بأسانيد وطرق مختلفة.

- ١- أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد البَيِّتَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ. ^(١)
- ٢- أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد العلم فَلْيَأْتِ الْبَابَ. ^(٢)
- ٣- أنا دار الحِكْمَةِ و عليّ بابها. ^(٣)
- ٤- أنا دار العلم و عليّ بابها. ^(٤)
- ٥- أنا ميزان العلم و عليّ كَفْتَاؤُهُ. ^(٥)
- ٦- أنا ميزان الحِكْمَةِ و عليّ لِسَانُهُ. ^(٦)
- ٧- أنا المدينة و أنت الباب، ولأيوتى المدينة إلا من بابها. ^(٧)
- ٨- إن علياً مني وأنا من عليٍّ.. فهو أخي ووصيي وخليفتي على أمتي. ^(٨)
- ٩- عليّ باب علمي و مُبَيِّنٌ لِأُمَّتِي ما أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِي. ^(٩)
- ١٠- أنت باب علمي. ^(١٠)

-
١. تاريخ بغداد: ١٨١/٣؛ شرح احقاق الحق: ٢٣٥/٤.
 ٢. بحار الأنوار: ١٨٩/٣٨؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ٣٤/٢؛ كشف الغمة: ١١٣/١.
 ٣. بحار الأنوار: ٢٠٧/٤٠؛ كشف الغمة: ١١٣/١؛ العمدة: ٢٩٥.
 ٤. شواهد التنزيل: ١٠٦/١؛ ينابيع المودة: ١٧٠/٢.
 ٥. بحار الأنوار: ١٤٤/٢٣؛ جامع الأخبار: ١٨٠؛ الفضائل: ١٥٥.
 ٦. الغدير: ٨٠/٦؛ شرح احقاق الحق: ٤٦/٦؛ نفحات الأزهار: ٢٣٨/١٠.
 ٧. شواهد التنزيل: ٣٦٣/٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٧/٣٦.
 ٨. بحار الأنوار: ٤/٤٠؛ الأمالي، شيخ صدوق: ٣٦؛ روضة الواعظين: ١٠١/١.
 ٩. بحار الأنوار: ١١٣/٢٧؛ كنز الفوائد: ٦٧/٢.
 ١٠. بحار الأنوار: ٢٤٨/٣٨؛ كشف الغمة: ٢٨٧/١؛ كشف اليقين: ١٠٩.

وفي ضوء الأحاديث النبوية الشريفة والحوادث التاريخية والوقائع الثابتة وفي ضوء النصوص القرآنية فإن علوم النبي ﷺ انتقلت إلى وصيه الامام علي عليه السلام ومنه إلى سبطيه الحسن والحسين وإلى تسعة أئمة معصومين من ذرية السبط الشهيد.

وبين أيدينا ما يدل على هذه الحقيقة «نهج البلاغة» و«الصحيفة السجادية».

الدلالة على الاخلاص في التوحيد

إن الاخلاص في التوحيد موضوع غاية في الأهمية حيث تزخر الآيات القرآنية بالاشارة إليه والتأكيد عليه وكذا الأحاديث الشريفة والروايات:

- ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (١).
- ﴿إِلَّا الدِّينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢).
- ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٣).
- ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (٤).
- ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (٥).
- ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٦).
- ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

١. سورة الزمر: ٢ - ٣.

٢. سورة النساء: ١٤٦.

٣. سورة الزمر: ١١.

٤. سورة الزمر: ١٤.

٥. سورة البقرة: ١٣٩.

٦. سورة غافر: ١٤.

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

﴿وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٢).

الاخلاص في نصوص الروايات

فى مَوَاعِظِ النَّبِيِّ لِابْنِ مَسْعُودٍ: يَا ابْنَ مَسْعُودٍ إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا فَأَعْمَلْ بِهِ خَالِصًا لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا. (٣)

قال الامام علي عليه السلام:

طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ وَعِلْمَهُ وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَهُ وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ وَفِعْلَهُ وَقَوْلَهُ. (٤)

قال الامام الصادق عليه السلام:

إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَحِيمٌ يَشْكُرُ الْقَلِيلَ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الرُّكْعَتَيْنِ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ. (٥)

وروى الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عن جدّه رسول الله ﷺ قوله:

مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلَّا جَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ. (٦)

١. سورة غافر: ٦٥. ٢. سورة البينة: ٥.

٣. بحار الأنوار: ١٠٥/٧٤؛ مستدرک سفينة البحار: ١٤٦/٣.

٤. بحار الأنوار: ٢٩١/٧٤؛ تحف العقول: ١٠٠.

٥. بحار الأنوار: ٢٤٤/٦٧؛ المحاسن: ٢٥٣/١.

٦. بحار الأنوار: ٢٤٢/٦٧؛ عيون أخبار الرضا: ٧/٢: ٦٩.

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

لَوْ جَعَلْتُ الدُّنْيَا كُلَّهَا لُقْمَةً وَاحِدَةً وَلَقَمْتُهَا مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ خَالِصاً لَرَأَيْتُ أَنِّي مُقَصِّرٌ فِي حَقِّهِ وَلَوْ مَنَعْتُ الْكَافِرَ مِنْهَا حَتَّى يَمُوتَ جُوعاً وَعَطِشاً ثُمَّ أَذَقْتُهُ شَرْبَةً مِنَ الْمَاءِ لَرَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أُسْرِفْتُ»^(١).

تجنب الشرك والالحاد

إنَّ الله عزَّ وجلَّ وبلطفه ورحمته كره إلينا الشرك بكلِّ أشكاله من حبِّ الدنيا وعبادتها وعبادة الجاه والشهوات والأهواء والطاغوت والشيطان. وعندما يسود الإيمان الخالص والعمل الصالح في شؤون الحياة فإن بساط الشرك سوف يطوى من على سطح الأرض وحينئذٍ تنعم البشرية بالاستقرار. لقد وصف الله عزَّ وجلَّ الشرك بأنه ظلم عظيم:

﴿... إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

إنَّ أبواب رحمة الله مشرعة أمام الإنسان وأبواب التوبة مفتوحة دائماً باستثناء الإنسان المشرك إنَّ الله عزَّ وجلَّ يغفر الذنوب جميعاً إلاَّ هذا الظلم الذي يمارسه الإنسان عندما يتعمد وبإصرار على يجعل لله شريكاً.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(٤).

١. بحار الأنوار: ٢٤٥/٦٧؛ مستدرک الوسائل: ٢٥٣/١٦.

٢. سورة لقمان: ١٣.

٣. سورة الأنعام: ٨٨.

٤. سورة الحجرات: ٧.

الله سبحانه كرهه إلينا الشرك وحبب إلينا الايمان، فالايمن نور ووعي والشرك والكفر ظلم وظلمات وجهل مطبق، الايمان نبع لكل الفضائل والجمال، والكفر والشرك منشأ الظلام والظلمات والحيرة والضياع والتهيه الفكري.

﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^(١).

الكفر هو إنكار وجود الخالق ونعمه وعادة ما يكون في القلب؛ أي أنه من أفعال القلب.

والعصيان أعم من الفسوق لأن الفسوق مختص بالانسان المطيع ثم خرج عن الطاعة؛ أما معنى العصيان فهو عام ويشمل التمرد السافر على الخالق وهو يناقض الايمان تماماً.

وفي ضوء الآية الكريمة فإنّ الشرك هو أسوأ من الكفر والفسق والعصيان. وتزخر الروايات بالاشارة إلى الدور التخريبي للشرك في الحياة الانسانية ومن خلال تزكية القلب وصفائه يحدث النفور من الشرك.

والشرك مفهوم واسع يشمل الشرك في القول والصفة والعمل وكل ما يعتقده الانسان في شيء مؤثر في الوجود خارج نطاق المشيئة الالهية والارادة الربانية هو شرك، وهو ذروة المعصية وظلم عظيم، ولن يغفر للانسان هذا الذنب ما لم يثب ويتوب ويخرج حالات الشرك من قلبه.

ولمزيد من التفصيل في هذا الموضوع يمكن مراجعة موسوعة بحار الأنوار في باب الايمان والكفر.

إنّ الوثنيين في مكة وعبداء الشمس وعباد المال والذين انقلبوا على الشرعية

في حوادث ما بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ والذين اغتصبوا السلطة من الحكّام الأمويين والعباسيين والطواغيت في جميع العصور؛ من المصاديق البارزة للشرك، وكذا الحكومات المتجبرة العميلة للقوى الاستعماريّة الناهبة لخيرات الشعوب هي الأخرى من مصاديق الشرك الذي هو من أعظم الذنوب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

١٥ شهر رمضان المبارك

ميلاد الامام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام

المحتويات

مقدمة المترجم.....	٥
مقدمة المؤلف.....	١٢
قبس من حياة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.....	١٩
ولادته.....	٢١
ألقابه.....	٢٢
عبادته.....	٢٤
الإمام السجاد عليه السلام وعبد الملك بن مروان.....	٣٢
الإمام السجاد عليه السلام وعبد الله بن مبارك.....	٣٤
جوانب من شخصيّة الامام زين العابدين عليه السلام.....	٣٥
حادثة محيرة.....	٤٠
الحب والعدالة.....	٤٠
غاية الجود والكرم.....	٤١

- ٤١ عطفه على البؤساء
- ٤٢ اعراضه عن بهارج الدنيا
- ٤٣ أنسه بكتاب الله عزّ وجل
- ٤٣ مجده الأخلاقي
- ٤٧ بركة الخبز!
- ٥٠ الامام السجّاد عليه السلام وهشام بن عبد الملك
- ٥٣ حقيقة الدعاء
- ٥٤ الغفلة عن حقيقة الدعاء
- ٥٦ دعاء العبد الحقيقي
- ٥٨ الشرك وسقوط الانسان
- ٦٠ مواجهة أمواج البلاء
- ٦٢ معرفة الله سبحانه
- ٦٤ الفطرة
- ٦٧ اعتراف علماء المذهب المادي
- ٦٩ التأمل في مظاهر الطبيعة
- ٧٠ الاستدلال العقلي
- ٧٥ مقدّمة

٧٥	في بيان أسانيد الصحيفة السجّادية.....
٨٥	الدعاء الأوّل : في التوحيد والحمد للحقّ تعالى
٩٠	الْحَمْدُ لِلَّهِ
٩٠	حقيقة الحمد والمدح والشكر
٩١	الحمد لله على لسان العارفين
٩٤	تفسير «الحمد لله» في كلام الفخر الرازي
٩٥	«الحمد لله» في أعمال أهل الله
٩٨	«الحمد لله» في كلام الأولياء
٩٩	الحمد الحقيقي
١٠٠	الله الحميد
١٠٣	الحمد في لقاء النعمة والمنعم
١٠٤	الأوّل بلا أوّل
١٠٧	التوحيد في نهج البلاغة
١٠٩	علم الباطن
١١٢	الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ
١١٢	نظر قاصر وفهم عاجز
١١٤	المحكم والمتشابه
١١٥	المتشابه من الآيات

- الراسخون في العلم ١١٥
- رؤية الله بالبصيرة ١١٦
- موسى ومسألة الرؤية ١١٨
- معرفة الله عن طريق الطبيعة ١٢١
- معرفة الله عن طريق العقل ١٢٤
- معرفة الله في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ١٢٤
- حقيقة المعرفة ١٢٥
- معرفة الله في كلام الامام موسى الكاظم عليه السلام ١٢٧
- إِبْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ١٢٩
- ابتداع الخليقة ١٢٩
- أسرار الخلق ١٣١
- خلق العالم في المصادر العلمية ١٣٤
- نظريته غاموف ١٣٤
- نظرية سيبورك ١٣٦
- نظرية آنشتاين ١٣٧
- نظرية جان آلد ١٣٩
- هذا الكون المذهل ١٤١

١٤٤	أسرار الحياة
١٤٥	تجليات الحياة
١٤٦	معرفة الحق
١٤٩	ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ.....
١٤٩	الهداية التكوينية في الوجود
١٤٩	الهداية التكوينية في النباتات
١٥٠	«ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ»
١٥٠	هذه الخضرة الزاهية
١٥١	الهداية التكوينية في الحيوانات
١٥٦	العقل والنبوة
١٥٨	مقام الوصال والهجر
١٥٩	الأعمال الحسنة والسيئة
١٦٢	وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوَّةً.....
١٦٢	وَلَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ].
١٦٢	حقيقة الرزق
١٦٤	هو الرزاق
١٦٥	الرزق الطيب

- البسط والتقدير في الرزق ١٦٦
- الامتحان الالهي ١٧٠
- متع الدنيا ومسرات الآخرة ١٧٤
- الدنيا من أجل الآخرة ١٧٦
- طلب الحلال في الروايات ١٧٨
- ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ ١٨١
- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ١٨١
- قيمة العمر ١٨١
- قصة سلمان وأبي الدرداء ١٨٤
- من مواعظ بهاء الدين البلخي ١٨٥
- من سيرة الشهيد الثاني ١٨٩
- السيد مهدي القزويني ١٩٠
- قيمة الوقت في أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام ١٩٢
- المنازل الالهية في كلام العارف «شاه داعي» ١٩٣
- ١ - علم الشريعة ١٩٤
- ٢ - علم الطريقة ١٩٥
- الف - علم النفس ١٩٦

ب - علم الخاطر	١٩٧
ج - علم معالجة النفس	١٩٨
٣ - علم الحقيقة	١٩٨
العدالة	٢٠٠
الحكمة	٢٠١
العفة	٢٠١
الشجاعة	٢٠١
في ضوء الروايات	٢٠٢
جزاء الأعمال	٢٠٦
نعم الحق	٢٠٧
حكاية	٢٠٩
حقيقة الموت	٢١٠
موت الأخيار	٢١٢
موت الأشرار	٢١٢
الموت في ضوء الروايات	٢١٣
منازل القبر والروح	٢١٧
البرزخ في القرآن الكريم	٢١٧

أرواح الشهداء.....	٢١٨
القبر دار الغربة.....	٢١٨
مكاشفة.....	٢١٩
قصة عن عالم البرزخ.....	٢٢٦
من ذكريات المؤلف.....	٢٢٧
كرامة للمحدث القمي.....	٢٢٨
السيد جمال الدين الكلبي يگاني في عالم البرزخ.....	٢٣٠
نفخة الصور أو مقدّمات القيامة.....	٢٣١
أسماء القيامة.....	٢٣٢
طريق الخلاص.....	٢٣٤
التوحيد الالهي.....	٢٣٤
شروط التوحيد.....	٢٣٧
جزاء الأعمال السيئة.....	٢٤٤
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.....	٢٥٣
وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ.....	٢٥٣
مقام الحمد.....	٢٥٣
العلم والمعرفة الالهية.....	٢٥٤

٢٥٦.....	المقام الرفيع لأهل المعرفة.
٢٥٨.....	الحقيقة المحمّديّة.
٢٥٨.....	المقام الحقيقي للانسان
٢٦٠.....	تجلّي الحقّ
٢٦١.....	مقام الخلافة الالهية
٢٦٢.....	وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ مَا عَرَفْنَا.....
٢٦٢.....	حَمْدًا نَعْمَرُ بِهِ.....
٢٦٢.....	١ - تعريف الله نفسه
٢٦٣.....	تكامل النفوس وتسامي الأرواح
٢٦٦.....	مراحل التكامل النفسي
٢٦٨.....	أوجه النفس
٢٧٠.....	التعقّل في الخلق
٢٧١.....	الطريق إلى معرفة الله
٢٧٢.....	عالم الأحياء
٢٧٣.....	حصيلة الالهام الالهي
٢٧٣.....	البروتوبلازم سرّ الحياة الممكنون!
٢٩٤.....	هذا خلق الله
٣٠٠.....	انفتاح نوافذ العلم على الربوبية

٣٠١	الطريق إلى الله
٣٠٢	أهداف الرسالة
٣٠٥	الدلالة على الاخلاص في التوحيد
٣٠٦	الاخلاص في نصوص الروايات
٣٠٧	تجنّب الشرك والالحاد
٣١١	المحتويات